دَاج هَمَرشولد

حيــاته وفكـره



د. السيد أمين شلبى

الهيئة المصرية العامة للكتاب



داج همرشولد

حياته وفكره

الدكتور/ السيد أمين شلبى



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٩

الإخراج الفنى والتنفيذ:

صبرى عبدالواحد

ـ القسم الأول:

- حالة الأمم المتحدة قبل انتخاب همرشولد
- ترشيح همرشولد وانتخابه
- تربية همرشولد: مصادر القوة
- أفكار همرشولد وفلسفته حول الأمم المتحدة

الفهرس

مداخل

قضايا عامة:

مداخل

□□ عند انتخابه سكرتيرا عاما للأمم المتحدة ـ مارس ١٩٥٣ ـ ألقى داج همرشولد أمام الجمعية العامة خطابا مختصرا أنهاه بسطر من شعر سويدى يقول «إن أعظم صلاة للإنسان هى تلك التى يؤديها من أجل السلام وليس من أجل النصر». وبعد إجراءات تنصيبه مباشرة قدم التحية للكونت فولك برنادوت(*) بهذه الكلمات: «إننا ننحنى أمام مثل أعلى للحياة ولنموذج من الإيمان العميق، والإيمان بكرامة الإنسان وعقله ودماثته وإدراكه للخير، وبدون مثل هذا المثل الأعلى وهذا الإيمان، من سوف يتابع طريق المفاوضة الصبور، والسعى الذى لا يتوقف من أجل المصالحة والتوفيق وتسوية الخلافات ومناشدة عقول الرجال لكى يصلوا إلى اتفاق.

وقد كانت هذه العبارات والمعانى التى تحدث بها همرشولد مع أول لحظات توليه منصبه تعبيرا تلقائيا وعميقًا عن شخصيته وأفكاره ومثله ورؤيته لمن يشغل نفسه بالعمل الدولى، كما قد أصبحت هى نفس الرؤية والمناهج والمبادئ التى وجهت واهتدى بها عمله خلال فترة توليه وخلال تعامله مع ما واجهه وواجه المنظمة الدولية من أزمات. ومثل هذا الفكر وهذه المبادئ كما مارسها بالفعل خلال عمله قد جعلت منه واحدا من الرجال العظام الذين يزخر بهم التاريخ حين كرسوا أنفسهم للسلام، غير أن

(*) السويدى الجنسية والذى اغتيل فى سبتمبر ١٩٤٨ وهو يعمل وسيطا دوليا للسلام فى فلسطين.

أصالة همرشولد وتميزه تكمن في الطرق والوسائل التي استخدمها واستحدثها للعمل من أجل السلام كما تكمن في تكرسه وتفانيه في عمله وعقلانيته وعقله المضيء النفاذ وأكثر من هذا مستوى الجهد والتركيز الذي كان يعطيه لعمله خاصة في أوقات الأزمات وبحيث كان يعتبر أن عدم التضحية بأي وقت وجهد هو نوع من الطيش وعدم المسئولية.. وهكذا عمل خلال أزمتي السويس والكونغو وهما الأزمتان اللتان ارتبط بهما دوره الشخصي ومزج فيهما بين مبادئ الميثاق وقرارات المنظمة الدولية وبين خياله الشخصي وتقديره الخاص للمسئولية ولعنصر الوقت وكذلك تفسيره الديناميكي لما خوله له الميثاق وخاصة في مادته ٩٩ التي أعطت للسكرتير العام الحق في المبادرة في المسائل التي يراها تهدد السلام والأمن الدوليين. هذا الأسلوب الخلاق هو الذي استحدث به همرشولد الصيغ الجديدة التي استعانت بها المنظمة الدولية وسوف ترتبط بها عبر تطورها بعد ذلك في معالجتها للأزمات والصراعات وهي الصيغ التي تبلورت في: الدبلوماسية الشخصية Personal Diplomacy ومجموعات المراقبين U. N Observers groubs، وجود الأمم المتحدة U.N. Presence الدبلوماسية الوقائية Preventive Diplomacy ثم قوات الأمم المتحدة للطوارئ United Nations Emergency Forces والتي استحدثت لأول مرة في أزمة السويس عام ١٩٥٦ .

هذه المساهمات العملية، فضلا عن مواقف في عدة اتجاهات ومناسبات تتصل بكيان المنظمة ومبادئها وفي علاقتها خاصة مع القوى الكبرى التي أسهمت وأعطت بعدا خاصا لدور ومسئوليات السكرتير العام وجهاز المنظمة والتي أصر منذ اللحظة الأولى على بنائها واستقلاليتها واعتبر أن مكانتها من مكانة المنظمة الدولية ذاتها وحتى لا تتحول إلى مجرد دور إداري ذو أهمية سياسية محدودة. وفي هذا كان يردد أنه إذا

كانت الأمم المتحدة هى بحق ما تصنعه الدول الأعضاء فإن الكثير أيضا مما تقدمه يعتمد على ما يفعله جهاز السكرتارية، وكان يقول فى تأكيده لدور السكرتير العام إن من واجبه استخدام منصبه بل وجهاز المنظمة لأقصى طاقته وإلى المدى الكامل الذى تسمح به ظروف كل مرحلة، وذهب فى تفسير هذا الدور، متمشيا مع فلسفة الميثاق، بأنه على السكرتير العام أن يتصرف فى حالة غياب توصية من الأمم المتحدة إذا ما تبين له أن هذا ضرورى للمساعدة فى ملأ فراغ يمكن أن يظهر نتيجة لما يسمح به الميثاق والدبلوماسية التقليدية للمحافظة على السلام. وبشكل متماسك مع هذا التصور الديناميكى لدور السكرتير العام فسر همرشولد قرارات ودور المنظمة باعتبارها أدوات للمفاوضة وتحقيق التسويات وبشكل يتعدى مجرد مناقشة القضايا وكان فى هذا يواجه المجتمع الدولى فيما يتعلق بدور المنظمة ومسئولياتها بخيارين ومفهومين للأمم المتحدة فإما أن تكون جهازا راكدا للمؤتمرات أو إدارة ديناميكية ذات تأثير فى منع الصراعات أو حلها.

وقد عبر همرشولد فى تأكيده ودفاعه عن سلطات المنظمة وموظفيها واستقلاليتها كما قررها الميثاق فى عدد من المناسبات وعدة اتجاهات وبمواقف عملية وخاصة مع الدول الكبرى: فعل هذا فى أول معركة خاضها مع الولايات المتحدة الأمريكية حول ولاء موظفى الأمم المتحدة وأمام تيار الماكارثية (*) فى هذا الوقت، كما فعل هذا مع كل من إنجلترا وفرنسا فى أزمة السويس، ثم مع الاتحاد السوفيتى فى أزمة الكونغو.

ونستطيع أن نقول إن داج همرشولد كان رجل الدول الصغيرة والمتوسطة فى الأمم المتحدة والمجتمع الدولى وكان بفكره ينطلق من حقيقة أن الأمم المتحدة هى أكثر جدوى وفائدة للدول الصغيرة والمتوسطة

(*) نسبة إلى السيناتور الأمريكى «جوزيف مكارثى» والذى قاد فى أوائل الخمسينات حملة ضد شخصيات أمريكية وداخل مؤسساتها بتهمة اليسارية وعدم الولاء.

منها إلى الدول الكبرى، وقد تأكد هذا المفهوم لدى همر شولد بتزايد عدد الدول المستقلة وانضمامها إلى الأمم المتحدة وما سوف تحتاجه من المنظمة الدولية من دعم سياسي ومساعدات فنية ولبناء مجتمعاتها وهياكلها المختلفة وحيث رأى أن الأمم المتحدة هي الأكثر تأهيلا لتقديم هذه المساعدات وغيرها فضلا عن إدراكه أن دور الأمم المتحدة هذا سوف يحمي الدول الحديثة أن تقع في رحى الحرب الباردة بين الكتلتين المتنافستين بالإضافة إلى هذه الاعتبارات السياسية فقد كان موقف همر شولد تجاه الدول النامية الجديدة مدفوعا بإحساسه بالعدالة وإدراكه للفجوة التي تفصل بين الدول والمجتمعات المتقدمة والدول الناشئة حديثة الاستقلال وأن هذه الفجوة يمكن أن تكون مصدرا للتوتر والقلاقل الدولية.

ومع شخصية مثل همر شتولد كان لابد أن يثور الجدل حول جوانب هذه الشخصية وحياتها الخاصة والباطنية. وقد كان ثمة إجماع لدى كل من عرفوا همر شولد وعملوا معه بشكل دقيق على أنه كان متحفظا للغاية في علاقاته الخاصة وبشكل يصل إلى درجة الخجل والتباعد والحرص على الاحتفاظ بمسافة بينه وبين الآخرين ورفضه الصارم لأى تطفل على حياته الخاصة أو استغلال لصداقته.

وقد أعطت هذه الخصائص عنه صورة الرجل المتجهم الصارم وربما الناسك غير أن هؤلاء الذين كونوا المجموعة المحدودة من أصدقائه المقربين وأعضاء هيئة مكتبه عرفوا فيه الجانب الجذاب ووجدوا البهجة في رفقته ووجدها هو كذلك مع هذه المجموعة ومع هذه الصداقات التى كانت تمثل بالنسبة له «نوعا من الرفقة تحت نفس النجوم وحيث لا تطلب أى شيء وتتلقى الكثير» أما مايكمل هذا الجانب فهو اهتماماته العميقة والأصيلة بالأدب والفن والموسيقى.

حيث كان يجد أن الأدب والدبلوماسية يمتزجان لذلك كانت خطبه ومؤتمراته الصحفية ومحادثاته الدبلوماسية تمتزج ومشبعة بمقتطفات من شعر كل الثقافات واستشهادات منه، ولم يكن همرشولد فى هذا مجرد قارئ أو مستهلك للأدب بل كان له مساهماته فى الشعر والترجمة وأهلته لأن يكون عضوا فى أكاديمية الأدب السوسرية عضوا فى لجنة نوبل للآداب.

ولعل هذا الجانب فيه نجده بشكل مكثف فى تأملاته Markings التى أودع فيها بصورة شعرية لما وصفه هو بأنها «الصورة الشخصية الحقيقية الوحيدة عن نفسه وحياته الباطنية ومفاوضاته مع نفسه ومع الله» والتى لايمكن أن يعرفها أحد غيره والتى كانت فى نفس الوقت مصدر معاناته وقوته.

لقد مرت خمسة وثلاثون عاما على رحيل داج همرشولد، فلماذا نستعيد سيرته ونموذجه اليوم وقد عاش وظهر فى عصر يختلف فى ظروفه وأزماته وعلاقات قواه وفى حجم المنظمة الدولية عن العصر الذى نعيشه اليوم وتعيشه المنظمة الدولية. وقد يبدو هذا التساؤل مشروعا للوهلة الأولى ولكن فى معاودة النظر سوف نجد أنه مع هذا الاختلاف فإن مجموعة المبادئ والقيم والأهداف التى تبناها همرشولد ودافع عنها سواء فيما يتعلق بدور المنظمة الدولية فى الحفاظ على السلام والأمن الدوليين وعدالة العلاقات الدولية وعالمية المنظمة وتمثيلها للقاعدة العريضة للمجتمع الدولى، أو فيما يتعلق بأدواتها ومناهجها لأداء هذا الدور واستقلالية جهازها وسكرتيرها العام وموضوعية وحيادة وعدم تعرضه لضغوط خارجية، إذا ما تأملنا هذه المبادئ سوف نجدها وثيقة الصلة بوضع المنظمة الدولية اليوم وزوايا النظر إليها وما هو متوقع منها فى ظل علاقات القوى المتغيرة وتشكيل نظام دولى جديد.

فبعد انحسار الحرب الباردة وصراعاتها التى انعكست لأربعة عقود على المنظمة الدولية وأثرت على إمكانياتها وفعاليتها ودورها بالصورة التى حددها الميثاق انتعشت الآمال فى أن المنظمة الدولية وقد تحررت من ضغوط الحرب الباردة سوف تصبح أكثر قدرة على تحقيق مبادئها ومقاصدها الأصيلة بل إن التوقعات قد ذهبت إلى أنه بعد اختفاء إحدى القوتين العظمتين التى كانت تشارك فى إدارة النظام الدولى فإن الأمم المتحدة هى المؤهلة لكى تملأ الفراغ وتصبح هى أساس وقاعدة النظام الدولى الجديد ومبادئها هى مبادئه الأمر الذى يضمن أن لا تنفرد قوة دولية واحدة بهذا النظام وتشكيله.

وحقا قد مرت أكثر من ثمان سنوات على انتهاء الحرب الباردة ولم يتحقق ما كان مأمولاً من دور بارز وفعال للأمم المتحدة بل إن دورها وصورتها قد تعرضت للتشكيك والتراجع فى عدد من الأزمات والصراعات التى ظهرت خلال هذه السنوات الأخيرة: الصومال البوسنة والهرسك وتجاوز دورها فى الأزمة العراقية . غير أن هذا لا يعنى التخلى عن التوقعات التى ارتبطت بنهاية الحرب الباردة حول دور فعال للمنظمة الدولية سواء فيما يتعلق بالأمن الجماعى أو القضايا البشرية ذات الطابع العالمى والتى تشكل جدول أعمال البشرية الحقيقى فى القرن المقبل وحيث الأمم المتحدة هى المؤهلة لإدارة الجهد الدولى فى التعامل مع هذه القضايا. غير أنه لكى يتحقق هذا لابد أن يظل قائما الخيار الذى طرحه همرشولد من ٣٥ عاما ووضع فيه المجتمع الدولى أمام خيارين: إما أن يختار منظمة دولية تعمل كمجرد جهاز لعقد المؤتمرات والمناقشات أو قوة فعالة فى منع الصراعات الدولية وتحقيق الأمن الجماعى وتسويات عادلة للمشاكل الدولية.

بالإضافة إلى هذا فإن ما يجعل سيرة همرشولد والمبادئ والقيم التى اعتنقها ودافع عنها صالحة للتذكر والاهتداء بها اليوم فهو ما تعرض له جهاز الأمم المتحدة فى شخص سكرتيرها العام السابق د. بطرس غالى من حملة وضغوط منٍ جانب قوة كبرى ذهبت إلى حد مطالبته بالاستقالة، وهو الوضع الذى يذكر بتجربة مماثلة مع همرشولد حين واجه غضب قوة دولية أخرى لأنها رأت أن أسلوب إدارة همرشولد للمنظمة لا يتفق مع مصالحها الخاصة ورغم ما كانت تلمسه من أن همر شولد يحظى بتأييد غالبية المجتمع الدولى، وهى نفس الظروف التى أحاطت ما واجهه سكرتير عام الأمم المتحدة الدكتور بطرس بطرس غالى. وهنا تبدو قيمة ودلالة تجربة همرشولد بالنسبة للمشهد الجديد فقد ركز أنه لا يدافع عن شخصة أو منصبه بقدر ما يدافع عن المنظمة الدولية ومستقبلها ومصداقيتها «فالشخص لا يهم ولكن المنظمة هى المهمة» وفى مواجهته للاتهامات التى وجهتها القوة الدولية الكبرى إليه فقد احتكم للقوى الصغيرة والمتوسطة التى اعتبر أنها صاحبة المصلحة الحقيقية للمنظمة ومن ثم فهى المؤهلة للحكم عليه وعلى أدائه وأخيرا فقد اعتبر أن ما تريد بعض القوى من سكرتير عام ضعيف وجهاز يخضع لضغوط وتوجهات القوى الكبرى أنما يعنى تجريد المنظمة من قيمتها ومصداقيتها ومن ثم من فعاليتها.

ونتصور أن هذه المبادئ والمعايير التى اعتمد عليها همرشولد فى الأزمة التى واجهته وواجهت الأمم المتحدة وفرضتها عليه إحدى القوى الكبرى عنئذ، هى نفس المبادئ التى حكمت موقف السكرتير العام الدكتور بطرس بطرس غالى وهو يواجه موقفا مشابها فى جوهره لما واجهه همرشولد، وهو الذى سيحكم، أو يجب أن يحكم موقف أى سكرتير عام قادم حين يتعرض وتعرض له كيان المنظمة لضغوط من أى قوة كانت.

سوف تنقسم روايتنا لحياة وفكر وعمل همرشولد إلى جزءين: يتضمن الأول حالة الأمم المتحدة التى سبقت مباشرة مجيء همرشولد حيث كان المشروع الشامل للنظام الدولي يواجه الإحباط فتبدو صورة المنظمة الدولية قاتمة بعد سبعة سنوات من تأسيسها بفعل الحرب الباردة ومنافساتها ولم تنعكس هذه الصورة على المنظمة الدولية من حيث أهدافها الأصيلة فحسب بل وكذلك على جهاز السكرتارية ومنصب السكرتير العام ومعهم مفهوم الخدمة الدولية الوليدة، وحيث كان هذا الجهاز يمر بحالة من هبوط المعنويات ولم يكن منصب السكرتير العام قد تأسس بعد على أسس آمنة وثابتة.

ويناقش هذا الجزء مجيء همرشولد بعد استقالة سلفه ترجفى لى بعد أن قاطعه الاتحاد السوفيتى ورفض التعاون معه، وظروف اختيار همرشولد كسكرتير عام وردود فعله الشخصية لهذا الاختيار، والتوقعات حول شخصه وأدائه. ويركز هذا الجزء بوجه خاص على تصور همرشولد للعلاقة الوثيقة بين دور ومكانة وأداء المنظمة الدولية وبين دور ومسئوليات السكرتير العام ومدى استقلاليته واستقلال جهاز السكرتارية وعدم خضوعه لتأثيرات ونفوذ قوى معينة. ويفصل هذا الجزء أفكار همرشولد حول جهاز السكرتارية ومنصب السكرتير العام وتطور تفكيره هذا بتطور تجربته فى الأمم المتحدة وتفسيره لمواد الميثاق حول صلاحيات السكرتير العام فى المبادرة وملأ الفراغ الناجم عن عدم حركة مجلس الأمن أو محدودية قرارات الجمعية العامة وتبدو قيمة هذا الجانب فى أنه يمثل على المستوى الفكرى والعملى تراث همرشولد الحقيقى وكما بدا فى أزمات فعلية واجهتها المنظمة والمجتمع الدولي. كما يتضمن هذا القسم الأول من الكتاب تعريفا بجوانب حياة همرشولد فى مراحلها المختلفة وأصوله الأسرية باعتبارها من أكثر مصادر التعرف على شخصيته ومكوناتها وعلى تربيته الذاتية وتكوينه الدرامى والأكاديمى والفروع التى تخصص فيها فى جامعات أو بسالا

واستكهولم وباريس، ثم صعوده الوظيفى والمناصب التى شغلها فى المؤسسات السويدية وخبرته فى الاجتماعات والمنظمات الأوربية بعد الحرب الثانية مباشرة ويكمّل هذا الجانب الشخصى فى حياة همرشولد اهتماماتة الأصيلة فى الأدب والفن قارئا ومبدعا باعتبار أنها كانت من مصادر قوته الباطنية وتكامله الشخصى.

أما القسم الثانى من الكتاب فهو يمثل التطبيق العملى لأفكار همرشولد خلال السنوات السبع فى عمله كسكرتير عام للأمم المتحدة ولأدائه خلال هذه السنوات وكيف تعامل مع الأزمات التى واجهت المنظمة فى مناطق العالم المختلفة، ويركز هذا القسم على عدد من الأزمات التى بدا فيها بوضوح وثبات دفاع همرشولد عن مبدءين ومفهومين: مفهوم الأمم المتحدة كمنظمة نشطة سياسيا، ومفهوم استقلالية جهاز السكرتارية والسكرتير العام. فى هذا سيبحث هذا القسم فى أزمات الموظفين الدوليين التى ظهرت فور توليه منصبه بل وورثها عن سلفه، ثم أزمة الطيارين الأمريكيين فى الصين الشعبية، وأزمتى السويس عام ١٩٥٦ والكونغو عام ١٩٦٠ وخلافه مع الاتحاد السوفيتى فضلا عن قضيتين لهما طابع الشمول هما قضية الدول المستقلة حديثا ومكانها فى المنظمة الدولية والمجتمع الدولى وما يفرضه هذا من مسئوليات على المنظمة الدولية ثم قضية نزع السلاح التى كانت قد بدأت تستقطب اهتمام المجتمع الدولى بالنظر إلى تسارع سباق التسلح وأبعاده الجديدة مهددة للجنس البشرى. ويختتم هذا القسم الثانى بتفصيل الجانب الفكرى والفلسفى وشخصية داج همرشولد كما انعكس أساسا فى تأملاته الشعرية والفلسفية.

وأخيرا نورد الإشارة إلى المصادر الرئيسية التى اعتمدنا عليها فى إعداد هذا الكتاب حيث استقينا مادته أساسا من:

(أ) كتابات مؤرخى حياة همرشولد الشخصية والعامة وجميعهم أما عملوا معه بشكل وثيق فى الأمم المتحدة أو الذين كانوا ضمن المجموعة المحدودة من أصدقائه الشخصيين أو الباحثين والمتخصصين فى شئون الأمم المتحدة وفى مقدمة هؤلاء: Brian Urquhart.

الذى قدم أشمل وأدق رواية لحياة همرشولد وكتبها بتكليف من مؤسسة داج همرشولد وبموافقة وتصديق الأمم المتحدة وقد اختير إيركهارت لهذه المهمة باعتبار تاريخه الطويل فى الأمم المتحدة وحيث عمل فيها لمدة ٤٥ عاما وعاصر خلالها خمسة من السكرتيرين العامين ووصل منصب سكرتير عام مساعد عام ١٩٨٢ وكذلك Andrew Corider والذى عمل فى سكرتارية الأمم المتحدة منذ أيامها الأولى حتى ديسمبر عام ١٩٦٠ كمدير للصحافة والنشر وكمتحدث للسكرتير العام خلال فترات تريجفى لى وهمرشولد وكان ضمن المجموعة الصغيرة التى كانت قريبة جدا وعلى صلة عمل يومية مع همرشولد، وعلى المستوى الشخصى كانت رؤية Bo beskow الفنان والرسام السويدى الذى بدأت صلته بهمرشولد حين كلفه البنك المركزى السويدى برسم صورة شخصية لهمرشولد ثم توطدت العلاقة بينهما وصار من أقرب أصدقائه ولذلك وصف كتابه عن همرشولد بـ (شخصى جدا).

وتقع ضمن هذه المجموعة من المصادر كتابات الباحثين والمهتمين بشئون الأمم المتحدة ومن أبرزهم فى هذا الوقت: Josephlash وكان أول من أرخ لحياة همرشولد بعد مباشرة عام ١٩٦٢، وكذلك Richard Miller والذى عالج حياة همرشولد من خلال دبلوماسية الأزمات.

(ب) أما المستوى الآخر من المصادر فقد تمثل فى بيانات وخطب وتصريحات همرشولد منذ أن تولى مهام منصبه والتى ألقاها فى الأمم المتحدة وفى تقديمه لتقاريرها السنوية وفى العديد من المناسبات التى دعى

إليها فى الجامعات والمؤسسات المختلفة فى الولايات المتحدة وخارجها وتبدو جميعة هذه الوثائق فى الدلالة على فكر همرشولد من حقيق أنه كان يكتب بياناته وخطبه بنفسه.

(جـ) أما المصدر الثالث فكان مجموعة تأملات همرشولد الروحية التى سجلها على فترات زمنية منذ عام ١٩٢٥ حتى أغسطس عام ١٩٦١ ومن ثم عكست نموه ومشاغله الفلسفية والروحية وهى التأملات التى كان يحتفظ بها لنفسه ثم صدرت بعد وفاته تحت عنوان: Markings.

بهذه المادة ومصادرها الأصيلة نرجو أن نكون قد قدمنا صورة صادقة عن هذه الشخصية النادرة وعن فترة حافلة من تاريخ المنظمة الدولية.

د. السيد أمين شلبى

المعادى - ١٩٩٨

حالة الأمم المتحدة قبل تولى همرشولد

تعتبر منظمة الأمم المتحدة آخر وأكثر محاولات الإنسان تقدما لبناء منظمة يمكن أن تنسق سياسات وأعمال الدول المتصارعة وقد وصلت التجربة الكبرى الأولى فى النظام الدولى وهى عصبة الأمم: League of Nations وبعد بداية مشجعة، إلى درجة العجز لأنها افتقدت الإرادة والقدرة على المقاومة الجماعية لعدوان الثلاثينات والذى بلغ ذروته بالحرب العالمية الأولى. ومنذ السنوات الأولى لهذه الحرب، بدأت المناقشات للبحث عن بديل للعصبة أكثر فعالية. ففى إعلان لندن فى ١٢ يونيو ١٩٤١ أعلنت الأمم التى كانت تحارب ضد ألمانيا وإيطاليا نيتها على العمل معا ومع الشعوب الحرة الأخرى لإقامة «عالم متحرر من خطر العدوان يمكن الجميع من أن يستمتعوا بالأمن الاقتصادى والاجتماعى «أما اسم الأمم المتحدة: United Nations فقد ظهر لأول مرة فى إعلان الأمم المتحدة يناير ١٩٤٢ ومركزا على الاتحاد فى الحرب ضد عدو مشترك أكثر من التعاون فى السلام بعد تحقيق النصر.

وقد جاءت الأمم المتحدة بشكل أكثر نتاجا للحرب العالمية الثانية وثبت بعد ذلك عدمْ صحة الافتراضين اللذين قامتا على أساسهما، فقد تصور من فكروا فى صيغة الأمم المتحدة أن تحالف القوى التى كسبت الحرب سوف يستمر وسوف يواصل الإشراف على السلام وحمايته وقد قام

دور مجلس الأمن، باعتباره الجهاز الرئيسى للمنظمة الوليدة لردع العدوان والتعامل مع تهديدات السلام وبالقوة إذا استدعت الضرورة، قام إلى حد كبير على أساس هذا الافتراض، غير أن تحالف وتناسق الدول الحليفة لم يصمد أكثر من الشهور الأخيرة للحرب العالمية الثانية حيث تبدلت كلٌ من طبيعة وعلاقات قواها: فالصين التى حضرت مؤتمر سان فرانسسكو لم تعد هى الحكومة الفعالة التى تحكم أكثر الأمم سكانا على الأرض .

كما قد تغير وضع ومكانة عضوان دائمان آخران هما إنجلترا وفرنسا حيث أخضعت الحرب قوة ونفوذ هاتين القوتين العظميين الاستعماريتين فضلا عن الواقع الجديد لعالم القرن العشرين وأخذ وضعهما الدولى يتدهور بثبات، وحل محل وضعهما المسيطر عملاقان جديدان متنافسان هما الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى.

أما فيما يتعلق بالافتراض الثانى الذى قام عليه ميثاق الأمم المتحدة فإنه حتى لو كان حلفاء الحرب قد ظلوا متحدين فإن هذا الافتراض قد تعرض إلى الاهتزاز بشكل حاد حتى قبل أن يبدأ تنفيذ هذه الوثيقة وذلك بفعل التفجير الذرى الذى وقع على هيروشيما وناجازكى. فقد نص واضعو الميثاق، وفى أذهانهم عدوان الثلاثينات، على أن على مجلس الأمن أن يعبئ وأن يستخدم إذا كان ذلك ضروريا، قوات عسكرية تقليدية لردع أو هزيمة المعتدين، ولم تكن الوفود التى حضرت مؤتمر سان فرانسسكو فى بداية صيف عام ١٩٤٥ ، ربما باستثناء وفد أو وفدين، تعلم أنهم وهم يضعون اللمسات الأخيرة للميثاق أن المفهوم التقليدى للحرب كان يمر بمرحلة ثورية نتيجة ظهور أسلحة جديدة للدمار الشامل، فقد غير ظهور هذه الأسلحة بشكل جذرى كلا من طبيعة الحرب وعلاقة القوى العظمى

وجهدها بعد ذلك فى توازن للرعب قلص إلى حد كبير حرية عملهم فى المسائل المتنازع عليها والتى تدخل ضمن مناطق نفوذهم ومثل هذا التغير الأساسى فى المسرح السياسى العالمى والمواجهة الأيديولوجية للحرب الباردة جعل فكرة الميثاق عن الأمن الجماعى ضد العدوان وبشكل متزايد ضعيفة الصلة بوقائع ما بعد الحرب.

وقد كان من الطبيعى بالنسبة لعالم أرهقته وأمرضته سنوات من الرعب والدمار أن يمنى النفس بآمال بمنظمة دولية «تنقذ الأجيال القادمة من لعنة الحرب» غير أنه بعد أن تلاشت الابتسامات التى سادت فى سان فرانسسكو بدا الإدراك تدريجيا بأن حالة العلاقات الدولية مازالت كما كانت، الأمر الذى بدأ يثير خيبة الأمل ويبدد الوهم حول الأمم المتحدة وبالنسبة لأعضائها أو بالتحديد البعض منهم الذين كانت سياستهم مسئولة إلى حد كبير عن هذا الإحباط فقد كان من الأيسر لهم أن يلوموا المنظمة أكثر من أن يعترفوا بالأسباب الحقيقية لعدم فاعليتها. وهكذا وبمجرد أنشائها فإن هؤلاء الذين لم يثقوا أساسا فى التنظيم الدولى قد انضم إليهم هؤلاء الذين تعرضت آمالهم وحماسهم للخيانة وشكلوا معا جوقة لنقد الأمم المتحدة وإدانتها.

وقد ظهرت بعض المحاولات للتغلب على الإحباط والعجز الذى أصاب مجلس الأمن نتيجة لحالة الاستقطاب الدولى الذى شل فعاليته وذلك بالبحث عن أساليب أخرى يمكن من خلالها تحقيق الوظيفة الأساسية للأمم المتحدة.. ففى عام ١٩٤٧ اقترح جورج مارشال وزير خارجية الولايات المتحدة إمكان إعادة تكييف الجمعية العامة بحيث تملأ الفجوة الناجمة عن شلل مجلس الأمن، وفى وجه معارضة سوفيتية قوية، وافقت الجمعية العامة على مشروع وقرار ينص على إنشاء لجنة مؤقته: Interim Committe.

تعرف بـ «الجمعية الصغيرة» تكون متاحة بشكل دائم للنظر فى المنازعات الدولية رغم أنها لا تملك القوة التنفيذية التى يملكها مجلس الأمن، ولهذا لم يكن مثل هذا الترتيب فعالا.

وقد كان من نتيجة ذلك كله وبعد أن أصبح مجلس الأمن وبشكل متزايد ضحية الخلاف والتباعد بين الشرق والغرب بدأت الحكومات تبحث خارج نطاق الأمم المتحدة عن ترتيبات للأمن القومى وهى الترتيبات التى تجسدت فى صورة أحلاف كان أبرزها حلف الأطلنطى ووارسو.

وفى عام ١٩٥٥ واجهت الأمم المتحدة أقسى اختبار لها خلال سنواتها الخمس. فقد انسحب الاتحاد السوفيتى من مجلس الأمن بعد فشل اقتراحه بأن تحل حكومة الصين الشعبية محل الصين الوطنية فى مجلس الأمن. وقد توافق مع هذا غزو كوريا الشمالية لكوريا الجنوبية وإدانة مجلس الأمن لهذا الغزو، فى غيبة الاتحاد السوفيتى ودعوته لوقف العدوان ومطالبته الدول للمساعدة على تنفيذ هذا القرار بتكوين قوات للأمم المتحدة تحت قيادة أمريكية وهكذا وبإحدى نزوات القدر ارتبطت المنظمة بعمل عسكرى جماعى توجهه قوة عظمى واحدة.. وقد استمرت الحرب الكورية ثلاث سنوات كانت خلالها الأمم المتحدة ومجلس الأمن أكثر انقساما من ذى قبل بل إن الأمر قد انسحب على سكرتير عام الأمم المتحدة تريجفى لى حيث أدى تأييده لمبادرة الولايات المتحدة حول كوريا إلى إدانة الاتحاد السوفيتى له واستخدامه الفيتو ضد إعادة انتخابه. ورغم أن الجمعية العامة قد صوتت فى صالح بقاء تريجفى لى فى منصبه ثلاث سنوات أخرى إلا أن الاتحاد السوفيتى أعلن أنه لن يعترف به ولن يتعاون معه الأمر الذى حد من فعاليته واضطره فى النهاية إلى الاستقالة. وقد أثر هذا التطور بشكل سلبى على دور وتصور منصب السكرتير العام ونال مما استحدثه الميثاق من إمكانية تحول للدور السياسى للسكرتير العام كأداة ممكنة لملأ الفراغ فى

مسائل الأمن والسلام الدوليين والذى ينجم عن عدم قدرة مجلس الأمن على التصرف.

وهكذا بدا مستقبل الأمم المتحدة بعد سبع سنوات من إنشائها قاتما، وبدا مفهوم الميثاق عن السلام والأمن الجماعى ونزع السلام قد هجر من جانب الدول الأعضاء لصالح مواثيق دفاعية إقليمية والتى كانت تفترض بشكل ضمنى أنه إن عاجلا أو آجلا فإن العالم يمكن أن يشهد حرباً جديدة وبدلا من مفهوم الوحدة الأساسية التى تأسست عليه سلطة مجلس الأمن فإن الانقسام والعداء المتبادل لهذه القوى قد سيطر على المسرح الدولى وسخرت من آمال سان فرانسسكو. وفى الوقت الذى كانت فيه عدد من الحكومات تبدى فيه كلاما معسولا عن الأمم المتحدة، كانت تحاول إخفاء احتقارها للمنظمة التى أنشأتها، ولجأت بشكل متزايد إلى مختلف أشكال الواقعية السياسية رغم وضوح حقيقة أنه فى عصر ذرى فإن مثل هذه السياسات الواقعية كانت جديرة فى المدى الطويل أن تكون أقلها واقعية.

وعلى الرغم من أنه فى عام ١٩٥٢ لم يكن هناك دلائل محددة تبشر بتحول فى هذا المزاج الانهزامى السائد حول الأمم المتحدة ومستقبلها، إلا أن العام قد انتهى بظهور بعض خيوط من الأمل فى مناخ دولى أكثر استرخاء، فمن ناحية حلت فى الولايات المتحدة الأمريكية إدارة أمريكية جديدة بزعامة ايزنهاور- جنرال الحرب المتطلع للسلام- محل إدارة ترومان التى صاغت إطار وقواعد الحرب الباردة. ومن ناحية أخرى ومع الشهور الأولى منذ عام ١٩٥٣ توفى ستالين الذى كان يرمز على جانب السوفيتى- إلى حدة التوتر والتشدد الدولى. وفيما يتعلق بالمنظمة الدولية ذاتها والتى كان جهازها وسكرتيريتها مازالت تعانى من التفكك وتدنى معنويات موظفيها، إلا أن انتهاء الطريق المسدود الذى كانت قد بلغته مشكلة السكرتير العام، والتوصل بين القوى الكبرى على ترشيح سكرتير

عام جديد، وكان هذا فى ذاته من علامات ما كان مأمولا من مناخ جديد. غير أن هذا التطور لم يكن يخفي حقيقة أن إحياء الثقة فى إمكانية الأمم المتحدة كمنظمة للحفاظ على الأمن والسلم الدوليين وعلى الاستخدام الكفؤ والخلاق لمواد الميثاق التى أتاحت للسكرتير العام مجالا للحركة ومحاولة ملأ الفراغ الناجم عن شلل مجلس الأمن. كل هذا كان يعتمد على توفر قيادة من نوع جديد ماهرة وتكرس نفسها وبتصميم للدفاع عن مبادئ الميثاق ومقاصده ويبدو أنه من حسن الحظ أن هذه الصفحات قد توفرت بوصول الأكاديمى ورجل الدولة والدبلوماسى السويدى داج همر شولد (*).

(*) فى عام ١٩٤٤ كون المعهد الملكى للشئون الدولية فى لندن مجموعة من الرسميين السابقين فى عصبة الأمم لكى يضعوا المواصفات التى يجب أن تتوفر فى سكرتير المنظمة الدولية فى المستقبل وقد ذكرت فى تقريرها أن الصفات التى يمتلكها رئيس الخدمة الدولية ليست سهلة التحديد، إنه يجب أن يكون صغير السن ذا خبرة سياسة ودبلوماسية، وإن كان ليس من الضرورى أن يكون ذا شهرة كبيرة أو شخصية بارزة، وقبل كل شىء فإن القدرة على الإدارة - بأوسع معنى، هو أمر هام، وأن يكون ديناميكيا وأن يأخذ المبادرة وأن يعرف قضيته، وأن يدرك متى يقتنع بأن يكون موظفا إداريا، ومتى أن يكون وسيطا يسهل بشكل غير متحيز الصعاب، وعاملا مساعدا فى المفاوضات. وفى منظمة جديدة سوف تكون الصفات الوحيدة التى يجب أن تتوفر فى كل الظروف هى صفات الإدراك السليم، الشجاعة وتكامل الشخصية Integrity واللياقة.

ترشيح همرشولد وانتخابه

فكيف وصل همرشولد إلى المسرح الدولى، وكيف جرى ترشيحه وانتخابه وأهم من هذا كيف كانت ردود فعله الشخصية إزاء هذا التحول فى حياته والمسئوليات التى ألقيت عليه؟

فى ١٠ نوفمبر عام ١٩٥٢ قدم ترجفى لى أول سكرتير عام للأمم المتحدة استقالته، والتى ظل محتفظا بها لفترة طويلة إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة وقال فى تقديمه لاستقالته «إننى أتنحى الآن وأتمنى أن يساعد هذا الأمم المتحدة لإنقاذ السلام ولخدمة قضية السلام والتقدم والحرية فى العالم بشكل أفضل».

والواقع أن هذه الاستقالة كانت ذروة أكثر من عامين من المرارة والاضطراب كان السكرتير العام خلالها فى قلب العاصفة. ففى مناخ الحرب الباردة السيىء حكم على أول سكرتير عام أن يناضل بنجاح لإقامة الجهاز الإدارى للأمم المتحدة والبحث عن مقر دائم للمنظمة وسط مشاحنات وخلافات بين الحكومات والمهندسين والمشكلات المالية والعملية الضخمة غير أن مشكلة السكرتير العام الحقيقية قد بدأت وتطورت بتأييده لقرار مجلس الأمن مقاومة غزو كوريا الشمالية لكوريا الجنوبية بالقوة وهو الموقف الذى وضعه فى صراع مباشر مع الاتحاد السوفيتى والذى تجاهل وجوده منذ أكتوبر عام ١٩٥٠ ورفض كل أشكال التعاون معه.

ورغم أن لى قد قدم استقالته فى نوفمبر عام ١٩٥٢ إلا أن البحث عن سكرتير عام جديد للمنظمة أثبت أنه لم يكن أمرا هينا ولم يتحقق إلا فى ١١ مارس ١٩٥٣ .وقد شرع مجلس الأمن بعد استقالة لى فى سلسلة من المشاورات والجلسات السرية للنظر فى المرشحين الذين تركزوا فى البداية فى ثلاثة: كارلوس رومولو الفلبينى، والذى كان يحظى بتأييد الولايات المتحدة، وليستر بيروسون الكندى الذى اقترحته الدانمرك وأيدته بريطانيا وفرنسا، وستانسلاف سكرتير وسكى البولندى وكان مرشح الاتحاد السوفيتى. غير أن الانتخابات التى جرت حول هذه الأسماء لم تصل إلى نتيجة. كذلك فشلت المشاورات التى جرت من الأعضاء غير الدائمين للتوصل وتقديم مرشحين جدد كان منهم: مسز بانديت شقيقة رئيس الوزراء نهرو، ومرشحين من تايلاند وإيران، والمكسيك وباكستان ولبنان وقد عاد ترجفى لى بعد أن شاهد هذا الفشل فى التوصل إلى مرشح يعرض استعداده لأن يستمر إن لم يكن هناك حلا وهو العرض الذى تلقى فى الحال تأييد الولايات المتحدة ولم يظهر الممثلين البريطانى والفرنسى حماسا كافيا لهذه الفكرة. وهنا اقتراح المندوب الفرنسى Henri Hopemot أسلوبا جديدا بتقديم أربعة أسماء مقبولين من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ليختارا أيا منهم، وقد قبل الاتحاد السوفيتى هذا الاقتراح وهنا اقترح المندوب البريطانى Galdwyn Jebb، وأيده المندوب الفرنسى، أن يكون داج همرشولد وزير الدولة فى وزارة الخارجية السويدية واحدا من الأربعة وعلى مدى أربعة أيام من المشاورات غير الرسمية أبلغ المندوب البريطانى مجلس الأمن أن الأعضاء الدائمين قد وافقوا على ترشيح داج همرشولد، وقدم المندوب الفرنسى اقتراحا رسميا فى هذا الشأن وأعلن أندريه فيشنسكى المندوب السوفيتى تأييده لهذا الترشيح «لكى يحل محل الشخص الذى يؤدى حاليا وظائف السكرتير العام». وقد رحب كل الأعضاء بهذا التطور فيما عدا ممثل حكومة الصين الوطنية التى امتنعت عن التصويت والتى

يفترض أنها فعلت ذلك بسبب اعتراف السويد بحكومة الصين الشيوعية وأشار المندوب البريطانى أن أحداً لا يعرف حتى الآن إن كان همرشولد سوف يقبل هذا الترشيح.

أما همرشولد فقد اندهش عندما وصله تلغراف يقول« بالنظر للأهمية البالغة للمنصب، وبشكل خاص فى الوقت الراهن فإن أعضاء مجلس الأمن يعبرون عن أعظم الأمل فى أن توافق على قبوله» وقد عبر بعد ذلك بفترة عن دهشته لهذا التحول فى حياته بقوله «لقد التقطت ببساطة من القبعة».

وبعد أن تشاور مع رئيس الوزراء ووزير الخارجية وحصل على إعفائه من عضوية الوزارة توجه همرشولد لزيارة أبيه فى المستشفى قبل أن يبعث بموافقته النهائية التى قال فيها: «بشعور قوى بعدم الكفاية الشخصية ترددت فى قبول الترشيح ولكن أشعر أنى لا أستطيع أن أرفض المهمة التى ألقيت على».

وبعد ذلك وصف الدبلوماسى السويدى جوناريارنج رد فعل همرشولد: لقد كان رد الفعل الذى يمكن وصفه بشكل دقيق بألم عدم اليقين «هل على حقا أن أقبل؟ أليس هناك أحد آخر متاحا؟ ولكنه عندئذ كان قد أدرك أن قبوله أمر لا مفر منه، وبمجرد أن غادرت برقية قبوله استكهولم اختفت محنته وكأنها بضربة سحرية ولم يعد هناك تردد أو افتقار للتصميم، لقد قرر أن يقبل ونذر نفسه للأمم المتحدة، وعلى الرغم من دهشته وتردده الأول فقد رحب همرشولد بعد ذلك بهذه الفرصة التى لا مثيل لها والتى قدمت إليه لاستخدام قدراته على نطاق أوسع من ذى قبل، وفى مذكراته وتأملاته كتب يقول: «أن تكون حرا، أن تكون قادرا على الصمود وترك كل شىء دون أن تنظر إلى الخلف: أن تقول نعم» وباختصار فقد نظر همرشولد إلى منصبه الجديد بتواضع وبشىء من الخشوع.

وفي ٤ أبريل عرض همرشولد مشروع خطبته أمام الجمعية العامة على بعض أصدقائه الذين لاحظوا أنها تبدو مسرفة في التواضع، وأن دول العالم لم تنتخبه كي تسمع منه أنه قادم إلى نيويورك لكي يتعلم الوظيفة. وقد عدل همرشولد فيما بعد من مشروعه وأفصح لأصدقائه أنه ينوى أن يعيش بشكل بسيط جدا في نيويورك وأن يعيد للأمم المتحدة معظم مخصصاته.

ومن المفارقات التي سوف تبدو بعد ذلك أن اتفاق القوى الكبرى على ترشيح همرشولد - خاصة بعد أن اتخذ سلفه ترجف لي موقفا قويا من بعض القضايا - كان مدفوعا برغبتهم وتحققهم أن يروا في هذا المنصب شخصا يركز أساسا على المشكلات الإدارية والذي سوف يمتنع عن إلقاء البيانات العامة حول القضايا السياسية والسلوك السياسي للمنظمة، وظنوا أنهم عثروا على مثل هذا الشخص الذي لا لون له في شخص همرشولد وقد دعمت تعليقات معظم الصحف عنه هذا التصور حين وصفته بأنه متباعد والمثقف الذي ليس له تاريخ سياسي. وفي أول وصف له عن تصوره لمنصبه قال همرشولد «إن الجانب الشخصي في الرجل يجب أن يختفي وأن يحل محله الرجل العام. وهذا الرجل العام موجود لكي يساعد هؤلاء الذين يتخذون القرارات التي سوف تشكل التاريخ، إن عليه فيما أرى أن يستمع ويحلل ويتعلم وأن يفهم بشكل كامل القوى التي تعمل والمصالح التي تتعرض للخطر حتى يتمكن أن يقدم النصيحة الصحيحة حين يتطلبها الموقف، ولا أظن أن أتباع هذا الخط هو موقف سلبي من التطورات بل إنه دور أكثر نشاطا ولكنه دور نشط كأداة وكعامل مساعد وربما مصدر إلهام» «وقد أنهى همرشولد تصوره بالإشارة إلى متسلق الجبال وهو التصور الذي سوف يلازمه طوال حياته» إن الصفات التي يتطلبها متسلق الجبال هي تلك

التى أشعر أننا فى حاجة إليها، المثابرة، والتصميم والصبر، واستيعاب صارم للواقع والتخطيط الحريص ولكنْ ذو الخيال ووعى واضح بالأخطار ولكن أيضا بحقيقة أن المصير هو ما تصنعه وأن أكثر من يتسلق أمانا هو الذى لا يشكو أبدا فى قدرته على التغلب على الصعاب».



تربية همرشولد: مصادر القوة

«فى الأدب المزدهر عن فن الحياة ثمة حديث كبير حول هذه الصفة النادرة:نضج العقل maturity Of Mind إنه يبدو فى غياب الخوف، فى الاعتراف بحقيقة أن المصير هو مانصنعه .... وأن كرامة الإنسان، كتبرير لإيماننا بالحرية، يمكن أن تكون جزءا من عقيدة حياتنا، وإذا ماتحولنا إلى النظر للحياة حيث نضج العقل يفسر أكثر من النجاح الخارجى، وحيث لاتقاس السعادة بشروط كمية... وليس هناك صيغة تعلمنا كيف نصل إلى النضج مثلما ليس هناك قواعد للغة الحياة الباطنية.. وقد يندهش البعض من مثل هذا الأسلوب لتناول التطورات الخارجية فى الحياة الدولية..، كما أن من يتصفون بالواقعية قد ينظرون إلى ماحاولت أن أقوله كمجرد كلمات جميلة تتصل بشكل غير واضح بالحياة اليومية والعمل السياسى، وسوف أتحدى هذا النقد . إن الأفكار التى شاركتكم فيها حول الخدمة الدولية هى خلاصات من أكثر الخبرات العملية. أن السياسة والدبلوماسية ليست تلاعبا بالإرادة أو المهارة حيث النتائج مستقلة عن شخصية هؤلاء المرتبطين باللعبة. إن النتائج تتحدد ليس بالقيم المصطنعة وإنما بتماسك الممثلين فى جهودهم، وبصلاحية أفكارهم ومثلهم، وعلى عكس الاعتقاد الشائع ليس هناك نشاط اختبر بشكل قاسٍ صلابة الرجل أكثر من السياسة إن مايبدو من نجاح سهل مع الجمهور هو أمر ممكن بالنسبة للمتلاعب أما النتائج ذات الدوام فلا يحققها إلا البناء الصبور Paitient Builder» .

كانت هذه الكلمات التى تحدث بها همر شولد أمام جامعة چون هويكنز عام ١٩٥٥ تعبيرا عن الموضوع الرئيسى لحياة همر شولد الناضجة وعن بحثه الدائب عن «نضج الفكر» والذى اعتبره المصدر الرئيسى للقوة الفردية والأساس الذى لاغنى عنه للأداء الناجح للمسئولية العامة. وبالنسبة للسكرتير العام للأمم المتحدة بوجه خاص فإن البحث عن نضج الفكر له معنى عملى وملزم فالسكرتير العام بكل بروزه، إنما يتمتع فى الواقع بالقليل من روافد السلطة أو القوة، ولكن قوة منصبه تكمن أولا وقبل كل شىء فى قوة شخصيته وقدرته وشجاعته الأدبية، وبدون هذه الصفات فإن السكرتير العام لن يكون أكثر من صدفة فارغة من الأهداف والمبادئ المدوية ولكنها نوايا غير محققة بشكل كبير. لذلك كان اهتمام همر شولد بالأخلاقيات الشخصية ونضج الفكر والقوة الروحية أكثر بكثير من خاصية شخصية لرجل نبيل المشاعر. وقد استخدم همر شولد دائما كلمة «التكامل» Integerity وكانت مفتاح شخصيته ولم يكن التكامل عنده يعنى فقط النقاء والشرف، ولكن أيضا رؤية الحياة ككل متماسك يخضع فى كل أجزائه لنفس قواعد السلوك ومستويات الأداء وقد اقتربت إحدى صديقات همر شولد وهى المثالة الإنجليزية بربارا هبورت من الوصف الدقيق لهذه الصفة حين قالت: إن لدى داج همر شولد تصورا صارما للمبادئ الجمالية تماما كما لو كانت حول مبادئ أخلاقية ومعنوية وأعتقد أنها كانت بالنسبة له شيئا واحدا.

فإذا أردنا أن نفهم همر شولد كفرد، والنظرة والخصائص التى حملها لمهمته كسكرتير عام للأمم المتحدة فليس هناك مكان أفضل لكى نبدأ منه ونتعرف على أصول وروافد هذه الخصائص من عائلته.

وكما ذكر هو: «أن تكون مخلصا لميراث الإنسان فى كل فرديته فإنه كذلك الطريق للفهم الحقيقى لميراث الآخرين». وبعد أن حملته وظيفته فى

الأمم المتحدة إلى كل القارات لاحظ «بعد أن يواجه عالم الآخرين فإن الذى يتعلم أن من يستوعب كلية مايقدمه له عالمه الخاص إنما هو مزود بشكل أفضل لكى ينتفع بما هو كائن خارج حدود هذا العالم».

وقد كانت عائلة همر شولد جزءاً من الارستوقراطية السويدية ولكنها لم تكن ارستوقراطية النبلاء وملاك الأراضى وإنما ارستوقراطية الخدمة المدنية Civil Service وحيث كان من تقاليدها العمل الشاق الذى لايكل ولايتعب وحيث الرجل النبيل هو الذى يعمل بشكل شاق أكثر من أى شخص آخر. كذلك كان جزء من تقاليد هذه الارستوقراطية شعارا لها «إن هذه الأرض سوف تبنى على القانون» كما وصفت الارستوقراطية السويدية بأنها «مشربة بالقانون».

ولم يكن من الأكيد أن يدخل همر شولد الأب الخدمة المدنية فقد كانت اهتماماته المبكرة أدبية وفلسفية ولكنه أخذ القانون كطريق لدعم دخل الأسرة - بعد أن تعرضت للخسارة فى مضاربات ومشروعات محلية وحيث لم تصل إلى وضع آمن إلا بعد نضال مرير. وفى مجال القانون حقق الأب تقدما وصل به أن يكون وزيرا للعدل. وقد كانت شخصية الأب صارمة ومسيطرة وذات عقائد حازمة والتى رآها معارضيه السياسين كرجعية، فيما اعتبرها هو إخلاصاً محافظاً للماضى. وقد كان داج أصغر أبناء الأسرة ولد فى ٢٥ يوليو عام ١٩٠٥ وكان أكثرهم اقترابا من أمه ومرتبطا بها بشكل خاص وكثيرا ما تخلى عن مصالحه لكى يكون قريبا منها ومفيداً لها، وقد أثار أصدقاؤه هذا الاعتبار فى تفسيرهم عدم زواجه. وعندما كانت العائلة تقيم فى أوبسالا كانت تعيش فى قلعة مهيبة تعود إلى القرن ١٥ وكانت تطل على أوبسالا، ويتذكر أحد زملاء داج فى المدرسة «كان هناك شعور لطيف فى الأسرة وكان جميع أفرادها يعملون بشكل شاق وكانت الأم سيدة رائعة ناعمة وكان من الواضح أنها تجد صعوبة فى التعامل مع خمسة

رجال يعملون بشكل شاق ويهتمون فقط بإنجاز عملهم وكانت امرأة مثقفة، ولكن تمثل بعدة نواحٍ الاتجاه العاطفى والأسرة» وذكر صديق آخر «لقد كانت تماما مالم يكنه الأب، فحيث كان الأب شخصية وعرة يميل إلى استخدام السلطة إلى درجة الوقاحة، كانت الأم مقبلة بحماس وحيوية تبدى الألفة تجاه كل فرد حولها وبدفء إنسانى كبير» وكان الأب يقول «إذا كان لدينا موهبة داج فى التعامل مع الناس فقد كنا سنتقدم بشكل كبير» مثل هذه الموهبة كانت تعود إلى الأم.

وفى أوبسالا سواء فى المدرسة الثانوية أو الجامعة كان داج همر شولد أكثر الطلبة تألقا وقد تذكر أحد زملائه «أعتقد أنه كان يحصل على أفضل شهادة امتحان منذ مائة عام» وكان مبرزا فى كل الموضوعات وفوق كل شىء فى اللغات والرياضيات.

وحيث يكون أفضل التلاميذ فى الفصل فثمة مسافة تفصله عن الآخرين، وحيث تصبح المودة والألفة من الأمور التى يصعب تحققها فى العلاقات اليومية. وقد كان زملاء همر شولد فى الفصل فخوريين به ويحترمونه ولكن لايحبونه. وقد أسهم هو نفسه فى ذلك باعتبار أنه بالفعل كان متباعدا قليلا وغير راغب أن يمد جسور المودة لأحد خارج عائلته بل وربما خارج حدود والدته. وفى جامعة أوبسالا حينما درس الأدب وفقه القانون والاقتصاد لم يكن يشترك فى ألوان التسلية والترفيه ولم يكن مهتما بالفتيات والرقص. وفى الأمسيات التى كان الآخرون فى الخارج للرقص كان هو منكبا على العمل. وبالإضافة إلى إشباع ذاته كان هناك والده القوى الذى كان يريد منه أن يعمل بشكل شاق وأن يتقبل ضرورة العمل، وقد قبل الابن التحدى وحيث كان الطلبة يقيمون فى مساكن الطلبة كان همر شولد يسكن مع عائلته فى القلعة المخصصة للحاكم وهو والده، غير أن هذا الوضع المميز لم يجعل منه شخصا مدللا، فقد كان ولدا قويا وإن كان

قد برز فى الألعاب الرياضية إلا أنه لم يكن يشترك فى الأعمال الطائشة للشباب وقد تذكر أحد زملائه «لقد كان موهوبا فى حل المشكلات والتوصل إلى حلول عند اختلاف الآراء، إلا أنه لم يكن ناعما ولم يكن أحد يستطيع فرض إرادته عليه».

وفى تكوينه الثقافى المبكر لم تكن الكلية أو المكتبة هى فقط التى حركته فقد كانت هناك اهتماماته الأدبية الواسعة النطاق التى كانت تنعكس على المائدة فى المنزل. وباعتبار أنه كان ممثلا للسويد فى مؤتمر نزع السلاح فقد كان هناك حديث كثير حول هذا وحول القانون الدولى والذى كان تقنينه فى جينف يجرى تحت رئاسته كذلك كانت اهتمامات الأب الأدبية تحيط بميادين الشعر البرتغالى والأسبانى والأمريكى. ومن ناحية أخرى فقد أشعلت مدينة أوبسالا الخيال التاريخى لداج همر شولد حيث إنها واحدة من أعرق المدن الجامعية فى أوربا وكانت أيضا المقر الرسمى للملكية السويدية. فقد جذبته الطبيعة والريف السويدى بشكل كثيف وصوفى وكان الريف السويدى بالنسبة له ليس فقط عالما من الألوان والصوت والحركة التى تغرى من ينزل به بالتخيل والغناء ولكنه كان فى الأعماق عالما من المعانى، وقد تحدث هؤلاء الذين رافقوا همر شولد فى السير على الأقدام فى الريف باعتباره أفضل الرفاق الذى رأى أشياء كثيرة كان يمكن للآخرين أن يفتقدوها.

وفى هذه الجولات وخاصة فى تسلق الجبال كان زملاءه يشعرون معه بالأمان وبأنهم إذا مافقدوا الاتجاه فإن همر شولد معهم سوف يستعيده لهم بقدرته على رسم خريطة للطريق.

وفى عام ١٩٣٠ وكان عمره عندئذ ٢٥ عاما عندما انتقل من أوبسالا إلى استكهولم كان الانطباع الذى تركه فى زملائه «أن داج لديه هذا النقاء

فى الشخصية وهذا القدر العالمى من الذكاء وبشكل لا أتردد لحظة أن أقول إنه سيكون رئيس وزراء السويد فى عمر صغير».

وقد كانت حياة داج همر شولد الأكاديمية متسقة حيث تلقى درجات فى القانون والاقتصاد من جامعة أوبسالا وحصل على الدكتوراه فى الاقتصاد من جامعة استكهولم وفى سن الثلاثين أصبح وكيلا لوزارة المالية السويدية وعمل فى نفس الوقت كرئيس محافظى بنك السويد، وفى الوزارة عمل تحت الاقتصادى الاشتراكى Ernest Wigforss الذى اعتبره والده الثانى. وقد كتب صديق له عن هذه الفترة: «فى هذا المنصب الرئيسى الكثير المطالب الذى شغله همر شولد مالا يقل عن عشر سنوات بما فيها كل فترة الحرب كان لديه فرصة تنمية النظام الذاتى الأسطورى الذى فرض على نفسه والذى مكنه من أن يتحمل العبئ الضخم للعمل الذى تولاه فيما بعد فى الأمم المتحدة».

وبهذا النظام استطاع همر شولد أن يعمل بقدر ضئيل من النوم وكان قادرا على أن يستوعب بسرعة خطيرة مضمون وثائق وكتب وأن يمتلك موهبة الاحتفاظ بوجهة النظر الشاملة والخطوط الرئيسية لعدد معقد من المشكلات فى الوقت الذى يفهم فهما تاما تفاصيلها. ومجموعة هذه الصفات هى التى اسبغت عليه كفاءة طاغية وكان من الطبيعى أن يلازمها ميل لأن لايفوض عملا للآخرين.

وقد تطلب نوع الحياة التى طورها همر شولد وأخذ بها نفسه صحة سليمة وعدم وجود حياة عائلية، ومن ناحية أخرى فقد أصبح همر شولد المركز الطبيعى فى دائرة مساعديه المقربين وجذبه مجتمعهم فى أوقات فراغه الضئيلة واصبح بالنسبة لهم بشخصيته المشعة وتعدد اهتماماته رئيسا وصديقا يلهمهم ويحفزهم. وفى علاقته مع هيئة مكتبه وبوجه عام كان رئيسا محترما ومحبوبا بفضل مايبديه من عطف طبيعى واهتمام شخصى.

وخلال حياته الوظيفية في بلده، وحتى بعد أن أصبح وزيرا في الحكومة عام ١٩٥١ اعتبر همر شولد نفسه رجلا غير سياسي، ولم ينضم أبدا إلى حزب سياسي.

وفي عام ١٩٤٧ أصبح وكيلا لوزارة الخارجية مسئولا عن الشئون الاقتصادية وفي عام ١٩٤٩ حيث كان في الرابعة والأربعين من عمره عين سكرتيرا عاما لوزارة الخارجية أما نشاطه كممثل للسويد في سنوات تكوين المنظمة الأوربية للتعاون الاقتصادي ومجلس أوربا فقد أعطاه الإحساس وتذوق الحياة الدولية. وهكذا كانت خبرة همر شولد المبكرة في المسئولية الشخصية في الخدمة العامة إعدادا جيدا لوظيفته كسكرتير عام للأمم المتحدة. في مؤتمر صحفي في نوفمبر عام١٩٥٣ ذكر.. إني أكره أن أتحدث بشكل شخصي، غير أنه في النهاية فإن الأمور تنتهي إلى هذا المستوى، وحيث إن ثمة حقا لا ينازع للسكرتير العام فإني أجد من الأسهل أن أقف ضد أي ضغوط أيا كانت ومن أي جهة جاءت فعندئذ أستطيع أن أتعامل بشكل شخصي وأن أقول صراحة أن هذا شيء لا أستطيع أن أفعله وهذا في بعض الأوقات خط قوي للدفاع غير أن تحارب في هذا الموقف كمحام فإن ذلك في نظري وفي المجال السياسي موقف ضعيف».

وكما عبر آندريه مالرو، فإن ما يصنع الشخصية التاريخية ليس الدور وإنما الرسالة وهذا النداء الباطني، وحتى أصبح سكرتيرا عاما للأمم المتحدة لم يكن همر شولد قد عثر على هذه الرسالة رغم النجاح غير العادي الذي حققه. غير أن إحساسه الجديد بالرسالة في هذا المنصب الشديد المطالب كان حجر الزاوية في صفاته الأخرى: الذكاء، الشجاعة، قوة الاحتمال والقدرة على التقدير السياسي. وبالنسبة له كان التحدي الذي يمثله منصب السكرتير العام أوفر النعم مثلما كان أعظم الأعباء.

ومن هنا يمكن أن نفهم كيف كان منصب السكرتير العام بالنسبة له عبودية مرحباً بها: Awelcome Bondage، وكما كتب عام ١٩٥٤: «إنى سجين أكثر من أى وقت آخر ولكنه سجن يجب أن أعترف له بالفضل» وبعد أزمة السويس وفى قمة الحملة المريرة ضده فى بعض الأقطار الأوربية سئل إن كان يستمتع بمنصبه فأجاب: «حقا إنه يبدو أمرا لايصدق ولكنى استمتع به»، وقد كان إحساس همر شولد بالرسالة عميقا له جذوره فى التقاليد والثقافة والدين، ولم يكن توافقه مع الفكر المسيحى تبشيريا، ولكن فى توافق مع التقليد القديم فى تقليد المسيح فى التضحية وخدمة الآخرين وقد كان فى هذا عضوا فى جماعة صغيرة ووحيدة ارتبطت عبر التاريخ بمحاولة للتعامل مع العالم الصعب للواقع السياسى والاجتماعى والبحث بصورة لانهائية عن معنى روحى يعلو فى هذا العالم ونادرا ماكان همر شولد يتحدث أو شعر إنه يحتاج للتحدث عن عقليته الدينية وإن كان فى مقابلة له عام ١٩٥٤ قدم أكثر بياناته وضوحا عن موقع الدين فى حياته:-

«بصراحة وبشكل مباشر فإنه لبناء عقيدة شخصية فى ضوء الخبرة والتفكير الأمين ما فى لابد أن أعترف بدون تحفظ بهذه العقائد التى ورثتها فى عمر كان مستحيلا على أن أقيم أهميتها أو أن أجعلها فى دمى.. لقد ورثت إيمانا أنه ليس هناك حياة أكثر مجلبة للرضا من تلك التى تنطوى على تضحية منزهة لو طنك أو الإنسانية. هذه التضحية تتطلب التضحية بكل المصالح الشخصية ولكن أيضا تتطلب الشجاعة أن تقف بدون تردد من أجل معتقداتك حول ماهو صحيح وخير للجميع أيا كانت الآراء السائدة فى هذا الوقت.... إن الإيمان هو حالة عقلية وروحية وبهذا المعنى علينا أن نتذكر عبارات الصوفى الأسبانى جونى كروسى «... إن الإيمان هو اتحاد الله بالروح» إن لغة الدين هى مجموعة من الصيغ التى تسجل خبرة روحية أساسية وآمل أن لاينظر إلى على أن أصف، فى شروط تحددها الفلسفة، والواقع الذى يجد طريقه إلى حواسنا....».

وهكذا كانت عقيدة همر شولد الدينية أمراً شخصياً جدا ولايتصل بالشعائر وهو لم يرغب لا فى فرضها على الآخرين أو أن يفرضها الآخرين عليه.

وقد تعود فى نيويورك أن يحضر الصلوات فى عدة كنائس وإن طلب منه أحد القسس ان يحضر الصلوات بانتظام كانت إجابته سلبية. لقد كان الدين بالنسبة له حواراً بين نفسه وبين الله، وكان الإيمان هو أساس الواجب والتكرس فى الخدمة وهى الصفات التى اعتبر أنها أكثر الصفات جوهرية فيه وأكثرها مدعاة للاحترام فى الآخرين.

ولقد كان افتقار همر شولد لالتزامات وروابط شخصية ميزة عظيمة بالنسبة له وبالنسبة لقدراته على أداء واجباته الضخمة كسكرتير عام، ولم تكن ملاحظته أن الميثاق يجب أن يتضمن مادة تنص على أن السكرتير العام يجب أن يكون له بنية حديدية، لم تكن مجرد نكتة. وقد أتاح له تحرره «من العبودية الحميدة للعائلة Begnin Tyranny Of The Family أن يعمل ويفكر فى كل الأوقات وأن يغادر إلى أى مكان فى أى وقت وبمجرد الإشارة. مثل هذا الوضع الذى لابد أن يؤدى إلى نوع من الأنانية التى لها دوافعها لم يكن يجعل الأمور سهلة بالنسبة لزملائه ومساعديه ذوى الالتزامات الغائلية كما يمكن فى النهاية أن ينتج عنها عزلة خطرة، ولكن بالنسبة لرجل كرس حياته لرسالة غاية فى الصعوبة فى مطالبها ومسئولياتها فقد كان هذا الوضع مميزة لاتقارن. غير أن هذا لم يكن يعنى أن همر شولد كان ناسكا وزاهدا أو إنه لفظ الرفقة الإنسانية. فقد كان يحب رفقة أصدقائه المقربين ويسعد ويتبهج بالمناسبات الاجتماعية المحدودة والأحاديث الجيدة، وكان الطعام والشراب الذى يقدمه فى شقته فى شارع ٣٧ متفوقا على غيره، وكان أكثر المضيفين كرما ومراعاة للآخرين وفى رحلاته العديدة كان من أكثر مسراته أن ينهى اليوم فى أحد المطاعم

المفضلة ومع هذا فقد كان عَزَباً بالمولد ومن المستحيل أن نتصوره يعيش الحياة العائلية المستهلكة للوقت أو فى الأوساط الاجتماعية التى تشتت انتباهه. وقد كان همر شولد يدرك وحدته، وكان فى بعض الأوقات يخشاها، وقد ظهر هذا بوضوح فى تأملاته Markings، وفى عام ١٩٥٨ بدأ يفكر فى سنوات اعتزاله «أعوام قليلة أخرى ثم ماذا؟ إن الحياة لها قيمتها فقط بفضل مضمونها بالنسبة للآخرين وبدون قيمة للآخرين فإن حياتى تصبح أسوأ من الموت، ولذلك فإنه فى هذه الوحدة الكبيرة أخدم الجميع ولهذا، كم هو عظيم بشكل لايصدق ماقدم لى، وأى تفاهة ماأضحى به».

وقد لعب الجنس دورا صغيراً أو لم يلعب دورا على الإطلاق فى حياة همر شولد، وقد يصعب على البعض أن يفهموا الرجل الذى يكرس نفسه كلية للعمل ولاهتمامات فكرية وجمالية وقد صور همر شولد نفسه المشكلة بشكل دقيق.

لأنه لايجد الرفيق

فإنهم يدعون

أحادى القرن منحرفا

وقد روج بعض الحقودين للافتراض السوقى بأن عدم زواج همر شولد يعنى أنه لوطيا رغم أن أحدا ممن كانوا على صلة قريبة منه قد فكر فى هذا. وحين ووجه فى الشهور الأولى من عمله كسكرتير عام بهذه الشائعات التى روج لها سلفه، عقب همر شولد إنه إذا كان هناك أى قدر من الحقيقة فى هذه القصة فإنه وبالنظر إلى الرأى السائد لدى الرأى العام عن اللوطية فإنه لم يكن ليقبل هذه المنصب. وكانت هذه الشائعات تثار من وقت لآخر خاصة حين يتعرض لهجوم سياسى، وحين كان يطلع على القصة كان يقول «أى عقل هذا الذى يكتب هذا الشيء. وحقا كان همر شولد شديد

الحساسية وكان عليه أن يبذل جهدا كبيرا للتغلب على خجله الطبيعى وحيائه، وفى تأملاته تشير عدة إشارات أنه يجد فكرة مشاركة حياته مع أحد آخر أمراً لا يمكن تصوره، وكانت فكرة الاتصال الجسدى تجعله غير مستريح وينكمش بشكل غريزى عنها، تماما مثل ماجمى بشكل صارم خصوصيته من غزو أصدقاء وزملاء رغم نواياهم الطيبة، هذا فضلا عن أن خبرته فى الأمم المتحدة جعلته يعتقد أن الزواج وقبول منصب السكرتير العام أمران لايتفقان كلية.

وفى الجانب الشخصى والمهنى كان تعينه سكرتيرا عاما للأمم المتحدة وهو فى السابعة والأربعين من عمره نقطة تحول فى حياته، وفى مواجهته لتحدى مركزه بدأ يحيى علاقات أكثر إيجابية مع الآخرين وكذلك سلامه الداخلى الذى كان ينشده منذ وقت طويل.

وعلى المستوى الفكرى يستطع من يقرأ تأملاته أن يخرج بانطباع عن رجل جاد رفيع الفكر بل ومتفوق فى تفكيره، غير أنه ماهو بعيد عن الحقيقة أن يعطى هذا صورة عن شخص متزمت يخلو من الدعابة والمرح وينظر إلى العالم بشكل جامد بل على العكس من ذلك فإن خفة لمساته وفكره اللماح ومرحه وحب استطلاعه الذى لاحدود له وقدراته على التصور جعل منه رفيقا جذابا لزملائه وأصدقائه.

غير أن الصعوبة الأساسية معه كانت فى مجاراة سرعة تفكيره. وكان فشل الآخرين فى ذلك خاصة بعد ما أظهره من ثقة فى قدراتهم العقلية - تدفعه لأحكام قاسية عليهم وللشعور بالإحباط من جانبهم. وقد كان عمله يمثل دائما الأولوية وكانت أى محاولة للتعدى على هذه الأولوية تجلب غضبه الشديد وكان يكره ما أسماه «أحاديث حفلات الكوكتيل» وكل مايمكن أن يشتت تفكيره غير أنه حين لايكون هناك مايشغله لم يكن هناك مايمنحه السرور أكثر من الاسترخاء فى مكتبه أو حول وجبة طيبة أو تنظيم

حفلة لأصدقائه المقربين، أو أن يتخير هدية مناسبة لصديق أو وردا فى مناسبة تحية لإحدى صديقاته.

ورغم أسلوبه المنظم جدا فى الحياة فقد كان يفضل أن يتصرف بشكل غير رسمى، ورغم أنه لم يكن يحب الأسلوب الاحتفالى الذى يتسم بالبهرجة فإن مركزه لم يكن يسمح له أن يتهرب من هذا الأسلوب وكان دائما يود أن يتأكد بإشرافه بنفسه على نجاح مناسباته الرسمية، ولكن فى كل الحالات كانت العلانية تكلفة ويقلقه النجاح والأثر المشوه الذى ينتج عنها، وقد كتب فى مذكراته: «علينا أن نكسب الثقة بالنفس والتى نعطى بها كل ماقد يوجه من نقد وزنه الحقيقى، وأن نقف بتواضع أمام المديح». وعلى الرغم من كل جديته ومثاليته إلا أنه كان أبعد مايكون عن أن يبدو متظاهرا وكان جسده النحيف ووجهه الشاحب يعطى دائما الانطباع عن الحركة الدائمة لذلك كنت تراه يمشى فى كل مكان كل ماكان ذلك ممكنا وبشكل رشيق الحركة، غير أنه خلال المداولات الطويلة للأمم المتحدة واجهزتها كان دائما يجلس بلا حراك وغالبا لعدة ساعات يتحرك فقط من وقت لآخر لكى يكتب مذكرة لجاره أو لكى يجيب عن سؤال.

وتحت شعره الهش وجبينه المرتفع كانت عيناه الزرقاوان العميقتان تبصران بشكل .. مدهش وأخاذ، ومن ناحية أخرى كان خجله يخلع عليه فى بعض الأحيان نظرة صارمة خاصة خلال المناسبات العامة غير أنه فى كل المجالات وبهيئته النحيفة الشابة وغير المتكلفة تجعله له وجودا عظيما ومحسوسا فى أى رفقة.

وقد كان مزاج واستعداد همر شولد يبدو بشكل أكثر فى المساء والمساء المتأخر عنه من الصباح المبكر حيث كان أميل وأكثر استعدادا للإثارة وتقلب المزاج، ولكن حين يتطلب الأمر فإنه كان مستعدا للعمل ولساعات طويلة وفى أى وقت وبنوم قليل جدا... وفى أوقات الأزمات لايبدو أنه

متعب بل على العكس يبدو منتعشا وحتى حين يستبد به التعب فإن ليلة واحدة من الراحة فى الريف كانت كافية لكى يستعيد نشاطه. وقد كتب عنه ليستر بيرسون:

«لقد كان رجلا هادئا ولكن بطاقة لا تصدق. ولم أعمل مع أحد مثله يبدو أنه محصن ضد التعب أو الضعف الإنسانى. وفى مرحلة من أزمة السويس جلست لثمانى ساعات متتالية معه نعمل خلال المساء وكان يبدو دائما منتعشا هادئا وغير متسرع فى الصباح شأنه فى منتصف الليل» وكان واضحا أن العمل والضغط يستحثه ويثير طاقته.

ويذكر الدبلوماسى البريطانى هارولد بيلى أنه كان يزوره عند عودته من رحلة طويلة ولم يكن قد نام خلال الثلاث ليالِ الأخيرة وحين افتتح بيل المناقشة بقوله «لابد أن تكون متعبا أجاب متسائلا: متعب؟ إن ذلك سيكون من قبيل التفاهة».

ومن الملاحظات التى لفتت الأنظار أنه لم يحدث إن مرض ونادرا ماتوعك ولو بشكل طفيف وإذا ماحدث فإنه كان يكره الإشارة إلى ذلك. ولساعات طويلة من القراءة والكتابة فإنه لم يكن يستخدم النظارات وكانت هذه القدرة على التحمل وعدم التعب ترجع فى جانب كبير منها للنظام الذاتى الصارم الذى فرضه على نفسه فنادرا مافعل شيئا لم يكن يراه ضروريا أو يقرأ مالم يكن يود أو أن عليه أن يقرأه، أو أن يضيع أى وقت صغير فى نشاطات اجتماعية أو متصلة بالعمل لم يكن لها فائدة وكانت قدرته على التركيز تسمح له بتوجيه كل طاقاته لما يفعله ثم التحول كلية لعمل آخر. وقد كان حرصه على النظام بشكل شديد التدقيق حيث كل شىء فى البيت أو العمل يجب أن يكون فى موضعه الصحيح ونادرا ماكان يوجد على مكتبه ورقة أو ورقتان.

وقد أحب همر شولد حياته فى نيويورك وأصبح يعتبرها موطنه الثانى فقد كتب عام ١٩٥٥ : «من المفارقات أنه رغم جذورى العميقة جدا فى السويد فإن نيويورك قبل وبعد كل شيء المكان الذى أشعر فى الوقت الحاضر أننى فى وطنى» وكانت المجموعات الصغيرة من الأصدقاء والناس ذوى الاهتمامات المشتركة حين يلتقون فى شقته والأوقات الطويلة من السير فى المساء وزياراته التى لاتتوقف للمكتبات وعطلة نهاية الأسبوع فى منتجعه فى الغابات والذى كان يقع على بعد ساعة ونصف، من نيويورك، كانت تقدم له نفس الاسترخاء الذى كان يريده والاستجمام الذى يحتاجه. غير أنه رغم شعوره بالارتياح فى نيويورك إلا أنه لم يفقد أبدا الحنين للسويد وحياتها وتقاليدها وريفها سواء فى ساحل البحر البعيد فى الجنوب حيث كان له منزل صغير يخطط أن يعيش فيه بعد اعتزاله، أو فى البقاع المترامية من الفضاء فى لايلاند حيث كان يحب أن يمشى أو يتسلق. وكان حب همر شولد للسويد مصدرا لقوة عظيمة وللثقة، وكانت تقاليدها الفريدة والمحددة تتجسد فى الأكاديمية السويدية التى أنتخب لها عام ١٩٥٤ وفى كلماته فإن هذا الانتخاب قد دعم جذوره الروحية وكان يحب أن يكتب عن السويد. وقد أظهرت خطبه فى الأكاديمية عاطفته الدافئة والتى لم يكن يعتبرها إلا وطنه الأصلى، وفى أيامه الأخيرة كان تطلعه للسويد قد أصبح أكثر حدة من أى وقت آخر. وفى خطاب لشقيقته التى كانت قد كتبت له تصف منطقة لايلاند قبل شهور من وفاته قال «أستطيع أن أفهمك. إن ليلة مثل تلك التى تصيفينها هناك يمكن أن تكون ذات جمال غير أرضى وإنى لسعيد جدا أن أعلم أنك ترينها على هذا النحو . والآن تستطعين أن تفهمى لماذا تبدو لى الجزء من العالم الذى أحبه بشكل أكثر وأضعه قبل أى شيء رأيته».

ومنذ أيامه الأولى كسكرتير عام أظهر همرشولد أداء مبهرا وكان مزيجا من المبادئ والذكاء، وقدمت ثقته فى نفسه ولمسته الواثقة وقوته

للآخرين الشعور بالاطمئنان إنه دائما هناك حين يتطلب الموقف الدعم والنصيحة فقد كان يعرف ماذا يعمل وكيف يعمل وإلى أين يريد أن يذهب وكيف يصل إلى هدفه، وبهذا المعنى كان قائدا للرجال فى الوقت الذى لم يكن يبدى فيه المظاهر الخارجية التى تحيط بالقائد، وكانت قدرته الفكرية واستعداده الثقافى والذى مكنه من السيطرة على أكثر الموضوعات صعوبة استثنائيا بأى معيار.. وكان علمه وخبرته فى مجالات القانون والسياسة والمنطق والاقتصاد والمالية شاملا وكان عقله النفاذ والمحلّل يسيطر بسرعة على أى مشكلة معقدة ويبدأ فى العمل بسرعة وبشكل خلاق يستكشف التطورات الممكنة والطرق البديلة ومجموعة الأعمال التى يمكن اتخاذها وفقا لتطور الوضع وكان أى موقف صعب ينشأ يمثل تحديا لحب استطلاعه الفكرى وحيث يبدى ذاكرة قوية حول التواريخ والأعداد وتفاصيل مواقف سابقة ولم يكن فى هذا يعتمد إلا فى القليل على المراجع والمذكرات وحين قدم مرتجلا فى المكسيك خطبة طويلة عام ١٩٥٩ وطلب منه وزير الخارجية نص الخطاب شرع بعد عودته في نيويورك إلى املائه كلمة كلمة كاملا. وكان تقديمه لتقريره السنوى الأخير وثيقة من ثمانية آلاف كلمة واعتبره أكثر بياناته اكتمالا وتعبيرا عن موقفه من المسائل الخلافية لعصره فقد أملاه بدون مذكرات وبلا توقف بعد عصر يوم أحد ولم يجر تقريبا أى تصحيحات على مخطوطه الأصلى. وكان بشكل متزايد يكتب خطبة وبياناته بنفسه لإنه وجد أن هذا أسرع من أن يطلب من أحدا أن يكتبها ويصبح عليه أن يصحح النص.

وقد كان من الطبيعى أن يكون من الصعب التعايش مع مثل هذه الحيوية الفكرية وكانت سرعته وإيضاحاته المختزلة وتعدد اللغات بما تتضمنه من فروق دقيقة، ولكنته السويدية الطفيفة وتنميقه لعباراته، كان هذا فى بعض الأحيان يربك مستمعيه، وكان هذا بدوره يثير همر شولد والذى لم يكن يتسامح مع البطوء العقلى أو يتقبله بارتياح. وقد فشل كثير

من الناس فى فهمه بشكل كامل الأمر الذى كان ينتج عنه إستياء متبادل. وكان تلخيصه للمشكلات المعقدة يرهق طاقة أوثق أصدقائه حيث لم تكن تسعفهم وجهات نظره الشاملة ومرجعياته الفلسفية إذا مافقدوا الخيط الفضى السريع لحججه. وقد أدى هذا إلى تضييق دائرته المقربة سواء بين الممثلين الدائمين للدول أو فى السكرتارية وبحيث بدأت تتكون حوله فى سنواته الأخيرة نزعات تآمرية.

وكان همر شولد يتكلم الإنجليزية والفرنسية والألمانية بإتقان وبطلاقة كاملة وإن كان نادرا ما استخدم اللغة الألمانية. وكان إتقانه الاستثنائى للإنجليزية والفرنسية يتدعم باستعماله لاصطلاحات منهما حين كان الأمر يتطلب معانى دقيقة، أو حين يكون التعبير بلغة ما أكثر دقة. وهكذا كان أسلوب عمل همر شولد فى الأمم المتحدة مزيجا من التصور الرفيع والعمل الشاق وبعد النظر والتوقيت السليم والإدراك السياسى الناجح والشجاعة الأدبية والجسارة، وكانت كل هذه الصفات تنشط ويغذيها الإحساس بالواجب والرسالة وكانت مهارته وبراعته وسرعة تفكيره بدرجة يمكن أن يتهم بها بالابتزال، ولكن كان يعفى همر شولد من مثل هذا الاتهام أن عمله وسلوكه كان يتأسس بوضوح على المبدأ والانضباط العام الذى فرضه على نفسه. وفى تأملاته نعثر على عدد من القواعد العامة التى وضعها للسلوك والتى تقدم وصفا لأسلوبه فى العمل:

- إن من الأكثر أهمية أن تكون مدركا لقواعد سلوكك أكثر من تفهم دوافع الآخرين.

- إن وجهة نظر الآخر أكثر أهمية من وجهة نظرك

- إذا كنت وأنت تدافع عن قضية الآخر- تبغى تحقيق شيئا لنفسك فلن تستطيع أن تأمل فى النجاح.

ـ إنك فقط تستطيع أن تجد حلاً دائما لصراع إذا ما كنت قد تعلمت أن تراعى الآخر بشكل موضوعى وأن تختبر صعابه بشكل ذاته فى نفس الوقت.

ـ إن الرجل الذى يحب الناس إنما يحطم مرة وإلى الأبد ـ الرجل الذى يحتقرهم.

ـ إن الكذبة الناجحة هى كذبة مضاعفة.

ـ إن الخطأ الذى يجب أن يصحح هو عبء أثقل من الحقيقة.

ـ الأمانة التى لا مساومة فيها هى فقط التى يمكن أن تصل إلى أعماق اللياقة التى يجب دائما أن تتوقع وجودها حتى ولو تحت طبقات عميقة من الشر.

وفى أفضل حالاته كان همر شولد حساسا بشكل غير عادى لمصاعب وحساسيات من يتعامل معهم، وكان لديه موهبة استثنائية لاقتراح حلول فعالة يمكن أن تجمع بين أطراف الصراع. وقد لاحظ سير مارتن دين المندوب البريطانى فى الأمم المتحدة بعد وفاة همر شولد «قدرته العالية للتوصل إلى صيغ لمعالجة مالا يمكن مصالحته، وكتب عنه والترليبمان «إنه لم يحدث أبدا من قبل وربما لن يحدث مرة أخرى أن استخدم أى إنسان الفن الكثيف للدبلوماسية Intensive .

Avr Of Dirlomaiy

بمثل هذه التجارب الجديدة وغير التقليدية». وكان مفتاح نجاح همرشولد كمفاوض قدرته على الاحتفاظ بحركته وتفادى أن يضع نفسه فى مأزق أو أن يدفع الآخرين بأن يلتزموا بمواقف علنية جامدة يصبح من الصعب عليهم تغييرها وتضييق حريتهم فى المناورة. وهكذا كان دائما يستطيع أن يحقق تقدما فى مواقف تبدو أن لا أمل فيها. قال عام ١٩٥٧ يصف أسلوبه فى العمل «إننى يمكن أن أخطط للمستقبل، ولكن دائما أضع

خطط بديلة» وكان إحساسه الحاد بالوقت يسمح له أن يبقى البدائل مفتوحة ويجد اللحظات الصحيحة. فكى يخلق خيارات جديدة وغير متوقعة لأطراف الصراع وحين يصل الوضع إلى طريق مسدود كان لديه موهبة أن ينسج مفهوما جديدا وبشكل يمكن لطرفى النزاع أن يستوعبوه دون أن يفقدوا ماء وجوههم. وهكذا يمكن أن نفهم المبدأ الخلاق الجديد المتمثل فى «وجود» الأمم المتحدة فى مناطق الصراع، وأهم من ذلك أجهزة «حفظ السلام» Peace Keeping والتى كانت فى البداية رمزية كمحاولات لكسب الوقت واتاحة الفرصة للإدراك السليم والتصالح أن يتحقق وأن يجرى فى الباب الخلفي في وقت وظروف لم تكن أطراف النزاع تقدر على الظهور وهم يدخلون من الباب الأمامى، وخلال هذه العملية تبدأ الأفكار ومنطق المصالحة يكتسب تدريجيا مضمونا وقبولاً.

وقد كان من الممكن أن يكون تأثير مواهب همر شولد العظيمة أقل بدون التأثير الشخصى الذى كان يتركه على معظم الناس الذين تعامل معهم فقد كان تكامل شخصيته وتنزهه ونقاء نيته واضحا حتى لهؤلاء - وكانوا كثيرين - الذين اختلفوا معه بقوة ورغم أنه لم يكن دائما محبوباً إلا أنه كان دائمًا، ومع كل عالمية منصبه، فقد حافظ دائما على نقاء طفولى وبراءة، ووصفه الرسميين فى الأمم المتحدة «لقد كان مثل ريح الشمال التى تكتسح بعيدا كل ما هو سيىء وتأتى بالجو الجيد».

ومنذ بداية عمله فى الأمم المتحدة أصر دائما أن يكون فى المقدمة من حيث المسئولية. حدث هذا فى نضاله المبكر مع المكارثية وأصر فى هذه المعركة على مسئوليته الشخصية. وكان دائما فى موقع الأحداث ومسرحها بل كان يفضل أن يسبق قوات الأمم المتحدة مثلما حدث فى أزمات السويس ولبنان ولاوس والكونغو وكاتنجا. وقد تحمل المخاطر الساسية والجسدية إذا ماتصور أنها ضرورية كما كان لايشجع أى ترتيبات

خاصة من أجل سلامته الشخصية ولم يبدى أبدا أى اهتمام بها وكان مقتنعا أنه ليس هناك بديل للاتصال الشخصى مع المشكلات والناس وبمجرد أن استقر فى نيويورك شرع فى برنامج زيارات لعدد من الدول ومناطق العالم ولم يتعب أبدا من رؤية بلادا أو شعوبا أو حضارات جديدة وكانت رحلاته الطويلة ممتعة مثلما كانت واجبا ومسئولية.

ورغم عدم براعته فى العلاقات الشخصية غير الرسمية إلا إنه كان لديه نزعة لإقامة صلات على المستوى الإنسانى خاصة خلال جولاته الرسمية. وكان حب استطلاعه واهتمامه الذى لايكل بالأماكن الجديدة وطرق الحياة وحبه للتجول فى المدن والتقاط الصور يؤكد أنه يحصل على الحد الأقصى حتى من أقصر زيارة. وكان بالفعل يدرك خجله وبالتالى صعوبة أقامة علاقات شخصية سهلة ووجد أن «العائلة الشخصية»، ويعنى بها هيئة مكتبه تقدم له بالضبط مستوى الصداقة والتعاون والتأييد الذى يحتاجه فى عمله دون أن يكون فى هذا تطفلا على خصوصيته وسرعان ما أصبحت هذه المجموعة الصغيرة وظلت أساس وعماد حياته فى الأمم المتحدة وكان يستمتع بشكل كبير بدعابات هذه العائلة ولكن خارج هذه الدائرة لم تكن علاقاته سهلة دائما وكانت أحكامة على الناس يمكن أن تكون قاسية ولايمكن الرجوع عنها، وغالبا ماتكون على أساس خطأ واحد أو سوء فهم وغالبا ما قاوم إلى حد الوقاحة - أى محاولة لاستغلال صداقته. ولم يكن يستخدم إلا قليلا المعاونين الذين لايرقون إلى المستوى المطلوب من الزكاء والتكرس والاستعداد للتضحية بالراحة الشخصية وكان قادرا على أن يخرج الناس بشكل عميق بإعطائهم ثقته وصداقته لفترة ماثم يسقطهم فجأة أو يجمدهم. وكان فى إمكانه إذا ما استدعى الأمر أن يكون قاطعا إلى أقصى حد بل وأمام الآخرين وحين قال له أحد كبار المسئولين فى الأمم المتحدة «إننى قادم لكى أودعك فى المطار رد عليه ببرود: «أى لطف». وكان حين يرى كثيراً من موظفى الأمم المتحدة فى جنيف

يقابلونه فى المطار يبادرهم بقوله «أنتم أيضا هنا كنت أظن أنكم مشغولون جدا»

نجد أن من ناحية أخرى كان على ولاء ثابت وفى بعض الأحيان، وعلى حسابه، لمعاونيه فى أوقاتهم الصعبة ولم يتردد أن يتحمل مسئولية شخصية عند تصرفاتهم حتى لو كانت هذه التصرفات على غير مايتوقع.

ورغم مسئوليات همر شولد وساعات عمله الطويلة إلا أن نظام حياته المنظم جدا قد أتاح له الوقت لاهتماماته الثقافية والتى كانت تمثل أوقات استجمامه الحقيقية، فقد كان همر شولد مهتما بشكل عاطفى بالأدب والدراما والرسم والموسيقى وكانت نشاطاته فى هذه الميادين حتى فى أوقات الأزمات مصدر حب الاستطلاع والإعجاب من الآخرين. وكان الأدب بوجه خاص يستوعب معظم وقت فراغة كما كان يضىء الجوانب الأخرى من حياته. كتب عام ١٩٥٥ بعد عودته من رحلة بكين: «إنه من العجيب كيف يمكن للخبرات أن تخصب فجأة كلٌ منها الأخرى وفى وعى الباطن كان رد فعلى لمناظر بكين الطبيعية يضيف بالتأكيد نكهة لإحساسى بقصيدة سانت جون بيرز كما كانت تبدو بعد رؤية العديد وكأنها قصيدة جديدة لها صفة طاغية تعكس فى عناصرها المركبة روح هذا الجزء من العالم» وقد أخذت نشاطات همر شولد الأدبية ثلاثة مستويات: الاشتراك النشط فى الأكاديمية السويدية التى تمنح جائزة نوبل للأدب، وترجماته الخاصة، واستعداده الدائم لتقديم يد العون لحل مشاكل أدبية عديدة. وكان همر شولد منشغلا بتأثير الضغوط المعاصرة على الكتابة ونوعيتها وعلى الكتاب فقد كتب عام ١٩٥٧ : «فى كل ثقافة شعبية حيث العلانية والعمل من أجل المبيعات وسيطرة فكرة أن الأحدث لابد أن يكون الأفضل تدنت هذه الثقافة إلى مستوى السلع الاستهلاكية والتى يمكن الاستغناء عن ماتقادم منها وهو مايمكن أن يؤدى إلى تصنيع الأدب Imdusterlireration

Of Literature، الأمـر الذى يفـصل الذوق العـام عن كل مـاهو جـوهرى وحيوى. وفى وضع مثل هذا ولهذه الأسباب وربما لأسباب أخرى أكثر عمقا يجرى البحث عن كل ماهو جديد ومتوافق ويصبح أضعاف الأداب القديمة أمرا طبيعيا».. وقد طور هذه الفكرة قبل وفاته عام ١٩٦١ فى خطاب له إلى شاعر سويدى: «لأسباب عديدة أحاول أن أتتبع بأفضل ما استطيع ما يحدث فى الحقل الأدبى سواء بشكل عام وخصوصا فى السويد وفى المجموع فإن هذا الجهد ليس مجزيا جدا فثمة القليل جدا من التواضع والقليل جدا من الخضوع للهدف الحقيقى للفن والكثير جدا من البحث عن الاهتمام والتظاهر بالأساليب اللامعة الجديدة وأحيانا يبدو لى أن «تصنيع الأدب» قد تحقق ليس فقط من حيث الكم ولكن أيضا من حيث الكيف بمعنى أن الاهتمام الأساسى الآن هو ان يقدم السوق منتجا جديدا وميزته بالنسبة «للمستهلكين المرهقين» إذا ما استخدمت تعبير إعلان امريكى إنه «مختلفا» وأعتقد أن السبب فى هذا بسيط جدا فهؤلاء الذين لديهم شىء يقولونه ولديهم التكامل لكى يقولونه ببساطة وبالطريقة التى يجب أن يقال بها لم يعودوا كثيرين اليوم كما كانوا من قبل. وبوجة عام فإن التعليم العام قد خلق سوقا لايشبعها الأدب الحقيقى الذى تنتجه هذه القلة من الناس ولذلك أصبح الحقل مفتوحا بشكل واسع لكل الطلاب المشغولين «بالكتابة الخلاقة».

وبالإضافة إلى الكتب السويدية كانت مكتبة همر شولد تضم مجموعات أدبية مختارة لأكثر الأعمال ذات المتعة الدائمة فى الإنجليزية والفرنسية والألمانية وتشمل الفلسفة والدين والاقتصاد، وكان يجمع الطبعات الأول من الكتب المفضلة لديه بما فيها كل أعمال جوزيف كونراد وفورستر وكارول ولفنجستون وفيتزجيرالد ونيومان وديكنز وغيرهم كثيرون.

وقد توافق اهتمام همر شولد بجائزة نوبل للأدب مع ارتباطه وصداقته الأدبية مع الشاعر سانت جونت بيرس Saint John Perse وكان يعرف

بيرس ويعجب بشعره حين قابله لأول مرة عام ١٩٥٥ من خلال السفير الفرنسى فى الأمم المتحدة هنرى هو بينوسس، وكما كتب عنه لاونو يويلرز سكرتير لجنة نوبل «إنه شاعر صعب جدا ولكنى شخصيا مقتنع إنه من نفس طبقة يتس أو جبريل ميسترال وبالإضافة لجانب الجمال الخالص لشعره هناك نوع من العظمة الجامحة Wild Grandeur فى رؤيته والتى تبصر عن عصرنا بشكل أكثر من أى شاعر أعرفه اليوم..» «.. ومع بداية عام ١٩٥٥ نشط همر شولد فى تبنى ترشيح بيرس لجائزة نوبل رغم اعترافه أن شعره معقد جدا بما يجعل أمر ترجمته لا أمل فيه.

وفى صيف عام ١٩٦٠ وبعد أن أنهى همر شولد ترجمته لعمل وجونا بمارنس: Amtiphon ترجم همر شولد إلى السويدية كتاب بيرس: Chro-nique الذى كان بيرس قد أهداه له فى أكتوبر عام ١٩٥٩. وقد كان همر شولد فى ترجمته هذه يفكر فى جائزة نوبل لذلك قام بتوزيعها فى أغسطس عام ١٩٦٠ على أعضاء لجنة نوبل، وفى ٢٦ أكتوبر عام ١٩٦٠ منح بيرس جائزة نوبل للأدب ووسط كل ما كان يحيط بدورة الجمعية العامة عام ١٩٦٠ ترجم همر شولد فى خلال ليلة خطاب بيرس فى احتفال الجائزة إلى اللغة السويدية وشجع الشاعر W. H. Auden على تقديم ترجمة إنجليزية لها غير أنه لأسف همر شولد، لم يستطع أن يحضر احتفال استكهولم لتقديم الجائزة.

كذلك كان همر شولد مفتونا بفن الرسم المعاصر والنحت.

وقال فى خطاب فى الذكرى الخامسة والعشرين لمتحف الفن الحديث فى نيويورك «إن الفن الحديث يعلمنا أن نرى باختيارنا وأن نستخدم حواسنا وذكاءنا وحساسيتنا وأن نتبعه بطريقة استكشافية، إنه يجعلنا نتنبأ ونكتشف وهذا مايجب أن يكون دائما إذا كان علينا أن نسود»:

وقد قدم مقر الأمم المتحدة فى نيويورك لهمر شولد حقلا عمليا لاهتمامه بالفن المعاصر ولم يكن يتعب أبدا من السير حول المبنى والحديقة والتفكير فى طرق جديدة لتحسينها كما حاول أن يستفيد بقدر الإمكان من الهدايا الرسمية للحكومات والتى كانت غالبا غير متناسقة وأن يجرى عليها بعض التغييرات بإدخال وإضافة بعض الأعمال الفنية الأصلية.

أما تذوق همر شولد للموسيقى فقد كان قاسيا يسيطر عليه العداء للرومانسية، وكانت الموسيقى بالنسبة له مصدرا للاستجمام وقد فعل الكثير لاحيائها فى الأمم المتحدة. وفى عام ١٩٥٤ نظم من خلال منحة من توماس واتسون بناء مسرح موسيقى متحرك حيث كان من الممكن تحويل قاعة الجمعية العامة إلى قاعة لكونسرت تعمل بالكامل وكان يشارك بحرص تام فى تنظيم الحفل الموسيقى السنوى للأمم المتحدة ويختار الفنانين فى البرامج. كما أدخل تقليد عزف الحركة الأخيرة من السيمفونية التاسعة لبتهوفن فى مناسبة لعام الأمم المتحدة وفى عامه الآخر وحين عزفت السيمفونية كاملة فى ١٤ أكتوبر ١٩٦٠ وعزفها أوركسرا فيلادلفيا السيمفونية وصفها بأنها «تجسد الاعتراف الضخم بالإيمان بانتصار الروح الإنسانية والاخوة البشرية وهو الاعتراف الصالح لكل الأزمنة وتحتوى على عمق فى التعبير لم يتجاوزه أحد أبدا».

ورغم أنه كان عميق الجذور فى التقاليد الأوربية، إلا أنه كان يرحب دائما بالطرق والخبرات الجديدة ورغم خجله وحساسيته الشديدة إلا أنه كان يراعى الأخوة البشرية وإمكانياتها وقد وصفه هنرى هوبيتوت المندوب الفرنسى فى الأمم المتحدة بعد وفاته بقوله: «لن أضيف لكل ماقيل منذ غيابه عن خصائصه الطاهرة كإنسان: مجاملته التى لاتنضب، وطباعه الرحيمة، وحياته وأسلوبه الذى يخفى تحت نعومته حزمه غير المرن من أجل هدفه. وقد كانت بعض التقاليد الأوربية الرفيعة تجد ملجأ لها وتظل

حية فى هذه الواحة التى ظلت محمية لأكثر من قرن ونصف من الحروب والثروة وكانت روحه مثل قلبه مفتوحة لكل هذه الريح التى تحدث عنها الشاعر الذى أحبه:

رياح بالغة العظمة على وجوه الأحياء

رياح عظيمة تعصف بكل قوافل هذا العالم

تجفف وتستنزف القحط والجدب فى قلوب الرجال

أما الصديق الذى فقدناه حيا ومتجدداً دائما كما أن شيئا لم يجف فى قلبه والذى حمل منصبه أعلى مسئولية عرفها الإنسان والتى لم يتولاها أحد بوضوح وشجاعة أكثر من ساعة رحيله إلى المرحلة الأخيرة على أعتاب تلك الليلة الإفريقية».

أفكار همرشولد وفلسفته حول الأمم المتحدة

تولى داج همر شولد منصبه كسكرتير عام للأمم المتحدة وهو يحمل أفكاراً واقعية واضحة حول طبيعة ومركز وحدود المنظمة الدولية. وبعد توليه منصبه بعامين قال «إن الأمم المتحدة تعكس كلاً من الآمال والقصور عن تحقيق تلك الآمال، ولكن النضال المستمر لعبور الفجوة بين الآمال والأداء إنما يصنع الفارق بين المدنية والفوضى».

وقد اعتبر همر شولد أن الوظيفة السياسية الأولى للأمم المتحدة وجهدها اليومى هو التحكم فى الصراعات التى تهدد السلام وتهدئتها من خلال نظام من الوساطة والتوفيق الذى يتطور على أساس من المساواة والسيادة بين الدول وهذه الوظيفة الأولى سارت جنبا إلى جنب مع الجهد الطويل الأجل لتحقيق عدالة اجتماعية أوسع ومساواة بين الأمم والأفراد. كما كان يعتقد أن التقدم فى هذا الاتجاه يجب أن يستند على الاحترام النامى للقانون الدولى وعلى ظهور خدمة مدنية دولية حقيقية متحررة من كل ضغط قومى ونفوذ ويعترف بها على هذا النحو من جانب كل الحكومات. كما كان يدرك جيداً مناخ فقدان الأمل الذى يحيط بالأمم المتحدة، وبعدم الصبر الذى ينظر به بشكل متزايد لما تقوم به حول العالم.

وفى حفل تكريمه فى سبتمبر عام ١٩٥٣ قال «إن علينا أن نواجه عدم صبر هؤلاء الملاحين الذين يتوقعون أن يروا غدا الأرض فى الأفق،

وكذلك سخرية أو الشعور بالعقم من هؤلاء الذين سوف يسلمون ويتركونا ننجرف بشكل عاجز، وعلى الشطآن لدينا هؤلاء الذين يبدو أنهم يشعرون بالبهجة من نقد العاصفة التى تهب على الباخرة بدلا من الجو المحيط بها.. إنه مازال علينا أن نبزهن على قضيتنا». وكان مغرما فى مواجهة نقاد الأمم المتحدة باقتباس عبارة بول فاليرى «هؤلاء الذين يفضلون الغرق على السباحة فى الظروف التى يفرضها الماء» معبراً بذلك عن حقيقة بسيطة وهى «حين نحاول تغيير عالمنا، علينا أن نواجهه كما هو». وقد رحب همر شولد باختفاء الوهم المبكر أن الأمم المتحدة ستكون قادرة على فرض السلام وفرض تسويات للمنازعات السياسية، وأعتقد أن تصوراً أكثر واقعية سوف يقدم نقطة بداية جديدة للمنظمة فى عالم مضطرب، فإذا كانت الأمم المتحدة لا تستطيع فرض السلام فليس هناك «تحالف قائم من الأمم فى عالم اليوم الذى يستطيع أن يفعل هذا» رغم حقيقة «أن سياسة التحالف وسياسة التوازن تسيطر على انتباه الحكومات والشعوب كذلك»، وفى ظروف الحرب الباردة وقتئذ فإن هذا كان يعنى عنده أنه رغم بحث القوتين المتصارعتين عن الأمن العسكرى بما يتطلبه من ميزانيات سوف يستمر خارج نطاق الأمم المتحدة، فإن العالمين الغربى والشيوعى كان عليهما أن يتعلما العيش معا كبديل وحيد لحرب ثالثة تحارب بأسلحة نووية. وفى مثل هذا الموقف أعتبر أن الأمم المتحدة يجب أن تكون قادرة على أن تستجيب بشكل عملى وإيجابى لمأزق العالم باعتبار أن ميثاقها كان تعبيرا عن الهدف الأخلاقى الذى يمكن أن يتفق عليه الجميع. كما كان همر شولد يعتقد أن المنظمة قد قدمت رغم الحرب الباردة مكان اللقاء ومركزا للتصالح وكذلك لتخطيط البقاء للمستقبل، وهى بهذا المعنى كما عبر همر شولد «جهاز يسمح فيه للأيديلوجيات أن تتصادم داخل الإطار الأوسع من الوحدة الأساسية حول هدف السلام» وهى منظمة قد خلقت «لا من أجل أن تأتى بنا إلى الجنة ولكن من أجل أن تنقذنا من الجحيم».

ومثلما المحنا من قبل، فحين جاء همر شولد كان المشروع الشامل للنظام الدولى يواجه الإحباط، مجلس الأمن قد تجمد إلى ما يقرب انعدام الحركة حول العديد من المشكلات الهامة نتيجة للحرب الباردة، والجمعية العامة تسيطر عليها الأغلبية التلقائية للولايات المتحدة، أما جهاز السكرتارية بما كان يمثله من خدمة دولية وليدة، فقد كان يمر بحالة من هبوط المعنويات خاصة وأنها كانت مفهوما دوليا جديداً وكانت فكرة خدمة مدنية دولية غير مقبولة تماماً من الحكومات، ووزارات خارجيتها، وكان هناك ميل للنظر إلى الرسميين الدوليين ككتبة وبيروقراطيين من الدرجة الثانية ومتطفلين على الحقوق المشروعة للحكومات والسيادة الوطنية. كذلك ضاعفت أزمة السكرتير العام السابق ترجفى لى وعدم اعتراف الاتحاد السوفيتى به من مشكلة السكرتارية فى نفس الوقت الذى أصبحت فيه ساحة للتيار المعادى للشيوعية من جانب سلطات الولايات المتحدة الأمريكية وتعقبها لموظفيها حتى الأمريكيين منهم.

أما منصب السكرتير العام وبوضعه الخطير والخطر على قمة هذا الجهاز فقد كان أبعد ما يكون قد تأسس على أسس ثابتة وآمنة. فقد أسند له الميثاق ضمن مواد قصيرة: ٩٧ ـ ١٠١ ،وظيفتين رئيسيتين فهو الموظف الإدارى الرئيسى للمنظمة وهى وظيفة يمكن أن تستهلك فى ذاتها كل وقته.

غير أنه بابتعاد جذرى عن المفهوم غير السياسى للسكرتير العام كما تصوره واضعوا ميثاق عصبة الأمم، فإن ميثاق الأمم المتحدة قد أسند إليه وظيفة سياسية مبهمة ولكنها بعيدة الأثر، وكانت المادة ٩٩ من أكثر المواد تحديداً فى هذا الشأن فقد أعطت للسكرتير العام الحق فى أن يضع أمام مجلس الأمن أى مسألة تهدد فى رأيه الحفاظ على السلام والأمن الدوليين، وبهذا أصبح السكرتير العام ـ بين أمور أخرى ـ تجربة جديدة فى الدبلوماسية المتعددة الأطراف واتجه الجانب السياسى فى عمل السكرتير العام إلى أن يغلب على وظائفه الإدارية. وحين وصل همر شولد إلى

نيويورك عام ١٩٥٣ كان مسئولا عن هيئة تعدادها ٥٧٠٠ موظف من ٦٧ جنسية مبعثرين فى العالم كله، ومع عام ١٩٦١ بلغوا ٧٠٠٠ موظف من ٨٧ دولة.

من ناحية أخرى لم يكن همر شولد المرشح الذى تسانده الولايات المتحدة. وكان أول ما واجهه هو أن يتساءل بل وحتى أن يتحدى الكثير من إجراءات الولاء الداخلى الأمريكى. كما لم يبد أنه لم يكن يرى الأمور الصعبة من وجهة نظر واحدة مع المندوب الأمريكى كابوت لودج. كما لم يكن وزير الخارجية الأمريكي جون فوستر دالاس ميالا فى البداية لأن يأخذ السكرتير العام الجديد مأخذ الجد كما كان من الواضح أن المؤشرات الأولى تقول إن هذا السويدى الهادئ ذو المظهر الشاب له أفكار قوية حول ما هو صحيح وما هو خاطيء وهى الأفكار التى استثارات دالاس. كما كانت زيارة السكرتير العام الجديد لواشنطن فى ٦ مايو عام ١٩٥٣ على مستو ضعيف وغير هامة فيما عدا الوقت الذى استقبله فيه ايزنهاور الذى يبدو أنه قد تفهم أصرار السكرتير العام على حقه فى الحكم المستقل. أما فى لقائه مع دالاس فبعد تبادل محبط لوجهات النظر ذكر له همر شولد صراحة أن الرأى العام الأمريكى يجب أن يكون راضيا إذا نجحت الأمم المتحدة فى أن تكون هيئتها على الحياد السياسى، وخلال هذه المقابلة لم تناقش أى مسائل سياسية، وقد غادر همر شولد واشنطون بلا أى أوهام حول مركزه فى العاصمة الأمريكية.

ومن المفارقات أن علاقة همر شولد مع الاتحاد السوفيتى قد بدأت بشكل أكثر سلاسة منها مع الولايات المتحدة وخاصة حول المسائل المتعلقة بأفراد

(*) تنص المادة ١٠١ على:

١ - فى أدائهم لواجباتهم فإن السكرتير العام وهيئة السكرتارية لن يطلبوا أو يتلقوا تعليمات من أى حكومة أو سلطة أخرى خارج المنظمة وسوف يمتنعون عن أى عمل يمكن أن ينعكس على مركزهم كموظفين دوليين مسئولين فقط أمام المنظمة -

الأمم المتحدة وموظفيها وحصاناتهم فى مواجهة الإجراءات الأمريكية، غير أن سلاسة هذه العلاقة مع الاتحاد السوفيتى لم تمنع همر شولد من اتخاذ مواقف حازمة، فقد كان المندوب السوفيتى فيشنسكى قد رشح اسما سوفيتيا لشغل منصب كبير فى سكرتارية الأمم المتحدة وقد اعترض عليه همر شولد لصغر سنه - ٣٥ عاما - الأمر الذى رآه همر شولد إضعافا لهذا المنصب كما أنه حسب تعبيره لن يشترى Acat in thebag والذى لم يتح له حتى فرصة إجراء مقابلة معه وعندما رد فيشنسكى أن همر شولد نفسه كان: Acat in the bag ، رد «همر شولد أنه لم يكن من الحصافة من الاتحاد السوفيتى أن يقبل ذلك خاصة وأن هذه القطة قد ثبت أن لها طريقها الخاص. وقد قبل فيشنسكى هذا التناول بابتسامة عريضة وقبل اقتراح همرشولد بترشيح سفير الاتحاد السوفيتى فى استكهولم لهذا المنصب. وقد استمرت علاقة همر شولد بمندوب الاتحاد السوفيتى تتسم بالود حتى وفاة فيشنسكى عام ١٩٥٤.

وقد كان من أكثر المسائل التى واجهته إلحاحًا ما كان يتعلق بمكانه ومستقبل سكرتارية الأمم المتحدة وأدائها. وفى عاميه الأولين أخذت أعماله الإدارية الأولوية على أى شىء آخر.

وقد عالج مشكلات سكرتارية الأمم المتحدة من خلال تقليد سويدى ناضج حول الخدمة المدنية غير السياسية، وربما بدون هذا التقليد، فإنه كان سيواجه حتما بخيبة أمل قد تقعد غيره عن المحاولة غير أن همر شولد لم يتخل أبداً عن الصراع من أجل بناء جهاز السكرتارية وفاعليته

---

٢ - يتعهد كل عضو فى المنظمة أن يحترم الطابع الدولى الخالص لمسئوليات السكرتير العام وهيئته وأن لا يسعوا إلى التأثير عليهم فى أدائهم لمسئولياتهم.

وتنص المادة ١٠١:

إن الاعتبار الأعلى فى تعيين هيئة السكرتارية وتحديد شروط الخدمة سيكون ضرورة ضمان أعلى مستويات الكفاءة والاختصاص والتكامل، وسوف يعطى الاهتمام الكافى لأهمية تعيين هيئة السكرتارية على أساس جغرافى واسع بقدر الإمكان.

واستقلاليته، وفى عامه الأخير وجد نفسه مرة أخرى يحارب من أجل مبدأ الاستقلال فى دفاعه عن منصبه هو وقد كان واضحا منذ البداية أنه فى منظمة تتكون من دول متنافسة ذات سيادة فإن بناء وأداء خدمة مدنية دولية مدنية كانت مشكلة طويلة الأجل وليس لها حلول سريعة وسهلة، وقد ذكر فى ديسمبر عام ١٩٥٣ : «فى بعض الأحيان حين أنظر إلى الأمام فإن المشكلات التى تثيرها حاجتنا لتطوير خدمة دولية مدنية مستقلة حقا تبدو لى أمراً يتجاوز القدرة البشرية. غير أنى أعلم أن هذا ليس كذلك.. إننا فى الوضع المحظوظ للرواد وكل شعب له مستوياته فى الحكم على الأشياء وأخلاقياته وقيمه الخاصة وقوانينه الخاصة للسلوك، إننا فقط فى البداية الأولى فى تنمية مثل هذه المستويات داخل المنظمة».

وفى الحديث عن جهود وعلاقة همر شولد بجهاز السكرتارية ونظرته إلى دوره فى البناء الأشمل للمنظمة ودوليا تجدر الإشارة إلى المحاولة الأولى لبناء سكرتارية دولية والتى جاءت من جانب سكرتير عام عصبة الأمم السير اريك درموند. Eric Drummond والتى كانت فى ذاتها تجديدا جذريا فى الشئون الدولية. أما فى نطاق الأمم المتحدة، فقد كشفت المناقشات التى جرت فى اللجنة التحضيرية للمنظمة عام١٩٤٥ عن وجهتى نظر مختلفتين، حول المسائل الحاسمة لتعيين أفراد السكرتارية وضمان حرية واستقلال الطابع الدولى للسكرتارية وفقا للمادة ١٠٠، ١٠١ من الميثاق(*) وقد ألقت وجهة نظر الأولى مسئولية متفردة على السكرتير العام، وكانت هذه هى وجهة نظر الأغلبية، أما وجهة النظر الثانية فقد اعتبرت أن التعيين يجب أن يكون خاضعا لموافقة الحكومات المرشحين وهى وحدها التى تتحقق من مؤهلاتهم.

ورغم أن الأغلبية اعتبرت أن مثل هذا الأسلوب سوف يدمر استقلال السكرتارية إلا أنها قد انتهت إلى أن الإدراك السليم يتطلب أن يكون موظفى السكرتارية مقبولين بقدر الإمكان من حكوماتهم ولكن دون أن

يكون هناك نص يعطى للحكومات حقوقا خاصة فى هذا الشأن أو يسمح بالضغط السياسى على السكرتير العام.

وفيما يتعلق بالاتجاه العام لهمر شولد فقد كان مقتنعا بأن فعالية الأمم المتحدة كمنظمة دولية قادرة على تلبية مطالب عالم يتكون من حكومات مستقلة ذات سيادة، سوف يعتمد إلى حد كبير على مقاومة أى محاولة من جانب الحكومات للتدخل وممارسة ضغوط على السكرتارية الدولية.

أما علاقة همر شولد بأجهزة الإعلام وممثليها وخاصة الصحافةفقد كان رغم حرصه - وخاصة فى الجوانب السياسية - على أن يبقى على ثقة الحكومات وعلي أن لا يجعل العلانية تؤثر على هذه الثقة، إلا أنه كان يدرك أيضاً أهمية الصحافة فى عمل المنظمة، ولم يكن يود أن يخيب آمال الصحفيين فيه، ولذلك خاطبهم فى مؤتمره الصحفى الأول بقوله: «سوف أقول لكم بكل علانية كل ما أستطيع أن أقوله دون أن أضر بالمصالح التى يجب أن أخدمها، وسوف أقبل بامتنان، وسوف أتعلم من كل أنواع النقد من جانبكم طالما كانت قائمة على الحقائق، وتوجه بإحساس بالمسئولية التى أعلم أنها توجهكم جميعا». وقد أدرك همر شولد منذ البداية أن الإعلام وأخباره يشكل عنصرا جوهريا فى جعل الأمم المتحدة فعالة، وأن علاقته معهم حاسمة بالنسبة لأدائه، فى نفس الوقت كان يدرك أثر العلانية، مهما كانت مؤيدة، وتعارضها مع الدبلوماسية الهادئة والفعالة، قد بذل سلسلة من المحاولات لحل هذه المعضلة. وفى مؤتمره الصحفى الأول طلب من المراسلين أنفسهم أن يقترحوا طرقا لحل مشكلة العثور على «توازن مناسب بين رغبتى فى مساعدة الصحافة وخدمة الرأى العام من ناحية،ومن ناحية أخرى فى أن أتمكن من العمل وأن أعيش فى أكبر قدر من الهدوء الممكن». وقد تطور تذوق همر شولد للمؤتمرات الصحفية والاستمتاع بالتحدى الفكرى والإجابة على الأسئلة، والتى نادرا ما تجنبها، دون أن يتخلى عن حرصه وفطنته أو خرقه للثقة، وقد تمكن من ذلك خلال

تطويره لأسلوب من استخدام الاستعارات والتجريد وأسلوب يجمع ما بين الشرح والتفصيل وبين الغموض، ورغم أنه كان يبدو أسلوبا لامعا إلا أنه كان من الصعب استيعابه، كما كان يبدو صريحا ومباشرا إلا أنه لم يكن يقدم ما يشبع الصحفيين من معلومات. وقد أثار هذا الأسلوب إعجابهم وتذمرهم فى نفس الوقت حيث كانوا يجدون أنفسهم فى نهاية المؤتمر الصحفى والذى نوقشت فيه أمور هامة دون أن يخرجوا بأنباء مثيرة والقليل مما يمكن أن يكتبوا عنه. وبعد وفاته قدم له الصحفيون تحية كان سوف يقدرها «استمتعنا بعلاقة خاصة مع السكرتير العام الذى دائما ما أشار إلى الصحافة كجزء مكمل للأمم المتحدة. نحن فخورون بهذه العلاقة، وقد عرفناه أيضاً كرجل عظيم وأصبحنا نحمل له احتراما عميقاً وعاطفة». وقد أنشأت رابطة المراسلين صندوق همر شولد التذكارى لدعوة شباب الصحفيين من الدول النامية لمقر الأمم المتحدة.

وفى أدائه لوظيفته كسكرتير عام للأمم المتحدة وفى تصوره لهذا المنصب ودوره ومسئوليته كان همر شولد يقيم علاقة وثيقة بين فعالية هذا المنصب واستقلالية صاحبه وثقة الحكومات فيه وبين دور المنظمة الدولية واحترامها وقدرتها على القيام بمهامها وتحقيقها للمبادئ الأصيلة لميثاقها فى الحفاظ على السلام والأمن الدوليين فى تحقيق المساواة والعدالة الدولية. وقد رأينا كيف كان من أول مهام أو تحديات همر شولد بناء جهاز سكرتارية الأمم المتحدة واستعادة الثقة فيها. وفى نفس الوقت تأكيد استقلالية أفرادها وثقتهم فى أنفسهم ورفع معنوياتهم وهو أمر كان أيضاً يربط بينه وبين ما يكون عليه السكرتير العام نفسه من ضعف أو قوة. ومنذ البداية كان لدى همر شولد وجهات نظر محددة حول ما يجب أن يفعله وأكثرمن هذا حول ما لا يجب أن يفعله، كما كان يدرك تماما أن السكرتير العام يمكن أن يكون فعالا ومستقلا فقط طالما كان لدى الحكومات ثقة كاملة فى موضوعيته واستقلال حكمه. فإذا ما شعر أنه مضطر تحت

ظروف طاغية لاتخاذ موقف سياسى علنى - كما فعل همر شولد ذلك فى أزمات السويس والمجر والكونغو، فإنه كان يفعل ذلك وعينه على قيمته فى المستقبل كوسيط مقبول وعلى نزاهة مواقفه واستقلاليتها.

وقد تحرك همرشولد ببطء مقصود فى تطويره للإمكانيات السياسية لمنصبه وأمضى عاميه الأولين فى هدوء وبلا تطفل فى تعلم وظيفته وفى التعامل مع المشكلات العاجلة للسكرتارية وفى إعادة تأسيس مركزها ومعنوياتها وإتجاهها وبناء ثقة وتفهم - الحكومات لدورها، ورغم أنه لم يسع إلى الانغماس فى القضايا السياسية إلا أنه لم يتهرب منها حين كانت تتطلب وجوده وكان هذا الوجود ضروريا. وفى مناقشته لقدراته على المبادرة ذكر فى عام ١٩٥٤ «أساسا فإن مسئولية السكرتير العام كما أراها هى أن يستخدم أى حق قد يعطى له أو يقذف له به بأقصى قدر من المرونة ويرد فعل سريع جداً لأن الوقت يعنى الكثير جداً فى هذه الظروف.. إن مبادرة السكرتير العام هى من حيث المبدأ عمل مكمل، فحين تصل الحكومات إلى طريق مسدود فإنه قد يكون الشخص الذى يمكن أن يساعدهم وأن يخرجهم من هذا المأزق أما إذا تمكنت الحكومات من أن تمسك زمام الأمور وتتفادى المأزق واستمرت فى مناقشاتها واتصالاتها المباشرة فإن على السكرتير العام أن يقف فى الخلف وليس لديه أى سبب أن يقفز إلى المسرح أو أن يحل محل أى حكومة مسئولة».

وكانت أفكار وتصورهمر شولد لمنصب ومسئوليات وإمكانيات ودور السكرتير العام تستند أساساً على تفسيره للمادة ٩٩ من الميثاق والتى تخول السكرتير العام أن يلفت نظر مجلس الأمن لأى مسألة قد تهدد فى رأيه الحفاظ على السلام والأمن الدوليين وقد ذكر لجمع من المستمعين فى لندن عام ١٩٥٤ : «أن المادة ٩٩ هى شىء جيد ولكنها لا تذهب بعيداً بما فيه الكفاية. إن المادة ٩٩ تخول للسكرتير العام الحق فى أن يبادر فى مجلس الأمن حين يشعر أن هناك تهديداً للسلام والأمن ولكن الأهمية

الحقيقية هى أنه مهيىء ومن حقه أن يقوم بهذا النوع من المبادرة. والأهمية الحقيقية لهذه المادة هى أنها تعنى أن حكومات الأمم المتحدة تتوقع من السكرتير العام أن يتخذ مسئولية مستقلة بغض النظر عن اتجاهاتهم لكى يمثل العنصر المتجرد وغير المتحيز فى الحياة الدولية للشعوب وفى بعض الأحيان سيكون عليه أن يعرب عن رغبات الشعوب ضد هذه الحكومة أو تلك.

وقد بدا هذا المفهوم المحافظ نسبيا لقدرات السكرتير العام على المبادرة السياسية بخبراته فى قضية المسجونين الأمريكيين فى بكين ودوره فى أزمة الشرق الأوسط عام١٩٥٦ . وفى عام ١٩٥٧ وصف دور السكرتير العام والسكرتارية بالاستشهاد بالفيلسوف الصينى Sung Tzu وأتباعه:

«دائما يقابل بالزجر ولكن ذلك لا يثبطه أبداً، إنهم يسعون من دولة إلى دولة يساعدون الناس على تسوية خلافاتهم ويحاربون ضد هجوم جائر ويدعون إلى إلقاء السلاح وكبحه، حتى يمكن للعصر الذى يعيشون فيه أن يتخلص من حالة الحرب الدائمة. من أجل هذه الغاية فإنهم يقابلون الأعداء ويحاضرون عامة الناس، وقد لا يحققون النجاح فى الحال ولكنهم يواصلون بعناد مهمتهم حتى يرهق الملوك والعامة من الاستماع إليهم إلا أن هذا لا يردعهم ويواصلون فرض نفسهم على اهتمام الناس».

فى سنواته الأولى كسكرتير عام تحدث همر شولد عن قيمة «الدبلوماسية الهادئة «كمحك» لدبلوماسية الأمم المتحدة» وقد حدد الدبلوماسية الهادئة على أنها «الدبلوماسية التى تسطيع فيها أن تضمن الفوارق الدقيقة فيما تقول بكل الثراء الممكن فى الحديث الخاص وحيث تستطيع أن تتراجع دون أى مخاطر من فقدان ماء الوجه وحيث تستطيع اختبار الأفكار وليس تقديم مقترحات».

ومع عام ١٩٥٩ وبعد ست سنوات من الخبرة العملية طور همرشولد

أفكاره إلى أبعد من ذلك وربما أبعد مما سوف تبرره الأحداث المقبلة «إن فلسفة الميثاق كما تعكس فى المادة ٩٩ تعطى السكرتير العام إمكانيات سياسية ودبلوماسية واسعة لعمل ذى طبيعة أقل رسمية وعلانية، وفى نطاق هذه الإمكانيات رأينا تطورا مستمرا جدا فى السنوات الأخيرة.. إنى أعتقد أن من واجبه أن يستجيب دون اعتبار للمخاطر إلى الحد الذى يطلب منه إلى الدول الأعضاء وفقا لروح الميثاق مساعدته فى هذا الشأن. لقد حاولت أن أفعل هذا ومنه نمت علاقة جديدة ومشجعة بين السكرتير العام والحكومات الأعضاء.. دعونى أؤكد أن أيا كان القصور فسوف أفعل ما أستطيع لكى أطور المنصب فى ضوء مواد الميثاق إلى مستو عالمى من الفائدة للحكومات وبالقدر الذى تسمح به الظروف». وأمام ما يفتقده السكرتير العام من سلطة إلا أن هناك ما يعوض هذا النقص، فلإنه ليس لديه مجموعة ضغط خلفه، ولا أرض ولا برلمان بالمعنى العادى للكلمة فإنه يستطيع أن يتحدث بحرية أكثر وصراحة أعظم وأن يقترب من الحكومات ببساطة أكثر.. «وبشرط توفر خط سياسى واضح من جانب الجمعية العامة ومجلس الأمن» فإن الافتقار إلى وسائل الضغط «يمثل ضعفا حضاريا ولكن يعوض بحرية العمل وحرية التعبير وهو الحق الذى يستطيع السكرتير العام أن يعطيه لنفسه وأنا سعيد أن ألاحظ أن الحكومات أيضاً تمنحه له». وقد ثبت مرة أخرى أن هذا كان تقديرا مسرفا فى تفاؤله».

وبعد إعادة انتخابه عام ١٩٥٧، طور همر شولد بثبات تصور دور نشط للأمم المتحدة من خلال إثبات ما يمكن للمنظمة أن تفعله. فقد ذكر عام ١٩٥٩: «إن خط السياسة كما أراه هو أن الأمم المتحدةببساطة يجب أن تستجيب لهذه المطالب التى تفتقر لها فإذا كانت هذه المطالب أبعد من القدرات المالية للمنظمة فإن هذا من وجهة نظرى ليس سببا فى أن أقول لا، ذلك أنى لا أستطيع أن أعرف القدرة الحقيقية لهذا الجهاز، لقد استجبت لأزمة السويس وصعدت تلالها الشديدة الانحدار، وتستطيع المنظمة أن

تتولى أزمات أخرى مماثلة..... إن إتجاه سياستى يظل.. إن الأمم المتحدة يجب أن تستجيب وأن يكون لها ثقة فى قوتها».

وقد كان همر شولد مقتنعا وبشكل متزايد أنه فى المجال السياسى فإن الأمم المتحدة يجب أن تركز على العمل الوقائى Preventive أكثر من العمل التصحيحى Corrective والذى كان أقل فعالية وأكثر تكلفة فى المدى البعيد. وقد طور هذه الفكرة خطوة أبعد فى تقديمه لتقريره السنوى عام ١٩٦٠ «إن هذه الجهود «لمنع الصراع» يجب أن تهدف إلى إبقاء الصراعات الناشبة حديثا خارج نطاق خلافات التكتلات، وأكثر من هذا فإنه فى حالة الصراعات التى تقع على هامش خلافات التكتلات، فإن الأمم المتحدة يجب أن تعمل لإخراج هذه الصراعات من هذا المجال من خلال حلول تهدف فى المحل الأول إلى حصرها فى نطاقها المحلى بشكل صارم، فالعمل الوقائى فى مثل هذه الحالات يجب فى المقام الأول أن يهدف إلى ملأ الفراغ حتى لا تملأه أىٌ من القوى الكبرى. ودخول الأمم المتحدة فى الصورة إنما يقوم على أساس عدم ارتباطها بأى كتلة. إن الحاجة والإمكانية الخاصة لما أسميه هنا دبلوماسية الأمم المتحدة الوقائية قد أثبتت نفسها فى حالات حديثة فى السويس وغزة ولبنان والأردن ولاوس والكونغو».

وباستقلال المزيد من البلذان والنمو المضطرد لعضوية الأمم المتحدة، رأى همر شولد المنظمة أكثر وأكثر كمدافع عن الأمم الصغيرة وكنقطة تجمع لها فى عالم مازالت تسيطر عليه القوى الكبرى وقد شعر همر شولد بأن الدول الصغيرة وبالتجمع معا فإن الأمم المتحدة يمكن أن تجعل صوتها مسموعا فى الحوار من القوى الأعظم. وقد كتب عام ١٩٦٠ «إن الأمم المتحدة قد أصبحت بشكل متزايد المنبر الرئيسى والحامى لمصالح الدول الفقيرة الكثيرة التى تشعر بقوتها كأعضاء فى العائلةالدولية ولكنها ضعيفة فى عزلتها. إنها تنظر إلى المنظمة المتحدة كمتحدث وكممثل للمبادئ التى

تمنحـهم القوة فى المجتـمع الدولى والذى تستطيع فيه أصـوات أخرى أن تحرك كل الثقل والقوة المسلحة والثروة، والدور التاريخى، وهذا النفوذ الذى يمثل الجـانب الآخر للمسئولية الخـاصة بالسلام والأمن» وذهب همر شولد «إلى أن بزوغ مجموعة من الدول المستقلة قد خلق قوة جديدة فى السياسة الدولية والتى هى إلى حد ما تعويض عن فشل القوى العظمى التقليدية فى تحمل مسئوليتها كنفوذ موجه فى المجتمع الدولى».

وبعد حديثه هذا عن القوى الصغيرةومكانها فى المنظمة وحين طالبه بعده بشهور خروشوف بالاستقالة كانت هذه الدائرة من الدول الصغيرة والمتوسطة هى التى اعتبرها همر شولد المدافعة عنه والتى احتكم إليها واعتبرها الحكم النهائى فيما وجهه إليه من اتهامات. وقبل وفاته بعدة شهور قال «أستطيع أن أقول إننى أرى مستقبل هذه المنظمة إلى حد كبير كجهاز يحترم فى المقام الأول مصالح البلدان الصغيرة والتى بدونها لن يكون لها منبر تتحدث منه فى الشئون الدولية، ومع هذا فإن هذه الدول الصغيرة تتعاون بشكل وثيق مع القوى الكبرى داخل المنظمة».

وفى تنفيذه لعمليات حفظ ووقايةالسلام تحول همر شولد بشكل متزايد للقوى الصغيرةوالمتوسطة وممثليهم من أمثال لستر بيرسون ممثل كندا، وهانز انجت ممثل النرويج وفـــردريك بولاند الايرلندى ومنجى سليم التونسى والذين كانوا بالنسبة له رجالا ذوى مبادئ عالية وعمليين يمكنهم تقديم العون والفهم والذى يجعل من الممكن إنشاء والمحافظة على هذه الآليات الجديدة والمعقدة لعمليات حفظ السلام.

غير أنه فى نفس الوقت كان يدرك أنه فى نهاية الأمر فإن موافقة القوى العظمى ولو الضمنية كانت حاسمة. وكان نشاط همر شولد المضطرد ومبادراته قد وضعته على طريق ملىء بالأخطار بين إحساسه الخاص بالمسئولية وبين مصالح وحساسيات القوى الكبرى. وبشكل متزايد كان

يرى ويفسر مسئولياته كواجب لاستخدام منصبه ونفوذه للتغلب على الجمود وعندما تصل الأمور إلى طرق مسدودة يمكن أن تؤثر على سلام العالم، فبالدبلوماسية الشخصية Privare Diplomacy فى لبنان ولاوس، قام بمخاطرات محسوبة حول مدى المبادرة التى يمكن أن تتسامح معها القوى الكبرى. وقد كانت المخاطر كبيرة فى هذا الشأن باعتبار أن أحد أهدافه كان الإبقاء على المشكلات الدولية بقدر المستطاع خارج نطاق الحرب الباردة وقال عام١٩٥٩ : «إننى اعتبر أن من الوظائف الطبيعية للسكرتير العام هو الإبقاء على المشكلات بقدر الإمكان خارج محيط الحرب الباردة لعدة أسباب: أحدها أنها إحدى الطرق التى يمكن التغلب بها على الصعاب التى تخلقها الحرب الباردة أمام الأمم المتحدة وعملياتها لحفظ السلام، كما أنها إحدى الطرق، إن لم يكن لإذابة جليد الحرب الباردة، فعلى الأقل للحد من تأثيرها على الحياة الدولية». إلى أى مدى كان يمكن أن يذهب فى تفسيره لحقوقه وفقا للميثاق دون أن يستثير معارضة العمالقة؟ كان ذلك نوعا من المغامرة التى تضمنت وتطلبت عبقرية فى الأداء والإجراءات مثلما حدث حين عرض الوضع فى لاوس أمام مجلس الأمن من خلال تقديم تقريره وليس من خلال المادة ٩٩ والعديد من التجديدات العملية مثل «وجود الأمم المتحدة» وإيجاد ممثلين شخصيين للمناطق ذات المخاطر المحتملة «بهدف مساعدة الحكومات فى جهودها قبل هذه النشاطات بما فيها النص على «المساعي الحميدة» فى النزاعات بين الحكومات والتى كان يقوم بها فى بعض الأحيان بدون تفويض محدد من مجلس الأمن رغم أن أعضائه كانوا يحاطون علما بهذه المساعى.

ولوقت ما بالغ همرشولد فى المدى الذى يمكن لبعض الحكومات أن تتسامح مع نشاطه وقال عام ١٩٥٩ «إنه ليس عن طريق كبت وجهات نظره ولكن عن طريق تكوين وجهات نظره على أساس مستقل والمحافظة عليها بشكل دائم ومتماسك يستطيع السكرتير العام أن يكتسب الثقة التى

يعتمد عليها وباتباعه لمثل هذا الخط المستقل فقد يثير غضب وخصومة مجموعة اليوم والأخرى غداً ومجموعة ثالثة بعد غد غير أن هذا لا يجب أن يقلقه إذ سوف تدرك الحكومات الأعضاء أنها سوف تكسب كثيراً وتخسر القليل من استقلال السكرتير العام فى الصراعات الدولية، وهكذا فإن خلق العلاقة الصحيحة مع الدول الأعضاء والإبقاء عليها دون استثناء ليست مضرة لتكامل السكرتير العام بل على العكس إن مثل هذه العلاقة إنما تعتمد على تكامله».

وعلى عكس ما كان يأمل همر شولد ويتصور، فقد ثبت أن استقلاله، وأكثر من ذلك تكامل شخصيته وسلوكه، كان أمراً غير مقبولٍ لبعض الحكومات.

ولم يكن همر شولد يتردد فى الأعراب عنى أفكاره حول تطوير سلطات منصبه وحين قدمها فى تقديمه لتقريره السنوى لعام ١٩٥٩ كان يتوقع أن تكون موضع تحدٍ كامل غير أنه لدهشته كان كريشنا مينون الوحيد الذى توقف عندها فى الجمعية العامة قائلاً عن حق تماما، إنها تمثل فلسفة سياسية ونظرية لها تأثير هام على مستقبل الأمم المتحدة الأمر الذى لم يلق اهتماماً مناسبا من الجمعية العامة .وكان همر شولد فى خطاب له فى كوبنهاجن عام ١٩٥٩ والذى أشار له بعد ذلك بأنه دليل مختصر Little Hand book فيما يتعلق بممارسات الأمم المتحدة، وتاريخ الأمم المتحدة وفنون الأمم المتحدة «يهدف إلى إظهار «أى إمكانيات توجد فى المنظمة»، ففى هذا الخطاب طور همر شولد فكرة تملك الأمم المتحدة وجودا وإمكانات العمل مستقلة عن إرادات وسياسات الدول الأعضاء. هذه الإمكانات تنبع من الوضع المستقل للأمم المتحدة ومن مواقعها المستقلة عن المواقف التى تشيع لهذا الطرف أو ذاك وهى تعتمد أولاً وأخيراً ولا يسيطر عليها إلا الأهداف المبينة فى الميثاق.

وقد كانت هذه الآراء أمراً مستفزاً للكثيرين إذ أضطر بعد أيام أن يوضح أنه لم يكن يقصد بهذه الأفكار أن تكون اقتراحات من جانبه فقد ذكر لمؤتمر صحفى «لقد كنت أوضح أى إمكانات تمتلكها الأمم المتحدة دون أن يعنى هذا أن هذه الإمكانيات يجب استخدامها».

غير أن همر شولد كان يتقدم لوضع أفكاره موضع التنفيذ حينما يشعر أن الموقف يتطلب ذلك، وكان يفعل هذا بافتراضه أن نوعًا ما من النظام والضمير الدولى يتشكل فى الأمم المتحدة، وإنه - السكرتير العام - فى أفضل موقع لكى يكون المتحدث، بل وحتى المنفذ؛ لأنه بطبيعة منصبه وانتخابه كسكرتير عام قد ارتفع فوق الصراعات التى تقسم المنظمة. غير أنه حين جذبته التيارات المعاكسة والمتعارضة لأزمة الكونغو إلى صراعات الحكومات الأعضاء فإن مفهومه للنظام الدولى الجديد بدأ يواجه معارضة عنيفة.

وقد طور همر شولد الخط الذى عبر عنه فى كوبنهاجن بعد ذلك بعام فى خطاب له فى شيكاغو قائلاً إن وضعه باعتباره الموظف الدولى الأول والممثل لكل الحكومات قد دفعه إلى نشاطات دبلوماسية حرة وسياسية متزايدة وواسعة. وفى المراحل الأولى من هذا التطور فإن هذه النشاطات كانت يجب أن تكون «على أساس شخصى تمامًا» وفى صورة تجريبية «ولكن فى المدى الطويل فإنه من المحتمل أن تتطلب تجديدا دستوريا بناء وذا خيال» وقد كان طريقا مليئًا بالمعانى المعقدة والأخطار وحيث «ثبات الهدف ومرونة الأسلوب هما وحدهما الضمان أن ما تستكشفه من إمكانيات سوف تختبر بشكل كامل».

وحين جاءت العاصفة فى نهاية عام ١٩٦٠ كانت عنيفة وقضى همرشولد معظم العام الأخير له فى الدفاع عن أفكاره وأعماله ولم يكن الاتحاد السوفيتى وحده الذى كان رد فعله قويا تجاه تجديدات أفكار همر

شولد حول المنظمة ودورها، فقد اتهم ديجول ـ ورغم أنه كان معتدلا وأقل تطرفا من خروشوف ـ الأمم المتحدة «بالطموح للتدخل فى كل الأمور، وهو ما ينطبق بوجه خاص بالنسبة لموظفيها، إنها شغوفة بتأكيد ذاتها حتى بقوة السلاح كما فعلت فى الكونغو» . كما عبرت حكومات أخرى أيضاً عن مخاوفها الحقيقية.

ووسط هذا الهجوم الحاد كان همر شولد مصمماً أن يدافع بكل ثمن عن موقفين: استقلال السكرتارية وسكرتيرها العام ومفهوم الأمم المتحدة كمنظمة نشطة سياسيا تستطيع إذا كان ضروريا أن تتخذ إجراءات عملية فى مواقف الصراعات. وفى الدفاع عن هذين المفهومين الأساسيين تغير أسلوبه بشكل جذرى وانتقل من الإشارات والاستعارات والمعانى الفلسفية إلى الرد على نقاده الذين حاولوا الانتقاص من قدره بوضوح وصراحة والعزم واستقلال الفكر وبشكل اختلف مع الأسلوب الحذر والأقوال الغامضة لسنواته الأولى. ولم يعدم فرصة لكى يضع أمام الحكومات الأعضاء الخيار بين بديلين للأمم المتحدة ومستقبلها. فأما مجرد جهاز للمؤتمرات وإطار لمفاوضات علنية مجرد من إمكانات العمل للحفاظ على السلام بما يعنى العودة إلى نمط عصبة الأمم، أو منظمة نشطة من أجل السلام كما كانت ببطء خلال السنوات الخمس الماضية. وكان همر شولد مقتنعا أن السلوك المستقل وغير المتحيز للسكرتير العام يقع فى قلب هذا الاختيار، فقد ذكر عام ١٩٦١ «إننى أعتقد بكل قوةأن المبدأ الأساسى للعالمية كما تأسس بشكل خاص فى المادة ١٠٠ هو مبدأ حاسم ذلك أنه إن لم يطبق ويحترم ماذا سيكون لدينا؟ سيكون لدينا سكرتارية وتنفيذيين يصبحون فى الحقيقة تمثيل على مستوى منخفض للحكومات الأطراف، فإذا أصبح الأمر كذلك فلن يكون لديك طرفا تنفيذيا غير متحيز لقرار أو اتفاق، وإنما سيكون لدينا بمعنى ما مفاوضات مستمرة أو مجهود مستمر للتوصل إلى قرارات» . وفى آخر خطاب له فى اكسفورد فى مايو عام

١٩٦١ حذر من التضحية بفكرة خدمة دولية موضوعية يقودها سكرتير عام مستقل ومثل هذا التطور «يمكن أن يكون ميونيخ التعاون الدولى كما تصورناه بعد الحرب العالمية الأولى، ثم تطور بعد ذلك تحت مأساة الحرب الثانية: أن تتخلى عن المبادئ التى يقوم عليها هذا التعاون أو تساوم عليها قد لا يكون أقل خطرا من أن تساوم حول مبادئ تتعلق بحقوق أمة، وفى كلا الحالتين فإن الثمن الذى يدفع قد يكون هو السلام».

وقد جاءت أزمة الكونغو ١٩٦٠ - ١٩٦١ لكى تثير مشكلات تتعلق بسلطة وعمل السكرتير العام والسكرتارية وهى المشكلات التى لم يتوقعها همر شولد رغم أنه لم يكن لديه أوهام حول مصداقية تكوين مفهوم خدمة دولية موضوعية ومستقلة تعمل فى عالم من دول مستقلة ذات سيادة. وكانت ضرورة التعامل مع طوارئ الموقف فى الكونغو فى غياب توجيهات واضحة من الأجهزة الدولية للأمم المتحدة قد أثارت مسألة مركزية مختلف عليها بشكل كبير تتعلق بالمبدأ وحول استقلال وسلطة السكرتير العام. وكان همر شولد مقتنعا أن نتيجة هذا النقاش سيكون ذا تأثير حيوى على مستقبل وفعالية الأمم المتحدة كأداة لحفظ السلام والأمن الدوليين وكان مصمما أن لا يقتصر ولا يقدم أى تنازلات يمكن أن تؤثر على إمكانات السكرتير العام فى المستقبل لكى يلعب دورا مفيدا.

ورغم أن دور همر شولد كسكرتير عام قد طغت عليه خاصة فى سنواته الأخيرة المسئوليات السياسية وكوسيط وكمحافظ فقط على السلام والأمن الدوليين وعلى مسئولياته الإدارية باعتباره الموظف الإدارى الأول فى المنظمة، رغم هذا فإن ولاء واحترام أعضاء وموظفى السكرتارية له قد تزايد بمرور السنوات. وكان لابد أن يكون ثمة أعضاء فى السكرتارية يشعرون بالاهمال أو عدم التقدير الكافى، وربما أيضًا أنه تحت ضغط الأزمات السياسية كانت صلات همر شولد المنظمة مع الإدارات المختلفة قد أصبحت متقطعة ولكن ظلت هيئة السكرتارية ككل فخورة به إلى حد

كبير وتقدر تأثير نشاطه على وضع ومكانة الأمم المتحدة والسكرتارية نفسها على الخريطة. فى هذا ذكر رئيس هيئة السكرتارية فى الاجتماع الذى خصص للاحتفال ببداية فترة ولايته الثانية عام ١٩٥٨ «إن هيئة السكرتارية تشعر بالفخر للإنجازات العديدة التى حققتها والتى أضافت بشكل عظيم إلى منصبك والمنظمة ككل. وخلال تكرسك لقضية الأمم المتحدة ومن خلال مهارتك التى لا تجارى والنابعة من قوتك الداخلية فقد وضعت مبادئ وأهداف الميثاق فى مقدمة المسرح العالمى. لقد خلقت أسلوبا جديدا فى الدبلوماسية المعاصرةوالتى باشرتها بخيال وحيوية وقد قدمت مركزا وطريقا هادئاً فى الأوقات المضطربة والمتعبة التى نعيشها». وقد رد همر شولد بخطاب نابع من القلب: «إننا لسنا فاتيكان ولسنا جمهورية كما أننا لسنا خارج العالم إننا فى العالم بشكل كبير وحيث هذا النوع من الانتماء وهذا الإحساس العميق بالوحدة. وآمل أن نكون فى طريقنا إلى هذا الإحساس وأشعر أننا تحركنا فى هذا الاتجاه، وإلى الحد الذى يعتمد هذا على شخصيا فإنى أستطيع أن أقدم لكم تأكيدا واحداً: إن ما أستطيع أن أفعله لهذا الهدف سوف أفعله».

وفى السنوات الأولى من منصبه مر همر شولد بلحظات من التفاؤل الكبير حول تطور الخدمة المدنية الدولية. وقد انعكس هذا فيما ذكره فى مؤتمر صحفى عام ١٩٥٤ «لدى انطباع أن السكرتارية فى علاقاتها مع الأجهزة الأخرى الرئيسية إنما تتقدم بشكل أكثر إلى الوضع الذى أعتقد أنه من حقها. فمن ناحية فهى بالضرورة الجهاز الخادم، خادم كما قلت دائما.. والخادم يجب عليه فى اللحظة الصحيحة أن يقدم لسيده ما يعتقده عن الاتجاه الصحيح».

وقد سارعت أزمة السويس والدور الذى أدته الأمم المتحدة والسكرتير العام فيها بتطوير السكرتارية كأداة عملية وتنفيذية.

كما جاءت أزمة الكونغو والمواجهة التى تلتها بين السكرتير العام والاتحاد السوفيتى لكى تضع مبدأ سكرتارية دولية مستقلة فى مركز النقاش والخلاف والجدل حول طبيعة الأمم المتحدة ذاتها. ومع أكتوبر عام ١٩٦٠ وجد همرشولد نفسه مرة أخرى منغمسًا وبشكل علنى هذه المرة مع قوة أعظم أخرى مثلما فعل فى التحدى الأول عندما وصل إلى نيويورك عام ١٩٥٣ : «لقد تحدث الميثاق عن «الفعالية والتكامل والكفاءة باعتبارها العناصر الحاسمة فى الموظفين الدوليين» كما ذكر للجنة الخامسة فى إحدى اجاباته العديدة على النقد السوفيتى «بالنسبة لى فإن التكامل يعنى أن الموظف الدولى يجب إن يكون له ولاء واحد فى أداء واجبه وهو ولائه للأمم المتحدة.. ولكن يتهم الناس الذين يخدمون هذه المنظمة وفقا للروح الحقيقية للميثاق ويتكامل يتعدى الثناء وولاء بلا أى تحفظات، أن يتهم مثل هؤلاء الناس بأنهم يتحدثون باسم كتلة أو أخرى بسبب جوازات سفرهم إنما هو استخفاف وتجاهل لرجال ونساء يستحقون أفضل من ذلك بكثير».

وفى ٢٤ يونيو ١٩٦٠ وقبل أسبوع واحد من بداية أزمة الكونغو قدم همرشولد للجنة الثانية تقديرا لمشكلاته والذى توقع بشكل دقيق بعض الصعاب التى سوف تحدق به وبالسكرتارية. فقد وسع التغير السريع وغير المتوقع من وظيفة وعضوية الأمم المتحدة وبشكل كبير التحديات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى سيكون على المنظمة أن تستجيب لها. وحيث لم تقدر الحكومات الأعضاء بشكل كامل حجم هذا التغيير الذى ألقى أعباء على السكرتارية وبحيث بدت وكأنها تتوقع من السكرتارية، بكلمات همر شولد «إن تذهب لصيد أسد دون أن تكون مستعدة لتزويدها ببندقية لصيد طائر» كما ذكر لمجموعة من الخبراء «أنه بالنظر إليها كقضية سياسية فإن عمل السكرتارية والمنظمة كجهاز إدارى فإن المرء يستطيع ويجب عليه فيما يواجه بشكل واقعى إمكانية أن تفشل فى إفريقيا، إن تفشل هنا وتفشل هناك لأننا لسنا مخلصين بشكل كافٍ».

وفى وصفه لوضع السكرتير العام الصعب فى مواقف موضع خلاف سياسى أشار همرشولد إلى أنه فى الوقت الذى يجب على السكرتير العام تنفيذ قرارات الأجهزة الرئيسية للأمم المتحدة فإنه يجب عليه كذلك أن يعيش بإحساسه الذاتى بالمسئولية وخاصة حينما لا تكون - لعدة أسباب - ثمة توجيهات محددة من أحد الأجهزة الرئيسية وقد تساءل «هل كان عليه أن يتخلى عن عملية الكونغو لأن فى أى قرار اتخذه يتعلق بتكوين القوة ودورها سيكون معارضا لاتجاهات بعض الأعضاء كما ظهرت فى المناقشات أو حتى فى التصويت»؟ إن مسئولية السكرتير العام وفقا للميثاق لا يمكن أن تنحى جانبا لمجرد أن تنفيذه للقرارات من المحتمل أن تكون موضوع خلاف سياسى. إن السكرتير العام يظل تحت التزام تنفيذ القرارات كما تبنتها الأجهزة والمطلب الرئيسى هو أن يفعل هذا على أساس مسئوليته الدولية الخالصة وليس لصالح دولة أو مجموعة من الدول».

وقد كان من رأيه أن سكرتارية الأمم المتحدة لابد ستتعرض من وقت لآخر لخلاف سياسى حاد وللاتهام بالافتقاد للحياد ولكنها لا يمكن أن تتهم بالافتقار للحياد ببساطة لمجرد اتخاذها موقف حول مسألة خلافية حين كان ذلك واجبها وبشكل لايمكن تجنبه «ولكن يظل هناك مشكلة فكرية وأخلاقية ونحن نتحرك داخل منطقة يجب أن يقوم فيها الحكم الشخصى بدور وفى النهاية علينا أن نتعامل هنا مع قضية التكامل أو مع - إذا أذنت - «قضية الضمير» مضيفا «أن الموظف الدولى يجب أن يبقى نفسه تحت أدق مراقبة وهو ليس مطلوبا منه أن يكون محايدا بمعنى أن لايكون له كإنسان تعاطفه وتنافره، أو أنه ليس هناك اهتمامات قريبة منه بصفة شخصية وأن يكون له أفكار ومثل تهمه، ومع هذا فإن عليه أن يكون على وعى كامل بردود الفعل البشرية وأن يكبح نفسه بشكل صارم وبصوت لاتسمح لهذه الاهتمامات الشخصية أن تؤثر على أفعاله». وقد طور همرشولد أفكاره حول حياد الموظف الدولى والإنسان بوجه عام فذهب إلى أنه «قد يكون

صحيحا أنه بالمعنى الإنسانى العميق ليس هناك فرد محايد لأن كل إنسان إذا كان له قيمة يجب أن يكون لديه أفكاره ومثله، أشياء عزيزة عليه وهكذا، ولكن ما أستطيع أن أدعية أنه حتى الإنسان بهذا المعنى يستطيع أن يقوم بأعمال محايدة لان ذلك فى النهاية عمل من أعمال التكامل Integrity ويعنى هذا أنه قد لا يكون هناك إنسان محايد ولكن - إذا كنت تمتلك التكامل - عمل محايد من الشخص الصحيح. ومثل هذا الحياد يمكن أن يتطور إلى نوع من الهزل Jeu de Mots إنى لست محايدا فيما يتعلق بالميثاق ولست محايدا فيما يتعلق بالحقائق ولكن هذا مالا نعنيه فما نعنيه بالحياد فى مثل هذا السياق هو الحياد فى علاقته بالمصالح وهنا أستطيع أن أرى أنه ليس هناك صعوبة لايمكن التغلب عليها لأى شخص لديه النموذج الملائم من المبادئ الموجهة لممارسة هذا الحياد ١٠٠ ٪».

ومثلما عالج همرشولد مسألة الحياد الشخصى عالج أيضا موضوعا قريبا وهو العلاقة بين القومية والعالمية:

Nationalizatiom Versus Intermationalism

معتبرا أنهما يكملان بعضهما بعضا رغم أنهما كثيرا ما يساء استخدامهما وتفسيرهما واستعمالهما بشكل مجرد يضعهما فى تضاد وتعارض، ولكن همرشولد ينظر إليهما ويفسرهما تفسيرا آخر ويخرج من هذا التفسير بنتائج مختلفة وذلك إذا فهما بمعنى الاعتراف بقيمة وحقوق الأمة من ناحية واعتماد الأمة على العالم من ناحية أخرى «فكل فرد اليوم فى جانب من وجوده ينتمى إلى بلد واحد بتقاليده الخاصة ومشكلاته، ولكن فى جانب آخر من وجوده فإنه مواطن للعالم والذى لم يعد يسمح بالعزلة الوطنية»، وينتهى همرشولد فى حل مثل هذا التناقض المفترض بين القومية والعالمية بقوله «إن المسألة ليست إما القومية أو العالم وإنما كيف فى خدمة القومية إنما تخدم العالم وفى خدمة العالم فإنك تخدم قوميتك».

ومن القضايا التى تأمل فيها همرشولد وحاول تفسير تناقضاتها قضية أخطار العالم المسيسى The dangers Of Politicized World فقد اعتبر أن السياسة كانت مقصورة من قبل على الخبراء وعدد محدود من الناس ولكن عصرنا هذا هو عصر التوسع فى وصول السياسة فى مجالات عديدة من حياة الناس. وبشكل يجعل أى إنسان يحاول أن يفصل نفسه عن المظاهر السياسية للحياة إنما يقطع بينه وبين تطورات لها تأثير عميق على مصيره.

وينظر همرشولد إلى ظاهرة انتشار الاهتمام بالسياسة فى حياة الناس من زاويتين. فمن ناحية إذا كان هذا الاهتمام سيؤدى إلى أن يطور الفرد قدراته على الحكم السليم على الأمور والقضايا التى تتعلق بالطريقة التى ينمو بها المجتمع والأسلوب الذى يتناول به القادة تشكيل المستقبل، مثل هذا التأثير يعتبره همرشولد أمرا ومرحب به وإيجابى. أما الجانب الآخر والذى يتضمن على أخطار وسلبيات فإنه يتمثل إذا ما كانت السياسة سوف تؤخذ وتبدو كردود أفعال وخضوع للفرد لصالح الجماعات ويصبح التطابق Conformism هو المثل الأعلى وهنا سوف نصبح فى عالم يعطى فيه الأولوية للتكنيكات على الجوهر، وتفقد فيه رؤية المصالح الحقيقية ويصبح الاهتمام هو إحراز نقاط للدعاية. ويشبه همرشولد هذا الوضع بالواعظ الذى يتعرض لإغراء بذل جهد أعظم لكى يكسب المؤمنين أكثر من بذل الجهد لتحويل المذنبين إلى مؤمنين ويعتبر همرشولد إنه إذا ما خضعنا لهذا الخطر فإننا سوف نفقد القدرة على أن نوصل أخلص ردود أفعالنا للآخرين من ذوى وجهات النظر المختلفة متناسين كيف نستمع لما قد يكون لديهم ليقولوه لتوضيح مواقفهم ويستخلص همرشولد أنه إلى المدى الذى يسمح لهذا أن يحدث فإن عالما مسيسا سوف يصبح عالما بلا إنسانية.

وفى سبتمبر ١٩٦١ وقبل ٥ أيام من مغادرته إلى الكونغو، ١٠ أيام قبل مصرعه، خاطب همرشولد هيئة السكرتارية للمرة الأخيرة حيث تحدث

مرة أخرى عن ضرورة سكرتارية دولية مستقلة «إذا كنا ننظر لسكرتارية دولية حقا لا يدين أفرادها بأى ولاء لأى حكومة عندئذ فإن السكرتارية سوف تتطور كأداة للحفاظ على السلام والأمن وذات أهمية ومسئوليات متزايدة، أما إذا أخذنا بوجهة نظر معارضة فإن الدول الأعضاء لن يكون لديهم سكرتارية تصلح كأداة لخدمة نشطة ونامية لمصالحهم المشتركة».

وفى ٨ سبتمبر ١٩٦١، وكأنه نوع من تصفية الحساب وتسجيل سجله وسجل سكرتارية الأمم المتحدة وأدائها فى عهده، خاطب همرشولد هيئة السكرتارية فى يومها السنوى وبعد أن قدم لزملائه أحر تحية قدمها لهم استخلص «أنه عمل زائف أن نفتخر أمام العالم بأهمية عملنا ولكنه أيضا تواضع زائف، وقد يكون فى النهاية مدمرا أن لا نعترف، ونقر بامتنان أن عمل فرد ما كان له معنى، دعونا نتفادى الوهم الثانى كما تفادينا الوهم الأول،ودعونا نعمل باعتقاد أن عملنا له معنى أبعد من المعنى الفردى الضيق وأنه كان يعنى شيئا بالنسبة للبشر».

وقد أظهرت مذكراته الشخصية وتأملاته لصيف عام ١٩٦١ مزيجا من الحالات النفسية: التصميم والاستسلام والارهاق والوحدة والإيمان وربما كان ما يلفت النظر فى هذه التأملات فى مثل هذا الوقت وما حدث قوله:

«لا أعرف من وضع السؤال ولا متى وضع ولا أذكر أنى أجبت ولكن فى لحظة أجبت بنعم لشخص ما أو لشىء ما من هذه اللحظة ينبع التعبير أن الوجود له معنى ولهذا فإن حياتى وخضوعى له هدف». من هذه اللحظة عرفت ماذا يعنى «أن لا تنظر إلى الخلف وأن لاتلق بالا إلى الغد».

هذه الفقرات الأخيرة من تأملاته وحديثه الأخير لهيئة السكرتارية إنما تشى بالهدوء والأمل الذى كان مفقودا فى كثير من بياناته خلال العام الماضى. إنها صوت إنسان يمر بعواصف أكبر وتعرضت معتقداته للاختبار وهدأ منها المحن والشدائد ومن ينظر بأوهام قليلة وبواقعية الخبرة إلى

مستقبل أكثر هدوء. ويعبر واحد من خطاباته الشخصية الأخيرة لأحد أصدقائه عن هذا المزاج بشكل آخر:

أن صديقنا ستن سلندر: Sten Selender (شاعر سويدى)، والذى كما تعلم لم يشب أبدا عن روح المغامر المكتشف كتب لى مرة بلهجة الحسد لهؤلاء الذين يخلقون الشعر بالعمل.. إنه مفهوم جميل وقد يكون فيه عنصرا من الصدق ولكنه واهم فى الاساس. أننا جميعا نظن أننا احرار فى تشكيل حياتنا الخاصة وفقا لمستويات قد تجد تعبيرا عنها فى الشعر ولكن الاضطرار للفعل وخاصة في الحقل السياسى إنما هو خطر أكثر منه امتيازا وفى المرحلة الحالية فإن الأحداث على كل المستويات تجعل من الصعب ترجمة التأمل إلى فعل وجعل الفعل مصدرا للتأمل على أية حال فإننا لانختار بأنفسنا الرف الذى نوضع عليه».

ـ القسم الثانى :

- الأزمات والتحديات السياسية .
- همرشولد والدول النامية .
- همرشولد ونزع السلاح .
- ماذا بقى من داج همرشولد .
- التأملات .

الأزمات والتحديات السياسية

لمسنا فى الفصل السابق كيف كان من اهتمامات همرشولد وتحدياته الأولى منذ وصوله إلى نيويورك عام ١٩٥٣ - استعادة الثقة وبناء خدمة مدينة دولية تكون أداة فعالة وكفئا و مستقلة للمنظمة الدولية، كذلك رأينا كيف انصب جهده من البداية على بناء جهاز سكرتارية الأمم المتحدة باعتباره تجسيدا لهذا المفهوم. أما المفهوم الثانى الذى حرص همرشولد على تثبيته فهو دور ومسئوليات السكرتير العام وحقوقه المخولة له فى الميثاق وتفسيره لهذه الحقوق بالشكل الذى يخدم الأهداف العريضة للمنظمة الدولية وحماية وضمان السلام والأمن الدوليين، وكما رأينا فقد ذهب همرشولد لمفهومه لدور وأهمية جهاز السكرتارية ودور واستقلالية السكرتير العام إلى أن يربط بشكل عضوى بين ما يمكن أن تؤديه المنظمة من متطلبات السلام والاستجابة لهذه المتطلبات وبين قوة أو ضعف السكرتارية والسكرتير العام. وكما رأينا فقد ظل همرشولد عبر سنو اته يطور أفكاره حول الأمم المتحدة وأجهزتها وعلاقاتها وأن يدخل بالتالى مفاهيم جديدة للعمل والدبلوماسية الدولية مثل الدبلوماسية الوقائية والدبلوماسية الشخصية ووجود الأمم المتحدة والمراقبين الدوليين.

غير أن أفكار ومفاهيم همرشولد حول الأمم المتحدة ودورها وحول السكرتارية ودور ومسئوليات السكرتير العام كأداة فعالة فى هذا الدور لم تظل مجرد تصورات ذهنية أو مفاهيم نظرية وإنما وضعت موضع التنفيذ

والاختبار من خلال أزمات استدعت تدخل الأمم المتحدة ولعبت فيها بالفعل ولعب فيها السكرتير العام دورا حاسما ونعنى بهذه الأزمات بوجه خاص: أزمة السويس ١٩٥٦ ـ ١٩٥٧، أزمة الكونغو وهى الأزمات التى وضعت كذلك ـ وخاصة فى أزمة الكونغو ـ دور الأمم المتحدة والدور الشخصى للسكرتير العام موضع النقاش والجدل، بل إنه بسببها اصطدم السكرتير العام بقوة عظمى هى الاتحاد السوفيتى وكان هذا الصدام فى حقيقة الأمر وكما فهمه وتعامل معه همرشولد حول مسئوليات و استقلالية السكرتير العام.

أما القضايا الأخرى التى ارتبط بها همرشولد بقوة فقد تركزت بوجه خاص فى قضيتين : الدول الجديدة حديثة الاستقلال فى أفريقيا وأسيا والتى رآها همرشولد من عدة زوايا: ما تفرضه على المنظمة الدولية من مسئوليات ومساعدتها فى بناء هياكلها ومؤسساتها الاقتصادية والاجتماعية، وما سوف تحدثه بانضمامها إلى المنظمة الدولية من توسيع للقاعدة الدولية للمنظمة و يشركها فى اتخاذ القرارات الدولية، ومن ثم تغيير طابع وتشكيل المنظمة و بجعل المنظمة فى النهاية الضمان والحامى الرئيسى لهذه الدول الصغيرة.. أما القضية الثانية فقد كانت قضية نزع السلاح وخاصة فى ضوء الأبعاد الجديدة التى اتخذها سباق التسلح ودخول العنصر النوو ى وهو التطور الذى يجعل سباق التسلح ونزع السلاح اهتماما بشريا عاما وليس قاصرا فحسب على القوى الكبرى.

سيعالج هذا الفصل الأزمات التى واجهها همرشولد منذ توليه منصبه، وسنركز فى هذا بوجه خاص على تلك التى بدت فيها أدوار همرشولد ودبلوماسيته الشخصية و ما استحدثه فى تناولها من آليات ومناهج سواء بالنسبة لدور السكرتير العام أو الأمم المتحدة ومسئولياتها، فى هذا سنتناول أزمة «داخلية» فى الأمم المتحدة وهى ما عرفت بأزمة ولاء هيئة وموظفى

المنظمة الدولية وسكرتيريتها وبدت أهميتها لأنها كانت تتصل بقوة كبرى بل والدولة التى تقع الأمم المتحدة فى أراضيها وهى الولايات المتحدة. كما سنعرض لأزمتين ارتبط بهما بشكل حاسم دور همرشولد وهما أزمة السويس عام ١٩٥٦ والكونغو ١٩٦٠ ـ ١٩٦١. واستكمالا للصورة والاهتمامات الواسعة للأمم المتحدة فسوف نتطرق لمواقف همرشولد من الدول النامية الجديدة ودورها على المسرح الدولى وكيانها داخل المنظمة الدولية وكذلك قضية نزع السلاح وما اكتسبته من أبعاد شاملة نتيجة لتسارع سباق التسلح وطبيعة تكنولوجيات الأسلحة الجديدة ونظمها.

أزمة الموظفين:

توافقت هذه الأزمة مع تولى همرشولد منصبه عام ١٩٥٣ ولم تكن فى الواقع بأزمة طارئة بل قد ورثها من سلفه السكرتير العام السابق ترجفى لى وساهمت فى تلويث جو المنظمة وعلاقات العمل فيها كما توافقت مع ما هيأ همرشولد نفسه له فى أن يولى اهتماما أوليا لما أسماه بتنظيم وإعادة كيان «هذا البيت» ويعنى به مقر الأمم المتحدة وسكرتاريتها.

وقد بدأت هذه الأزمة بتصاعد تيار الماكارثيه فى الولايات المتحدة التى امتدت لتشمل فحص ولاء موظفى الأمم المتحدة بما فيهم الأمريكيين وقد كان هذا يعنى عمليا تقويضا لمفهوم الموظف الدولى بل لمفهوم وطبيعة الخدمة الدولية الحقيقية، وعلى هذا لم يكن هذا بالوضع السهل حين وصل همرشولد إلى نيويورك وهو الوضع الذى أسماه فيما بعد «بالكابوس القصير». وسواء كان ذلك خطأ أم صوابا فإن الطريقة التى عالج بها السكرتير العام السابق ترجفى لى هذه المشكلة قد فسرت بأنها خضوع للضغط الماكارثى واعتبرت العديد من الوفود أن استقلال السكرتارية قد ضحى بها بشكل خطير وأصبحت موضع المساومة. وعلى هذا كانت من

اللحظات الحرجة التى واجهها همرشولد وكان عليه أن يضع قدمه فى المكان والخطو الصحيح. وكانت أول تحركاته أن يطلب من عملاء وكالة الاستخبارات الفيدرالية FPI ويبلغهم أنهم «لا يمكن لكم أن تكونوا هنا أيا كان الأمر الذى حصلتم عليه قبل ذلك» وأن وجودهم «لا يمكن التسامح فيه وبشكل مطلق» والواقع أن همرشولد فى تناوله لهذه المشكلة كان عليه أن يلبى حاجتين: التصدى لمطالب الولايات المتحدة فى طرد الموظفين، وعدم إغضابها وكسب عدائها خاصة وأن تأييد الولايات المتحدة للمنظمة الدولية هو أمر لا غنى عنه وهو نفس التأييد الذى يحتاجه السكرتير العام. غير أن هذا لم يكن يعنى الاستسلام للولايات المتحدة أو الظهور بخضوع المنظمة الدولية للإرادة الأمريكية إذ أن هذا كان يعنى تقويض الثقة فى المنظمة الدولية وفيه شخصيا.

وقد كان من حسن حظ همرشولد أنه كان هناك مندوب دائم لأمريكا يتميز بالتعاون والتفهم وهو السفير هنرى كابوت لودج. أما الأسلوب الذى لجأ إليه همرشولد فى علاج هذه المشكلة فقد اعتمد على وضع مجموعة من القواعد من شأنها أن تخلق نوعا من القانون المشترك وقد كان من شأن مثل هذا الإجراء القضائى أن يعمل كحاجز ضد الخضوع للضغط. وقد شعر الوفد الأمريكى والخارجية الأمريكية بالارتياح لهذا الإجراء خاصة وأنهم لم يكونوا مرتاحين لتجاوزات لجنة ماكارثى وأنهم بهذا الإجراء يستطيعون الإجابة على الكونجرس الأمريكى ولجانه بأن الأمر يجب أن يأخذ طريقه القضائى. وبهذا حين كان يثور أى ادعاء ضد أى من موظفى المنظمة كان همرشولد يقول إن لدينا عملية قضائية لا مكان فيها للشهادات المجهولة «أو للشهادات التى لا تستطيع أن تصمد فى محكمة القانو ن» ووفقا لهذا الإجراء لم يجرد أيا من الموظفين من وظيفته لأسباب سياسية وإن كانت قلة قد طردت لأسباب أخرى.

ومع نهاية عام ١٩٥٣ وحين وافقت الجمعية العامة على مقترحات همرشولد حول تعديل نظم وقواعد الموظفين كان ما واجهه استقلال السكرتارية من تحدٍ قد انتهى وخلقت هذه النظم الجديدة الموانع الأكثر وضوحا على المحاولات التى يمكن أن تنعكس بشكل سلبى على موظفى المنظمة وعلى ما يجب أن يتميزوا به من «تكامل واستقلال وعدم تحيز».

ومن ناحية أخرى فقد خاطب همرشولد بعض أعضاء هيئة الموظفين الذين تخوفوا من النظم الجديدة بأنه لا يستطيع أن يدافع عن استقلالهم واستقلال السكرتارية ما لم يرتفع كل عضو لمستوى الاستقلال الصارم المنصوص عليه فى المادة ١٠٠ من الميثاق من «أعلى مستويات الكفاءة والاختصاص والتكامل».

The highest level of: Efficiency, competence and integerity.

واعتبر أن مثل هذه المستويات والاستقلال المطلق للسكرتارية هى أمر حيوى لأنها الأسلحة الوحيدة التى تمتلكها «إن الدول تتسلح من أجل أن تكون قادرة على التفاوض من موقع القوة» كما ذكر لموظفى المقر الأوربى فى جنيف و«السكرتارية أيضا عليها أن تفاوض ليس فقط من أجل مصالحها ولكن أيضا من أجل السلام والتطور السلمى للعالم وما لدينا من وزن لا تصنعه القوة المادية ولا دوائرنا الانتخابية، إنها تقوم فقط على الثقة فى عدم تحيزنا وعلى خبرتنا ومعرفتنا ونضج حكمنا».

وباعتبار أن هذه كانت أول أزمة يواجهها همرشولد فإن الطريقة التى عالجها بها كانت مؤشرا على أنه فى توليه لمهام منصبه فإنه سيكون الشخص الذى سيؤسس سوابق ويستحدث نظما وقواعد جديدة أكثر من أن يكون تابعا وبالتأكيد ليس مجرد كاتب Clerk.

أزمة الطيارين الأمريكيين فى الصين: مهمة بكين

إذا كانت مشكلة موظفى الأمم المتحدة والقواعد التى تحمى استقلالهم كانت أول ما واجهته فى مهمته فى «إدارة هذا البيت». فلقد كانت مهمته الثانية هى تحريك الأمم المتحدة إلى مركز الدبلوماسية الجادة. وقد لاحت له فرصة استعادة الامتيازات السياسية للأمم المتحدة من خلال المهمة التى أسندها إليه قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ديسمبر ١٩٥٤ طالبة فيه أن يفعل ما يستطيع لتحقيق إطلاق سراح الطيارين الأمريكيين المعتقلين فى بكين. ففى نهاية عام ١٩٥٤ حاكم النظام فى بكين ١١ طيارا أمريكيا أسقطت طائرتهم فى يناير ١٩٥٤ وادعت الصين أن الطائرة قد احترقت فى الفضاء الجوى الصينى وقالت الولايات المتحدة أن الطائرة قد أُطلق النار عليها فوق كوريا الشمالية. وقد حكم على الطيارين فى هذه المحاكمة بالسجن وفى نفس الوقت كُشف عن أن الصين كانت مازالت تحتفظ بـ٤ طيارين أمريكيين أُسقطوا خلال مهام لهم فى الحرب الكورية.

وقد لاقى قرار الجمعية العامة انتقادا داخل الولايات المتحدة واعتبر أنه تعبير عن الضعف فى مواجهة بكين، ورغم توالى الانتقادات داخل الولايات إلا أنه لم يكن من الممكن وقف همرشولد من اتخاذ «مايراه من وسائل» فى إنجاز هذه المهمة كما خوله قرار الجمعية العامة.

وقد كان هدف همرشولد الأول هو «اختراق البوابة» فى بكين الأمر الذى لم يكن مضمونا مادام تكليفه قد نشأ بقرار من الإدانة «فأنت إما أن تدين أو تتفاوض، ولكن لا تستطيع أن تفعل الاثنين» وقد استخلص همرشولد أنه من المستحيل أن يُستقبل فى بكين كممثل لقرار الجمعية العامة ولذلك فهو لم يقدم حتى على إرساله إلى بكين وقدر أن الورقة الوحيدة التى يحملها تجاه الحكم فى بكين هو إدراكهم أن الإساءة إلى السكرتير العام

لن يساعد فى كسب قضيتهم فى دخول الأمم المتحدة الأمر الذى كانوا يركزون عليه جدا فى هذا الوقت، فزجرهم لهمرشولد سوف يوصد بشكل أكثر باب الأمم المتحدة أمامهم ويدعم المطالب فى الولايات المتحدة بإجراءات متطرفة ضد بكين.

وقد أبرق همرشولد إلى رئيس الوزراء الصينى شوان لاى أنه قادم لكى يناقش معه بشكل شخصى فى بكين مسألة الطيارين المسجونين ورد عليه شوان لاى أنه «خدمة للسلام وتخفيف التوتر الدولى فإنى مستعد أن استقبلكم فى عاصمتنا بكين لمناقشة مسائل وثيقة الصلة» وإن كان فى برقية أخرى وصلت فى نفس الوقت قال شوان لاى «إنه ليس هناك مبرر أن تحاول الأمم المتحدة التدخل فى مثل هذه المسألة الداخلية مثل إدانة محكمة صينية لجواسيس».

ولم يكن هذا الموضوع يتصل فقط بالعواطف والاهتمام الإنسانى بالطيارين المسجونين والذى أثار خيال الرأى العام ولكن هناك أيضا الدراما الواسعة للعلاقات الأمريكية الصينية وحيث كان على الجانبين - الصينى والأمريكى - المتطرفين الذين كانوا يريدون المواجهة، ومن هنا كانت دقة مهمة همرشولد فى بكين.

وفى طريقه إلى بكين حصل همرشولد على تقييم من إيدن فى لندن ومنديس فرانس فى باريس واللذان تفاوضا مع شواين لاى، وقد نصحاه بأن ثمة قلة من المفاوضين فى العالم على مستوى شواين لاى، وأنه سوف يجد رجلا من الصعب السيطرة عليه وذكر منديس فرانس أنه سوف يجد فى رئيس الوزراء الصينى سيداً عظيماً: Grand Seigneur، ورجل دولة ليس فقط واعيا بقوته ولكن رجلا يتحدث بثقة فى النفس لأسرة كانت جزءا من الطبقة الصينية الحاكمة لآلاف السنين.

ورغم قسوة البرد في بكين ورياحها الثلجية القادمة من السهول المنغولية، ولكن داخل المدينة السماوية تحدث همرشولد وشو لأربع أيام وسط ذوبان متزايد للثليج وحيث كان الرجلان متشابهان بشكل ملحوظ فكلاهما كان من نبلاء وسطه: شو شخصية ماركسية بارزة، وهمرشولد نموذج لارستوقراط دولة الرفاهية، ولذلك سرعان ما تأسست العلاقة وقد دامت مناقشتها الرسمية في قاعة الزهور الغربية أكثر من ½ ١٣ ساعة ووصف أحد مساعدى همرشولد بأن «الجو كله كان مشبعا بالجدية البالغة، ولم يكن هناك صوت ولا ضجة من أى نوع في القاعة كلها وجرت المحادثات الرسمية بشكل عميق ولبق» ومثلما عبر همرشولد بعدها، إذا كنت قد عبرت عن نفسي بعبارات تتميز بالحيطة فلم يكن ذلك يقاس بأسلوب شو وقد استخدم شو بشكل فائق لغة غير مباشرة وتوقع من السكرتير العام نفس الشيء» وقد جعلت دبلوماسية شو المصقولة همرشولد يشعر أنه «كبريرى سوقى و أنت تعلم أنى لست هاويا في هذا العمل».

وقد كانت المشكلة الأولى أمام الرجلين هي إيجاد صيغة الالتفاف حول مشكلة يعتبرها شو من الشئون الداخلية للصين ومع منظمة محظورة عليها. وقد استحدث همرشولد ما أصبح يعرف «بصيغة بكين» فالمناقشات قد جرت ليس على أساس قرار الجمعية العامة الذى رفضته بكين ولكن على أساس سلطة السكرتير العام وفقا للميثاق وعلى هذا كانت موافقة شو على مناقشة المشكلة لم تكن تتطلب الاعتراف المسبق من بكين بسلطة الأمم المتحدة أو موافقة مسبقة بما سوف يستخلصه السكرتير العام.

وبتخففه من قرار الجمعية العامة والتعامل مع بكين على أساس سلطة السكرتير العام وفقا للميثاق استطاع همرشولد أن يناقش مع شو ليس فقط مشكلة الطيارين ولكن سلسلة أخرى من قضايا ومشكلات الشرق الأقصى.. وفي مشكلة الطياريين الأمريكيين كان همرشولد على وعى

بقوة المشاعر الأمريكية التى أثارها الحكم عليهم، وقد يكون هذا الحكم وفقا للقانون الصينى مسألة داخلية إلا أن لها تأثيرات وانعكاسات أولية خطيرة كما أخبر شو. وفي الوقت الذى ليس من حق السكرتير العام أن يزج بنفسه فى الشئون الداخلية للصين فإنه مخول لمناقشة الأمر بالنظر لانعكاساته الدولية. وقد أجاب شو بأن الصين تعترف بالميثاق وبالأمم المتحدة وبالسكرتير العام واهتمامه بالأمر وهذا لأنه من المشروع بالنسبة له إثارة هذا الموضوع وبعد أن تأسس هذا الفهم استمر همرشولد فى أن يضع أمام شو الحالة الكاملة لإطلاق سراح الطيارين. وعندما غادر بكين كان تقريره أن الطيارين سوف يطلق سراحهم ولكنه لو أعلن ذلك فسوف يؤثر على هذه النتيجة وكان واضحا له أن الصين كانت تحتاج إلى وقت لكى تفصل إطلاق سراحهم عن أى مظهر للاستسلام للضغط وقد قدر همرشولد ذلك ستة شهور .

وفى أغسطس وبعد يومين من عيد ميلاده كان همرشولد يقضى إجازة فى بيته الريفى فى جنوب السويد حين وصلته برقية من الحكومة الصينية بأنهم سوف يطلقون سراح الطيارين خلال بضعة أيام ليس بسبب قرار الجمعية العامة ولكن من أجل المحافظة وتقوية العلاقة مع السكرتير العام وقد انتهت البرقية بتهنئة همرشولد بعيد ميلاده والتى اعتبرها همرشولد من أفضل التهانى بهذه المناسبة.

وقد كان من أبرز نتائج هذه المهمة والنتيجة التى انتهت إليها والأسلوب التى أديرت به أن هذا التحقق المفاجئ من الدول الأعضاء سواء من الشرق أو الغرب أنهم فى شخص همرشولد لديهم دبلوماسى يمتلك قدرات استثنائية فى التوصل إلى حلول، وأنهم فى منصب السكرتير العام لديهم جهاز يمكن أن يملأ الفراغ الناجم عن عجز مجلس الأمن كأداة للتفاوض والوساطة والمبادرة.

على الرغم من أن جهود همرشولد كانت أساسية في حل مشكلة الطيارين الأمريكيين إلا أنه قد تداخلت معها جهود الهند ومسعاها وهو ما شجعته الصين وأرادت بذلك أن تعطى بعض الفضل للهند حيث كانت تدعم الجهود في الأمم المتحدة لكى تمثل بكين مقعدها في الأمم المتحدة.

أزمة السويس

لم تكن أزمة السويس التى نشبت نتيجة لعدوان قوى ثلاثة هى إنجلترا وفرنسا وإسرائيل على دولة عضو فى الأمم المتحدة مجرد أزمة محلية أو أقليمية وإنما كانت لها كل الأبعاد الدولية المتصلة بتهديد الأمن والسلم الدوليين. فبالإضافة إلى عدوان مسلح وقع على دولة عضو فقد ارتبطت الأزمة فى مقدماتها ومرحلة الصراع المسلح التى اتخذته بشريان حيوى هام هى قناة السويس بالنسبة للملاحة والتجارة الدولية، ومن ثم قدمت حالة ملحة من الحالات تستوجب تدخلا من جانب المنظمة الدولية وبشكل خاص فيما يتعلق بترتيبات وقف إطلاق النار وانسحاب القوات المعتدية و أوضاع ما بعد الانسحاب والآليات التى سترافق هذه الترتيبات وتنفذها. فى هذه الأزمة تصرف همرشولد بشكل صارم على أساس من الميثاق وقرارات الجمعية العامة ومجلس الأمن غير أن الجديد فى هذا أن المسئوليات التى فوضت له كانت واسعة جدا وبشكل تطلب الكثير من المبادرة من جانبه وبشكل يساعد على ملء الفراغ الذى تتركه النظم التقليدية لحماية السلام. لذلك فإنه بعد إطلاق النار تأسست هذه التجربة الفريدة التى تمثلت فى قوات الطوارئ الدولية:-United Nations Emergency Forces, (U N E F) والتى تكونت من الدول الصغيرة والمتوسطة مثل كندا، والسويد، والبرازيل، والهند.. وقد كانت هذه القوة تجربة جديدة فى تاريخ التنظيم الدولى، فرغم تجربة الاتحاد من أجل السلام United for Peace التى استخدمت فى النزاع الكورى وإمكان الحصول على بعض

التوجهات منها فى تشكيل قوة الطوارئ الدولية الجديدة إلا أن ملفات الأمم المتحدة لم يكن بها ما يكفى فى هذا الشأن وما يمكن أن يفيد ويقدم النصيحة فى الوضع الجديد، ومن هنا كانت تجربة قوة الطوارئ الدولية التى استحدثت واستخدمت فى أزمة السويس طريقا جديدا فى أرض جديدة أو كما عبر همرشولد ووصفه بالوضع الفريد للظروف التى عملت فيها قوة الطوارئ الدولية.

كما كان يمكن الاستعانة ببعض الخبرة من نشاطات مجموعة المراقبين الدوليين كما استخدمت من قبل على خطوط الهدنة المصرية ـ الإسرائيلية والأردنية الإسرائيلية غير أن سابقة حقيقية لم تكن متوفرة لعملية كبيرة مثل السويس. ولذلك كان على الأمم المتحدة أن تنفذها بكفاءة وبسرعة بل وبجرأة إذا كان لها أن تنجح، وعلى هذا كان على السكرتير العام أن يبدأ من الصفر. هذه الحقيقة وأداء همرشولد وتعامله معها وبطاقة وسعة حيلة التى أبداها قد جذبت انتباه المجتمع الدولى إليه، وفيما عدا فى فرنسا وإنجلترا وإسرائيل، خلقت سمعة همرشولد، ورغم أنه كان يعمل فى هذه التجربة بنصيحة ليستر بيرسون فإن تجربة قوة الطوارئ الدولية كانت خلقه الذاتى ارتفع بها إلى مستوى من النفوذ والسلطة لم يبلغها سكرتير عام من قبل. وقد جعل هذا الرئيس الأمريكى إيزنهاور يشير إلى الوضع الجديد للسكرتير العام فى الشئون الدولية حين ذكر فى مؤتمر صحفى فى ٢٤ نوفمبر ١٩٥٦ «إن آخر شىء يجب أن تفعله هو أن نتدخل فى المفاوضات الحساسة التى تجرى حاليا تحت قيادة السكرتير العام همرشولد ولا يجب أن نقدم على أى عمل يمكن أن يؤخر عملياته أو يعيقها أو يضر بها بأى طريقة. إن قدرات الرجل لم تتأكد فحسب ولكن التحمل الجسدى الذى يدعو للإعجاب وبشكل لا ينام فيه ليلة بعد ليلة أكثر من ساعتين ويعمل طول النهار ويعمل بذكاء وبتكرس».

وفى خطاب إلى إيزنهاور كتب همرشولد «و أؤكد لكم أن ليس هناك شيئ خاص وغير عادى حول الطاقة التى كرستها لمهمتى بخلاف أن لدى إحساس عميق بالأهمية البالغة للوقت وإلا فإن الكارثة والخطر بالفعل سوف يقع ويتدهور إلى شيء أسوأ.

وفى أعقاب أزمة السويس وخلال عملية إنشاء قوة الطوارئ الدولية وقبل زيارته للقاهرة ١٩ مارس ١٩٥٧ كتب لأحد أصدقائه يقول «شخصيا مازلت أشعر مثلما فعلت منذ ٣٠ أكتوبر فطالما أنه لم يكن أحد فى منصبه يمكن أن يدير مثل هذه الأزمة بشكل ملائم دون معجزة ودون أن يعرض رقبته للخطر سياسيا، وحتى الآن لم يحدث ذلك غير أنه ليس هناك ضمان بالنسبة للمستقبل».

ومع الدور الذى قام به همرشولد فى أزمة السويس و الذى كان سببا فى بروزه على المسرح الدولى فقد ثار التساؤل حول ما إذا كان من الممكن أن يكون أداء داج همرشولد أفضل مما قدم. يجيب ليستر بيرسون، وهو من أكثر من تعاونوا مع همرشولد خلال أزمة السويس وأكثرهم قربا منه، يجيب بالإيجاب على هذا التساؤل ويعتبر أن همرشولد كان يجب أن يتمسك بأن تكون العبارات التى صيغت بها قرارات الجمعية العامة أكثر وضوحا وتحديدا فى تحديد المهام المطلوب أداؤها وليس بالصيغة الموجزة المبهمة التى صدرت بها قرارات نوفمبر ١٩٥٦ ، وأن هذا الغموض وعدم التحديد قد استغلته إسرائيل فى تأخير انسحابها.

أزمة الكونغو

كان من المتوقع أن ترى القوى الأجنبية ومصالحها المختلفة فى الوضع فى الكونغو وإمكانات تطوره ما يؤثر بشكل قوى على مركزها الدولى ولذلك كان من الطبيعى أن يكون لها وجهات نظرها القوية حول

الاتجاه الذى يجب أن تتطور إليه الأوضاع فى الكونغو ولكن تعود بشكل يخدم مصالحها ونفوذها الدولى. ونظرا لما تفتقر إليه الكونغو من تقاليد ومؤسسات سياسية وفى غياب أى استقرار يسمح بقيام مثل هذه المؤسسات، فقد كان الباب مفتوحا لمحاولات وجهود التأثير فى التطورات فيه، والتأثير على طائفة أو تلك أو شخصية أو أخرى. غير أنه وفقا لمبادئها فإن الأمم المتحدة كان عليها أن تركز فى عملها فقط وتسترشد بمصالح شعب الكونغو و بحقه فى أن يقرر بحرية لنفسه بدون أى تأثير خارجى وبمعرفة كاملة بالحقائق ولذلك فإن المنظمة وخلال العام الأول لعملها فى الكونغو قد رفضت ما كان يرغب فيه البعض للسماح بمواردها ووجودها أن تستخدم لتأييد حزب على آخر وبشكل يحكم مسبقا على اختيار الشعب الكونغولى. ولهذا كان عليها تتبع خطا يحمى الاختيار الحر للشعب ويتضمن مقاومة كل الجهود الخارجية للتأثير على هذا الاختيار. هذا الخط الذى اتبعته المنظمة قد وضعها موضع الشك من هؤلاء الذين خاب أملهم فى الحصول على تأييد المنظمة، ولهذا اتهموا المنظمة بالتحيز. كذلك فإن بعض العناصر الخارجية فى محاولتها أن تكسب موضع قدم فى الكونغو حين واجهت عقبة الأمم المتحدة وجهت لها اتهامات مماثلة. وكما كان مأمولا فإنه إذا نجحت الأمم المتحدة فى التوصل إلى تحقيق المصالحة الوطنية وإقامة برلمان وممثلين منتخبين وقدمت بذلك أساسا لمستقبل سلمى مستقر للكونغو الموحد، فإن هذا كان من شأنه أن يؤكد صحة الخط الذى تبنته الأمم المتحدة فى الكونغو والواقع فإن ما تم تحقيقه بواسطة البرلمان فى واحد أغسطس يمكن أن يقال إنه قد فعل هذا بوضوح.

ومع هذا فقد كان دورا غير مشكور للمنظمة، وكان من السهل إساءة فهم أن تظل المنظمة محايدة فى علاقتها بالصراع الداخلى وتقديم مساعدة نشطة من أجل حماية حقوق وإمكانيات الشعب لكى يجد طريقه، غير أن هذا كان الطريق الوحيد لكى تتمكن المنظمة من خدمة هدفها المعلن فى أن

تدفع إلى الأمام بالاستقلال الكامل وتحقيقه بالمعنى الكامل وغير المشروط للكلمة.

كان ما تقدم هو تلخيص لما عرضه همرشولد فى أغسطس ١٩٦١ عن السياسة التى اتبعها بثبات فى الكونغو خلال العام الماضى من اندلاع أزمتها، وكان قراره زيارة ليوبولد فيل فى سبتمبر يعكس ليس فقط إمكانيات التقدم التى أتاحها قيام حكومة دستورية ولكن فوق كل شيء حرصه على أن يعالج مشكلة كاتنجا المتبقية قبل أن تجتمع الجمعية العامة. وقد كتب رالف بانش بعد ذلك أن دافع همرشولد فى الذهاب إلى الكونغو لم يكن استجابة لدعوة مهذبة تلقاها من رئيس الوزراء آدولا، ولكن لسبب آخر أكثر الزاما فقد كان فى ذهنه تحديد أن يحاول حث تشومبى الدخول فى محادثات مع آدولا وكان يفضل فى ليبوبولد فيل وكان يعلم أنه إذا تحقق هذا فإنه يمكن أن يعفى الجمعية العامة من نقاش طويل وخطر حول موضوع الكونغو وهو النقاش الذى كان يقدرانه لن يخدم الكونغو والجمعية العامة.

ومثلما عبّره منجى سليم مندوب تونس الدائم فى الأمم المتحدة والذى عاصر همرشولد، وكان شاهدا على فترات عمله فى الأمم المتحدة وتعاون معه بشكل وثيق فى أزمة الكونغو، إن مهمة الأمم المتحدة فى هذا القطر الأفريقى بظروفه المعقدة ربما كانت يجب أن تنفذ أبعد مما نفذت به مهمتها فى السويس، حيث دعت الأمم المتحدة لإرسال قوات للمساعدة فى استعادة وحفظ النظام فى بلد منهار وهو ما استجاب له همرشولد وفعله فى الحال وخاطب شخصيا الدول الأفريقيّة، خصوصا من أجل منع الكونغو من السقوط ضحية للحرب الباردة، ولذلك دعى دول أفريقية مثل غانا وأثيوبيا وتونس والجمهورية العربية المتحدة ومراكش وهى الدول التى شكلت قواتها ما سمى بعملية الأمم المتحدة فى الكونغو وللأسف فقد تدهور الموقف

بسرعة فى الكونغو ووجهت الأمم المتحدة ليس فقط بمهمة استعادة السلام ولكن كذلك بتقديم مساعدات فنية كانت مطلوبة بشدة وعلى نطاق واسع لتمكين الخدمات الإدارية والصحية والاجتماعية والاتصالات من العمل كما تدهور الموقف السياسى الذى وصل إلى حد الشلل بالتهديد بانفصال كاتنجا واثارات تشومبى واتحاد المناجم والبلچيك وإلى الحد الذى أصبحت فيه عمليات الأمم المتحدة المدنية مهمة مستحيلة تقريبا.

ورغم هذا فإن همرشولد لم ييأس فقد أصدر تعليمات صارمة إلى قوات الأمم المتحدة بأن لا تزج بنفسها فى الشئون الداخلية للكونغو وأن لا تطلق النار على أحد إلا فى حالات الدفاع عن النفس.

على الرغم من حياد همرشولد الصارم فى إدارته لأزمة الكونغو إلا أن مؤرخى هذه الفترة يعتبرون أن الأمم المتحدة لم تكن بلا أخطاء فى الكونغو، ويوردون على ذلك أمثلة منها:

أ) ترددها فى الاستجابة لرغبات لومومبا الأمر الذى كان مصدر استياء كبير من قطاعات من الشعب الكونغولى.

ب) تردد همرشولد فى تفسير التزامات مجلس الأمن بصورة أكثر إيجابية وفاعلية، فى وقوفه بسلبية تجاه ما تعرض له لومومبا

جـ) عدم تجريد جيش الكونغو من السلاح فى المراحل الأولى من النزاع.

د) كان ثمة شعور معادٍ من رجال الأمم المتحدة فى الكونغو تجاه لومومبا رغم محاولة السكرتير العام المحافظة على موقف حيادى ومقبول.

هـ) عهد السكرتير العام المسئولية الرئيسية فى المرحلة الأولى لعملية السلام إلى ثلاثة مسئولين أمريكيين يعملون فى الأمم المتحدة: رالف بانش

- واندرو كورديسيه - ووزنشوف الخبير فى الشئون الأفريقية، ويمكن أن نتصور رد فعل واشنطون إذا ما استخدم ثلاثة من الروس فى مثل هذه المناصب وعلى عكس ما كان همرشولد يتبعه فى الأزمات الأخرى من حرص على استخدام مسئولين ينتمون للدول الصغيرة والمحايدة.

غير أن هذه الانتقادات لا تنفى أن وجود الأمم المتحدة فى الكونغو قد منع الحرب الباردة من أن تترسخ فى هذا البلد الأفريقى وأن وجوده وكيانه قد تأسس إلى حد كبير بفضل جهود الأمم المتحدة التى ساعدت على تفادى فوضى وشيكة كانت تهدد السلام والأمن ليس فقط فى الكونغو بل وفى القارة الإفريقية بأسرها.

وليس من شك أنه لإنجاز هذه المهام كان الأمر يحتاج لشخصية مرموقة مثل همرشولد تتمتع بصفاته الفكرية والأخلاقية وبالموهبة والخيال و الفاعلية للقيام بهذه المهمة.

المواجهة مع الاتحاد السوفيتى

ارتبطت أزمة الكونغو فى تاريخ المنظمة الدولية وسكرتيرها العام عندئذ داج همرشولد بالمواجهة التى تطورت بين السكرتير العام والاتحاد السوفيتى والتى نشأت أساسا نتيجة تصور الاتحاد السوفيتى أن وجود وسياسات الأمم المتحد فى الكونغو تتعارض مع وجوده السياسى فى هذا البلد الافريقى والصراع حوله وقد جاء التصور السوفيتى نتيجة لتفاعلات داخلية بين الأطراف الكونغولية المتصارعة بما أثر على وجود الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية الأخرى فى هذا البلد الأمر الذى أرجعه الاتحاد السوفيتى عن غير حق إلى وجود الأمم المتحدة وإدارتها للأزمة.

وقد جرت هذه المواجهة بين الاتحاد السوفيتى والسكرتير العام وبشكل واسع وحاد خلال اجتماعات الدورة الخامسة عشر للجمعية العامة للأمم المتحدة فى سبتمبر ١٩٦٠ والتى كانت بكل المعايير دورة استثنائية حيث حضرها ٢٣ رئيس دولة و ٥٧ وزير خارجية وكانت هذه الدورة دليلا على الأهمية الجديدة للأمم المتحدة فى فترة من التصفية السريعة للاستعمار والصعاب الضخمة التى كانت المنظمة تواجهها ويكفى الإشارة على أهمية هذه الدورة وحيويتها أن حضرها خروشوف وكاسترو ونكروما وناصر ونهرو وسوكارنو والملك حسين وماكميلان وايزنهاور وتيتو.

وبعد تقديمه لتقريره السنوى حاول همرشولد كالعادة تقديم تحليل للوضع السياسى الراهن فى الأمم المتحدة ولكى يكون هذا التحليل مرشدا لمداولات الجمعية العامة. وقد تركزت المقدمة على تجربة الكونغو والتى اعتبرأنها «تضع الأمم المتحدة موضع الاختبار سواء فيما يتعلق بوظائف مؤسسات هذا البلد البرلمانية أو فيما يتعلق بقدراتها التنفيذية» وقد كان الموضوع الرئيسى فى تقرير همرشولد هو «قدرات عمل جوهرى من جانب الأمم المتحدة فى عالم منقسم» وكان دعوة موجهة بوجه خاص للدول الجديدة وغير المنحازة لكى تستخدم الأمم المتحدة ولكى تظل الصراعات الناشبة خارج نطاق التكتلات. واعتبرأنه فى الشرق الأوسط والكونغو ولاوس فإن دور الأمم المتحدة هو أن تملأ فراغ القوة بين القوتين الرئيسيتين «حتى لا تحاول أى منهما ملأه..» كما ذكر: «وانتظارا لملأ الفراغ بالوسائل الطبيعية فإن الأمم المتحدة تدخل الصورة على أساس من عدم ـ ارتباطها بأى من الكتلتين وكمنظمة عالمية محايدة فى صراعات القوى العظمى حول الأيديلوجيات والنفوذ فى العالم، وباعتبار أن المنظمة الدولية تخضع فقط للإرادة المشتركة للحكومات الأعضاء ومتحررة من أى تطلعات للنفوذ والقوة لنفسها فإن الأمم المتحدة تستطيع أن تقدم الخدمة التى يمكن ان تقبل بدون شكوك وأنها تستوعب بدون أن تؤثر على الاختيار الحر للشعوب» وكان موضوع همرشولد الإضافى فيما يتعلق بصلاته بالدول النامية فالأمم المتحدة هى انها» قد أصبحت بشكل متزايد المنبر الرئيسى والحامى لمصالح هذه الأمم الصغيرة التى تستشعر قوتها كأعضاء فى العائلة الدولية وضعفها وهى منعزلة».

وكان من الطبيعى أن لا يلقى هذا التفكير ترحيب أى من الدول العظمى، وقد ثبت أن الأمم الصغيرة تنظر إلى المنظمة كمتحدث وكمعبرعن المبادئ التى تمنحهم القوة فى الأسر الدولية وحيث تستطيع أصوات أن تعبئ كل ثقل القوة المسلحة والثورة والدور التاريخى».

وقدكانت هذه الدائرة من الدول الصغيرة ممثلة تمثيلا جيدا بين رؤساء الحكومات الذين حضروا الدورة الخامسة عشرة.

فى هذه الدورة انطبعت بيانات المتحدثين بطابع الاعتدال والأمل فى دور المنظمة ومسئولياتها بإشارات خاصة للوضع فى الكونغو.

غير أن الوحيد الذى اختلف بشكل جذرى عن هذا الخط العام من الاعتدال والإيجابية هو رئيس الوزراء السوفيتي نيكيتا خروشوف الذى كان يرأس الوفد السوفيتى فى هذه الدورة وقد بدأ بيانه بإدانته ايزنهاور حول حادث الطائرة U2 وحول سياستها نحو كوبا والهجوم العنيف على الاستعماريين بوجه عام وعلى نشاطاتهم فى الكونغو بوجه خاص ثم استطرد «ومن المؤسف انهم يؤدون عملهم القذر فى الكونغو من خلال السكرتير العام للأمم المتحدة وهيئته أن الجمعية العامة يجب أن تدعو مستر همرشولد أن يؤكد لنا أنه لن يسيء استخدام مركز السكرتير العام وإنما سيمارس وظائفه مراعاة صارمة لمواد ميثاق الأمم المتحدة وقرارات مجلس الأمن»، وفى موضع آخر من خطابه عاد خروشوف إلى الهجوم على همرشولد «إن الظروف قد نضجت بوضوح إلى الحد الذى يجب أن يزال منصب السكرتير العام والذى يدير وحده هيئة السكرتارية ويفسر وحده وينفذ قرارات مجلس الأمن والجمعية العامة».

«وبدلا من هذا فإن الجهاز التنفيذى للأمم المتحدة يجب أن يتكون من ثلاثة أشخاص يمثلون الكتل الثلاثة الغربية والاشتراكية والمحايدة وهى الصيغة التى عرفت باسم «الترويكا».

ولم تكن خطبة خروشوف مثار اندهاش كامل من همرشولد ذلك أن الأحداث فى الكونغو والتى توجت بطرد موبوتو لسفارات الدول الاشتراكية وتصويت ساحق بالثقة فى السكرتير العام فى الدورة الاستثنائية للجمعية

العامة وشاركت فيها كل الدول الأسيوية والأفريقية بدلا من اتباعها لقيادة الاتحاد السوفيتى واعتدال لهجة المتحدثين الذين سبقوا خروشوف كل هذا قد أثر فى مزاج خروشوف بغض النظر تماما عن العوامل الرئيسية.

غير أن موضع أسى همرشولد هو اتجاه خروشوف لإضفاء الطابع الشخصى على الخلاف حول قضية الكونغو كما رفض اعتبار اقتراح الترويكا كمسألة ثقة فيه. غير أنه فيما يتعلق بالمبدأ شعر همرشولد أن عليه أن يعارض بقوة هذه الفكرة وبكل السبل الممكنة حيث اعتبرها ترقى إلى محاولة مد سلطة الفيتو لعمل السكرتارية وتمس مستقبل فاعلية الأمم المتحدة نفسها. ففى ٢٦ سبتمبر خاطب همرشولد الجمعية العامة بما يرقى إلى اعلان مبادئ يهدف إلى إظهار الخطورة الكامنة فى الموقف بالنسبة للدول الصغيرة والمتوسطة خاصة تلك التى استقلت حديثا والتى تعتبر الأمم المتحدة بالنسبة لهم أفضل ضمان ضد ضغوط القوى الكبرى وقد بدأ همرشولد بيانه بقوله «أن الجمعية العامة تواجه مسألة لا تتصل بأعمال محددة وإنما بالمبادئ التى ترشد نشاطات الأمم المتحدة. فى هذا الشأن فإنها ليست مسألة رجل ولكن مؤسسة.. إن الحياد الصارم الذى يتبعه شخص ما يمكن فى أى مرحلة أن يصبح عقبة فهؤلاء الذين يعملون من أجل أغراض سياسية معينة والتى يرون أنها يمكن أن تخدم بشكل أفضل أو يمكن أن تتحقق بشكل أسهل إذا ساوم السكرتير العام وتماشى مع هذا الاتجاه ولكن إذا فعل فإنه سوف يخون بشكل خطير ثقة هؤلاء الذين يعتبر الالتزام الصارم بهذا المبدأ أفضل حماية لهم فى الصراع الدائر فى العالم من أجل القوة والنفوذ.. بل إن أفضل أن يحطم منصب السكرتير العام نتيجة اتباعه الحازم مبدأ الاستقلال وعدم التحيز والموضوعية من أن ينجرف إلى المساومة على هذه المبادئ وهذا هو الاختيار الذى يواجه يوميا السكرتير العام وهو أيضا الاختيار العلنى الذى يواجه الجمعية العامة سواء فى الجوهر أو فى الشكل.. إنى أعتقد أن كل هؤلاء الذين تصون الأمم

المتحدة مصالحهم سوف يتحققون أن هذا الاختيار لا يلاءم اللحظة الراهنة فقط وإنما هو اختبار حاسم من أجل مستقبلهم».

وحين عاد خروشوف يتحدث حول هذا الموضوع بعد يومين من خطابه الأول ذهب إلى أبعاد أطول مركزا على اعتباره أن مسئوليات تنفيذ قرارات مجلس الأمن والجمعية العامة تقع على رجل واحد «نحن مع هؤلاء الذين يعترفون بالقديسين يتمسكون برأيهم ولكننا لا نصدق هذه التصحس» وفاجأ الجمعية العامة بقوله: إن همرشولد هو عميل البلدان الرأسمالية وإنه إن لم يستطع أن يستجمع شجاعته ويستقبل بطريقة فروسية فإننا سوف نستخلص النتائج الحتمية من الموقف، فليس هناك مكان لرجل خرق ويستقيل المبادئ الأولية للعدالة فى مثل هذا المركز الهام كسكرتير عام».

ورغم هدوئه الظاهر إلا أن همرشولد تملكه الغضب الشديد وبشكل طلب من رئيس الجلسة أن يعطيه الكلمة فى الحال لكى يرد، ولكن رئيس الجلسة شعورا منه بغضبه نصحه أن ينتظر لجلسة بعد الظهر لكى يعد إجابةمدروسة وقد قبل همرشولد بامتنان هذه النصيحة.

وقد أملى همرشولد رده على خروشوف قبل أن يلتقى مع مساعديه فى مكتبه على الغذاء وقد أحضر مشروعه للرد ومرره عليهم طالبا منهم التعليق على الشكل فقط. وقد بقيت الخطبة كما أملاها همرشولد، وفى جلسة بعد الظهر ألقاها فى لهجة حادة وقاطعة أمام جمعية عامة وهى تصغى بشكل غير عادى .

«إن رئيس الوفد السوفيتى فى الجمعية العامة هذا الصباح وفى ممارسته حقه فى الرد قال بين أمور أخرى إن السكرتير العام الحالى كان دائما متحيزا ضد الأقطار الاشتراكية وإنه استخدم الأمم المتحدة لتأييد القوى الاستعمارية التى تحارب الحكومة الكونغولية والبرلمان من أجل فرض استعمار جديد على الكونغو، واننى إن لم أستجمع الشجاعة الكافية

لكى أستقيل وبطريقة فروسية فإن الاتحاد السوفيتى سوف يستخلص النتائج الضرورية من الموقف، وفى تأييده لهذا التحدى ذكر ممثل الاتحاد السوفيتى أنه ليس ملائما لرجل هزء بالعدالة الأولية أن يحتل مثل هذا المنصب كسكرتير عام وأخيرا وجد مبررا لكى يطلب من الوفود أن عليهم أن لا يخضعوا للعبارات الصاخبة التى تقال هنا منى فى محاولة لتبرير الجرائم الدامية التى تمارس ضد الشعب الكونغولى. وتستطيع الجمعية العامة أن تتوقع منى فى المجال ردا عن بيان موجه مباشرة إلى وفيما يتعلق بمسألة بمثل هذه الأهمية.

«وقد شهدت الجمعية العامة فى الأسابيع الماضية كيف تُؤسَس الحقيقة التاريخية فحالما يتكرر ادعاء عدة مرات فإنه لم يعد ادعاء بل يصبح حقيقة قائمة حتى ولم يكن هناك دليل قدم لتأييده ومع هذا فإن الحقائق متاحة لكل من يهتم بالحقيقة. فهؤلاء الذين يستشهدون بالتاريخ سوف يسمعهم التاريخ بالتأكيد وسيكون عليهم أن يسمعوا حكمه والذى يصدر على أساس الحقائق من رجال متحررى العقول وصارمين فى اعتقادهم بأنه بتمحيص الحقائق فقط يمكن بناء مستقبل السلام وليس لدى سبب لأن أدافع عن نفسي وعن زملائى ضد الاتهامات والأحكام التى استمعتم إليها. ودعونى فقط أقول إنكم وإنكم جميعا هم الحكام وليس هناك جانب واحد يستطيع أن يدعى هذه السلطة واثق أنكم سوف تسترشدون بهذه الحقيقة وبالعدالة بوجه خاص، دع هؤلاء الذين يعرفون ماذا فعلت الأمم المتحدة وما تفعله فى الكونغو وهؤلاء الذين لا يتبعون الأهداف الملائمة فقط لمصالحهم، دعهم يصدرون الأحكام على أفعالنا هناك، دع البلدان التى حررت نفسها فى الأعوام الخمسة عشر الماضية تتحدث عن نفسها. وإنى حقا آسف أن هذا التدخل الذى وجدت ضروريا أن أرد عليه قد اتجه مرة أخرى أن يضيف الطابع الشخصى على مسألة، والتى كما ذكرت هى من وجهة نظرى ليست مسألة رجل ولكن مؤسسة فالرجل لايهم ولكن المهم

هى المؤسسة إن شخصا تنفيذيا ضعيفا سوف يعنى أن الأمم المتحدة لن تكون قادرة على أن تخدم كأداة فعالة للحماية النشطة لمصالح هؤلاء الأعضاء الكثيرين الذين يحتاجون لهذه الحماية. فالرجل الذى يحمل مسئولية التنفيذى الأول يجب أن يترك منصبه إذا أضعف الجهاز التنفيذى ويجب أن يبقى إذا كان ضروريا للحفاظ عليه وهذا فيما يبدو لى هو المعيار الوحيد والجوهرى الذى يجب أن يستخدم.

وقد قلت فى اليوم الماضى إنى لا أرغب فى الاستمرار فى العمل كسكرتير عام ليوم واحد لا تتطلبه الخدمة المستمرة وبيان هذا الصباح يشير أن الاتحاد السوفيتى يجد من المستحيل العمل مع السكرتير العام الحالى، وقد يبدو هذا سببا قويا لكى يجعلنى أستقيل، ومع هذا فإن الاتحاد السوفيتى قد أوضح كذلك أنه إذا استقال السكرتير العام فى الحال فإنهم لا يريدون انتخاب سكرتير عام جديد ولكنهم يصرون على ترتيب، أعتقد بناء على خبرة عريضة، سوف يجعل من المستحيل الاحتفاظ بجهاز تنفيذى فعال.

«وأتصور أنه باستقالتى فإن فى هذه الفترة الحاسمة وهذه اللحظة الفارقة من الخطورة والصعوبة سوف أقذف بالمنظمة فى الرياح، وليس لدى قصد فى أن أفعل هذا الآن لدى مسئولية تجاه كل هذه الدول الأعضاء التى تعتبر المنظمةذات أهمية حاسمة بالنسبة لهم، المسئولية التى تتجاوز كل الاعتبارات الأخرى - إنه ليس الاتحاد السوفيتى - وحقا كل القوى الكبرى الأخرى - التى تحتاج الأمم المتحدة لحمايتها، إنهم كل الآخرين بهذا المعنى فإن المنظمة هى قبل كل شيء منظمتهم وإنى أعتقد بشكل عميق فى الحكمة التى سوف توجهكم. سوف أظل فى منصبى خلال فترة عملى الخادم للمنظمة فى صالح كل هذه الأمم الأخرى طالما أنهم يريدون منى ذلك. فى هذا السياق فإنه من السهل جدا أن تستقيل ومن الصعب جدا أن تبقى، إنه من السهل جدا أن تتنحى لرغبة قوة كبرى وهى مسألة أخرى

أن تقاوم، وكما هو معروف لكل أعضاء هذه الجمعية فقد فعلت هذا فى عدة مناسبات وعدة اتجاهات فإذا كانت هذه رغبة هذه الأمم التى ترى المنظمة كأفضل حماية لها فى عالم اليوم فسوف أستقيل الآن».

وقد استمعت الجمعية فى صمت لهذه الكلمات حتى عبارة «المسئولية التى تتجاوز كل الاعتبارات الأخرى» حين انطلق ترحيب حماسي استمر لعدة دقائق كاملة. ومرة أخرى حين بدأ همرشولد عبارة «سوف أظل فى منصبى» بدأ ترحيب آخر حاول أن يوقفه برفعه يداه وكان عليه أن يبدأ العبارة مرة أخرى، وحين انتهى نهضت الجمعية العامة على أقدامها بهدير من الموافقة والتصفيق الذى استمر لعدة دقائق(*).

وللمرة الأولى فى حياته خالف همرشولد قاعدته فى عدم استخدام الخطابة وباستمرار الترحيب بدا يبدو أنه غير مستريح بشكل حاد وقد كتب إلى رالف بانش ملاحظة مختصرة تقول: «هل قرأتها جيدا؟» وهى الملاحظة التى أجاب عليها بانش وأعادها إليه «على نحو كامل. كان الصوت أكثر الأصوات رنينا سمعتها منك، وكانت السرعة محسوبة والنطق واضحا شفافا صافيا. كل هذا قد أضاف بشكل للنص الممتاز وهكذا فإنه أعظم وأكثر البيانات تلقائية فى سجلات الأمم المتحدة. تهنئتى».

همرشولد والدول النامية

توافقت فترة داج همرشولد كسكرتير عام للأمم المتحدة مع عصر تصفية الاستعمار وظهور دول جديدة على الخريطة الدولية وخاصة فى أفريقيا واسيا.

---

* عقب خطاب هرشولد جرى تصويت فى الجمعية العامة حصل فيه همرشولد على الثقة بأغلبية ٨٣ عضوا مقابل ١١ - كانوا الكتلة السوفيتية بالإضافة إلى كوبا وغينيا) ورغم هذا التأييد الذى ناله همرشولد إلا أن سحب الاتحاد السوفيتى الثقة من السكرتير العام كان له تأثيره السلبى على أداء وقدرة همرشولد خاصة فى مناطق فى أفريقيا والشرق الأوسط وآسيا وبشكل خاص على دبلوماسيته الوقائية.

وفى دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة الخامسة عشرة عام ١٩٦٠ وهى آخر دورة شهدها همرشولد - قبلت الجمعية العامة فى عضويتها ١٣ دولة أفريقية جديدة. وقد نظر همرشولد لهذا التطور خاصة من منظور الأمم المتحدة ومسئولياتها باعتبار ما يلقيه ظهور هذه الدول الجديدة على المنظمة الدولية من مسئوليات لمواجهة متطلبات هذه الدول للبناء وتنمية اقتصادها بما ستحتاجه فى هذا الشأن من مساعدات مادية وفنية دولية اعتبر همرشولد أن الأمم المتحدة يجب أن تكون القناة الرئيسية التى تشرف وتوجه من خلالها هذه المساعدات وتتولى الإشراف على تنفيذ برامجها.

وقد ساعدت خلفية همرشولد الأكاديمية والعملية فى الشئون الاقتصادية والاقتصاد السياسى على تأصيل تصوره لمساعدة الدول النامية الجديدة على بناء اقتصادياتها ومجتمعاتها. فحتى اصبح سكرتيرا عاما للأمم المتحدة كانت حياة همرشولد مهتمة إلى حد بعيد بالمسائل الاقتصادية وفى جامعة اوبسالا، وبعد أن درس الفلسفة الاجتماعية والإقتصاد السياسى وتاريخ الأدب الفرنسى لمدة عامين، تخصص فى الاقتصاد وحصل على درجته عام ١٩٢٨ حيث كان عمره ٢٣ عاما. وفى علم ١٩٥٧ درس الاقتصاد فى جامعة كمبريدج تحت إشراف جون مانيارد كينز وفى عام ١٩٣٠ أصبح سكرتيرا للجنة الحكومية للبطالة وكتب رسالته للدكتوراه الاقتصاد وعنوانها: The spread of pusiness cycle.

وبحصوله على درجة الدكتوراه من جامعة استكهولم عام ١٩٣٣ أصبح أستاذاً مساعداً فى الاقتصاد السياسى بالجامعة وفى سن ٣١ وبعد أن خدم عاما كسكرتير فى بنك السويد عين فى منصب الوكيل الدائم لوزارة المالية وعمل فى نفس الوقت كرئيس لمجلس إدارة البنك الأهلى السويدى وهو المنصب الذى ظل يتولاه حتى عام ١٩٤٨. ويبدو أنه منذ بداية حياته رفض أن يصبح اقتصاديا نظريا منفصلا عن العمل العملى وكانت مهارته

وهو فى وزارة المالية فى تحويل الأفكار إلى أعمال مدعما بإحساس حاد بالواقع السياسى وإمكانيات حيث واجه تحديه الكبير الأول.

وفى عام ١٩٤٧ عين وكيلا لوزارة الخارجية حيث كان مسئولا عن المسائل الاقتصادية وفى نفس العام كان ممثلا للسويد فى مؤتمر باريس حيث وضع مشروع ماريشال وفى عام ١٩٤٨ كان رئيسا لوفد السويد فى مؤتمر باريس لمنظمة التعاون الاقتصادى الأوربى ولعدة أعوام بعد ذلك عمل كنائب رئيس للجنة OEEc التنفيذية. وإلى هذه المهام وهذا التاريخ يعود حماس همرشولد للخدمة المدنية الدولية كأداة للدبلوماسية المتعددة وكذلك سمعته كمفاوض لامع فى أوربا - كما تخصص فى المشكلات الاقتصادية والتعاون الاقتصادى الدولى عندما شغل منصب وكيل وزارة الخارجية السويدية وسكرتير عام فيها ثم وزير الدولة فى عام ١٩٥١.

وفى الأمم المتحدة ورغم تنامى ضغط المسئوليات السياسية تابع همرشولد باهتمام خاص النشاطات الاقتصادية للمنظمة وظل اهتمامه الدائم فى ماعرف تقليديا بالاقتصاد السياسى وحيث كان بالنسبة له مظهرا واحدا لصورة أوسع للمجتمع وأداةتحقيق أهداف سياسية واجتماعية وأخلاقية. وفى رسالته الأخيرة وتقديمه لتقريره إلى الجمعية العامة أشار مرة أخرى لجانب أساسى لفلسفته للأمم المتحدة: مبدأ المساواة ونتائجه الاقتصادية وقد منحه عمله كسكرتير للجنة الحكومية للبطالة خبرة للمشكلات الاجتماعية وضرورة التوسط للتوصل إلى حل عادل بين الجماعات والمصالح المتصارعة وهى التجربة التى لم ينساها أبدا.

وقد جاء همرشولد إلى الأمم المتحدة فى وقت كان النشاط الاقتصادى للمنظمة فى حالة تراجع، فالدول الصناعية الكبرى، خوفا من بزوغ أغلبية جديدة من الدول النامية، لم تكن مستعدة لكل توكل الأمم المتحدة فى نشاطات هامة حقيقية فى المجال الاقتصادى والاجتماعى وكانت تفضل

أن تعالج مشكلات التجارة من خلال الاتفاقيات العامة للتجارة والمسائل التى تؤثر فى أشكال رءوس الأموال من خلال قنوات محافظة أكثر مثل البنك الدولى للإنشاء والتعمير İBRD و صندوق النقد الدولى imf وحيث كان ثقل التصويت يعطى سيطرة للأقطار المتقدمة. فى هذه الظروف فإن البرنامج النسبى .

للأمم المتحدة للمساعدة الفنية للبلدان النامية، وبغض النظر عن اهدافه المحددة، كان كافيا فيما يتعلق بدور الأمم المتحدة فى حقل النشاط الذى أكده الميثاق بقوة. وقد عقد همرشولد آمالا كبيرة على إمكانيات هذا البرنامج وكان مصمما أنه لابد أن ينمو من مجرد مركز لتقديم منح دراسية وتعيين الخبراء إلى أداة هامة للتنمية الأقتصادية.

وقد أدى احساس همرشولد بعدم المساواة بين الأمم سواء فيما يتعلق بالفرص أو بالمركز الحقيقى، إلى الاعتقاد إن شكلا من الوعى الاجتماعى الدولى يجب أن يتدعم من خلال نظام معد جيدا وقوى للمنظمات الدولية، وكان مصمما إن يحمى ويطور إمكانات نظام الأمم المتحدة فى هذا الدور. وقد فضلا مثلا حين تحولت المنظمة الأوربية والتعاون الاقتصادى OEEC-،

والذى لعب دوراً كبيراً فى تأسيسها، إلى منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية OECD، وأعطت لنفسها مسئولية بالنسبة لمشكلات التنمية فى العالم الثالث. وقد اعتبر هذا التطور كتطفل لنادى الرجل الغنى فى مشكلات تقع ضمن الاختصاص المشروع للأمم المتحدة وللأسس الأكثر اتساعا وديموقراطية التى تستند عليها.

وحقيقة إن همرشولد لم يعش لكى يرى نمو دور الأمم المتحدة فى التنمية الاقتصادية وانتقالها من دورها مشى إلى أداة هامة للمساعدة. فقد تحقق هذا التطور تحت تأثير قبول أكثر من سبعين دولة فى المنظمة

وبالتالى ظهور العالم الثالث كقوة هامة فى عملية اتخاذ القرار فى الأمم المتحدة. ومع هذا فإن آماله هى التى وجهت وألهمت هذا التطور. ومنذ البداية كان مصرا على أن الأمم المتحدة يجب أن تركز على نوع النشاط الاقتصادى والمهيأ بشكل فريد لمباشرته وأنها يجب أن لاتتفق مصادرها الضعيفة فى أشياء مثل البحوث الاقتصاد والتحليل التى يمكن - أن تجرى وربما أفضل فى الجامعات والمؤسسات الوطنية الأخرى وكان يعتقد أن الدور الأكثر أهمية للأمم المتحدة يكمن فى التنمية الاقتصادية للبلدان الجديدة والأقل نموا والحاسمة سواء للنجاح النهائى لعملية تصفية الاستعمار وتأسيس نظام سياسى أكثر استقرارا فى العالم.

وفى البيانات التى كان يقدمها كل عام إلى المجلس الاقتصادى والاجتماعى حول السياسة الاقتصادية العامة احتلت مشكلات العالم النامى مكانا متزايدا فى الأهمية وعلى جانب آخر مثل الأمم المتحدة للوكالات المتخصصة تحديا خاصا لعقل همرشولد المنظم وقام بجهد مستمر لتحويل هذه المجموعة الضخمة الثقيلة الخطو إلى جهاز منسق للتنمية الاقتصادية والاجتماعية وكما ذكر عام١٩٥٣ - لمجلس محافظى صندوق النقد الدولى:

«أينما يمكن أن نجد أنفسنا على خريطة مناخ السياسة الدولية علينا أن نحتفظ بوعى هادئ بالمطالب العاجلة التى تواجهنا. وإذ نعملّ معا بشكل وثيق بهذا الوعى فسيكون لدينا فرصة كبيرة للوصول بسلام إلى مناخ هادئ وريح ثابتة»

وعبر سنواته فى الأمم المتحدة طور همرشولد أفكاره حول الدور الاقتصادى للمنظات الدولية بتركيز متزايد على التزام الأمم المتحدة تجاه الدول النامية وكما ذكر للمجلس الاقتصادى والاجتماعى عام ١٩٥٦ :

«لسوء الحظ فإن الانجاز الذى تحقق فى استقرار اقتصاديات الدول المتقدمة لانجد مثيلا له فى استقرار اقتصاديات الدول المتخلفة. كما أن

تقدما كافيا لم يتحقق فى استقرار وتكامل الاقتصاد العالمى ككل. ويستمر العالم فى انقسامه إلى منطقتين اقتصاديتين تقوم بينهما علاقات تجارية هامشية.. وفى الوقت الذى نمت فيه التجارة بشكل هام، فإن تدفق رأس المال لم يكتسب أبدا الأهمية الذى كان عليها منذ جيل مضى سواء فى العلاقات مع التجارة أم بالنسبة للدخل والاستثمار.. فإذا أريد للدول المتخلفة حتى أن تحتفظ بنصيبها النسبى من الإنتاج الكلى العالمى، فإنهم لايستطيعون الاعتماد فقط على الصادرات المتوسعة للمنتجات الدولية إلى الدول الصناعية وانما يجب أن تشرع فى برنامج للتنمية الاقتصادية الواسعة وهدف معقول للتنمية الاقتصادية يجب على الإقل أن ينص على معدل أعلى للنمو الاقتصادى أكثر من الدول المتقدمة وإلا فسوف يكون مستحيلا أبدا زيادة حصة الدول المتخلفة فى توزيع متوسط الدخل للعالم. وفشلنا حتى الآن فى تحقيق هذا الهدف إنما يصور بطريقة مأساوية حاجتنا لتكثيف جهودنا القومية والدولية للإسراع بعملية التنمية الاقتصادية».

وقد كان همرشولد قلقا بوجه خاص من مشكلة تذبذب الأسعار العالمية للسلع من الدول النامية التى تعتمد اقتصادياتها إلى حد كبير على منتج واحد، وكان يؤيد بقوة محاولة تنظيم تقلبات سعر السلع الأولية باتفاقيات دولية. وكما لاحظ عام١٩٥٦:

«من الأمور المخيبة للأمل أن تقدما ضئيلا قد تحقق فى استقرار أسعار السلع الأولية. غير أن الكثير يمكن عمله إذا ما أظهرها نفس الفهم والإرادة الجيدة الذى أظهرناه فى تطوير برنامج المساعدة الفنية. إن التقلبات العنيفة فى أسعار السلع الأولية، وهى المصدر الوحيد للعملة الأجنبية،، أنما يشل جهود الدول النامية من أجل تنمية طويلة الأجل ، كما أن هذه التقلبات لاتخدم هدفا مفيدا للدول المتقدمة وماتعنيه هذه التقلبات للأقطار المختلفة يمكن استيعابه وفهمه من حقيقة أن تغيرا فى ٥ ٪ فقط فى

متوسط أسعار صادراتهم إنما تساوى كل التدفق السنوى للرأسمال الخاص والعام والمنح الحكومية للدول المتخلفة».

وكان همرشولد يمقت، فى العلاقة بين الدول المتقدمة والمتخلفة، صور التفضل والوصاية الآبوية والاتجاهات الأستعمارية الجديدة. وقد وصف عبارة الدول المتخلفة فى حديثه أمام غرفة التجارة الدولية عام ١٩٥٤ بأنه «لفظ غريب إذا ما أدركت أن بعض الدول لها حضارات ترتد إلى أبعد من أى شىء نعرفه. فقد حصلوا على نضج الفرد بشكل يجعلك تشعر بالتواضع - إنهم متخلفون فقط بالمعنى الاقتصادى غير أنهم من أجل أن يفوا بمطالب شعوبهم فى طريقه للحياة مقارنة بالدول المتقدمة فإن عليهم أن يحققوا فى حقبتين أهدافا حققتها الدول المتقدمة على الأقل فى ٢٠٠عام، وفى المناخ المعادى للاستعمار فى الوقت الحالى، فإن المساعدة يجب أن تكون حرة من أى طابع للاعتماد أو الخضوع للضغوط السياسية، فقد كانت الأمم المتحدة فى وضع فريد لتلبية هذا المطلب وبإدخال الأقطار المتخلفة فى السوق العالمى والطريقة السليمة فإن الأمم المتحدة إنما تضع أيضا الأساس الذى لاغنى عنة للعالم يمكن للأسباب الأساسية للصراعات السياسية أن تخفض.

وكما ذكر عام ١٩٥٦ أيضا «بالنسبة لنا فى الأمم المتحدة وبالنسبة لكل الحكومات التى تمتلك شعورا نحو مستقبل هذا العالم فإنه من التحديات الضرورية أن تواجه الحاجات الاقتصادية للأغلبية العريضة للبشرية وأقول هذا بعقل بارد وأفكر فقط فى المشكلة السياسية».

وباعتبار أن موارد الأمم المتحدة ضيئلة للغاية مقارنة بالمشكلات الواسعة والمعقدة للفقراء فى العالم فإن همرشولد لم يتوقف أبدا عن تأكيد هذا التناقنض وفى الدعوة والنداء إلى مبالغ للمساعدة الفنية للتنمية الاقتصادية. كما أنه أمعن النظر فى ضرورة تدريب الأفراد اللازمين لتنفيذ

برامج عالم للتنمية الاقتصادية، وكان أحد الأشكال الجديدة للمساعدة برنامج أفراد منفذين للعمليات سمى:

operenational and Executive personnel progromme(opEx).

وقد طرح هذه الفكرة لأول مرة فى خطابه أمام جامعة ماكجيل فى مايو عام ١٩٥٦ والذى رحب فيه بفكرة ليستر بيرسون بتأسيس خدمة مهنية دولية وفنية للأمم المتحدة بخبراء مدربين بشكل خاص للعمل فى المناطق المتخلفة. ويعتمد هذا المشروع على تعبئة أناس مؤهلين والذين - رغم احتفاظهم بوضعهم الدولى سوف يعملون فى الدول النامية كجزء من إدارتها الوطنية وسوف يخدم أفراد هذا البرنامج حتى يتم تدريب أفراد محليين بشكل كافٍ لكى يحلوا محلهم.. وسوف يتلقون رواتبهم من الحكومة الوطنية ولكن إذا دعت الضرورة فإن الأمم المتحدة سوف تدفع الفرق بين مرتبهم وبين ماكانوا يتلقونه فى بلادهم.

وقد تحمس همرشولد لهذه الفكرة وسماها عام ١٩٥٦ «بطفلى المفضل فى الوقت الراهن» واقترحها أمام المجلس الاقتصادى والاجتماعى فى جنيف هذا العام. وفى تقديمه كاقتراح رسمى للجمعية العامة عام ١٩٥٨ دعا البرنامج بأنه واحد من أهم القضايا منذ أن بدا برنامج المساعدة الفنية للأمم المتحدة عام ١٩٤٩ «أنه بالطبع النقيض الكامل للبرامج ذات الطبيعة والترتيبات الاستعمارية، إنه سوف يبدأ فقط عندما تطلبه الحكومات ويمكن أن يتوقف فى أى وقت من جانب الحكومة المعنية وبقرارها الخاص».

ورغم الصعاب التى واجهها المشروع فقد استطاع همرشولد أن يعلن عام ١٩٦٠ أن المرحلة التجريبية للبرامج قد انتهت وأن البرنامج سوف يكون دائما جزء من برنامج المساعدة الفنية واكتسبت الفكرة - وإن كان ببطء قوة اندفاع وبعد عشر سنوات كان هناك ٨٦ من أعضاء هذا البرنامج من الأمم المتحدة وحدها يقدمون خدماتهم عبر العالم كله.

وفى نطاق اهتمامه بأن جعل المساعدة الاقتصادية الفنية للدول النامية فعالة، شغلت الدول المناهضة فى أفريقيا اهتمام همرشولد بشكل متزايد منذ عام ١٩٥٨. ومع قوة الاندفاع التى اكتسبتها حركة الاستقلال الأفريقى والتى صاحبها فى نفس الوقت فضاء تغمره المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المتحدية فأعضاء الأمم المتحدة من الدول الأفريقية الذين كانوا عشرة عام ١٩٥٨ أصبحوا ٢٧ عضوا عام ١٩٦١ وفى ٢٩ ديسمبر عام ١٩٥٨ توجه همرشولد إلى أديس أبابا لكى يفتتح الدورة الأولى للجنة الاقتصادية الأفريقية .وفى جنيف عام ١٩٥٨ خاطب المجلس الاقتصادى الاجتماعى بقوله: «هل نحن متأكدين أن هناك وعيا كافيا بالمشكلات والاحباطات التى تتجمع بشكل متزايد فى الأقطار المتخلفة مع نمو إدراك شعوبها أكثر فأكثر بحقيقة أن الوقت يتسرب منهم، هل نستطيع أن نظل قانعين بحقيقة أن كل الجهود فى السنوات الأخيرة - ولأود أن أقلل من شأنها - مازالت غير كافية لمنع الفجوة بين البلدان الفقيرة والغنية من أن تستمر إلى الأبد؟ إن ثمة شعورا منتشرا فى البلدان النامية بالحاجة إلى تقدم كبير على طريق التنمية الاقتصادية.

وتعبيرا عن اهتماماته بالعالم الثالث فى دوله النامية عمد همرشولد إلى إجراء زيارات واسعة لهذه الدول وكان هدفه الرئيسى هو مقابلة قادتها وأن يحصل على معلومات مباشرة عن مشكلاتها.

وقد حملته رحلته الأولى من هذه الرحلات إلى ١٢ دولة فى يناير عام ١٩٥٦ فى الشرق الأدنى وآسيا، والجولة الثانية فى مارس ١٩٥٩ إلى ٩ دول اسيوية وفى نهاية عام ١٩٥٩ قرر أن يقوم بجولة واسعة أفريقية، وفى اعلانه عن هذه الجولة أمام مؤتمر صحفى قال: «لقد أردت اولا وقبل كل شيء وبالقدر الذى استطيعه أن أحصل على الأقل على العلاقات الشخصية الضرورية وعلى النوع الصحيح من المناقشات وتبادل الرأى

وأستطيع أن أقتطف كمثالٍ هو أنى لم أكن لأقدر على أن أفعل مافعلته فى لاوس مالم يكن لدى ميزة المعرفة الشخصية من زيارة سابقة مع هؤلاء الذين يتحملون المسئولية.. أنى اتذكرها كمثال على كيف يمكن للصلة الشخصية فى ذاتها أن تضيف بشكل جوهوى لما يمكن أن تفعله من زاوية الأمم المتحدة . أريد أن أحصل على هذه الميزة ومن أحل ذلك على أن أقضى هذه الأسابيع من الصلات الشخصية.

وقد امتدت رحلته الأفريقية من ٢١ ديسمبر ١٩٥٩ حتى نهاية يناير ١٩٦٠ قام بها بطائرة خاصة إلى ٢٤ دولة أفريقية وأقاليم ومناطق توقف خلالها ٢٧ مرة كل منها ليوم أويومين وحملته هذه الرحلة إلى السنغال وليبيريا وغينيا وغانا وتوجو لاند الفرنسية ولاجوس وياوندى الإنجليزية والفرنسية وكادونا فى شمال نيجيريا والكونغو الفرنسية، واليوبولدفيل، وستانا فيل فى الكونغو البلجيكية، ورواندا اورندى، (بعد ذلك رواندا بور أندى) وتانجانيقا وزنزبار وممبسا ونيروبى واوغندا والصومال واثيوبيا والخرطوم. وبعد مناقشات فى القاهرة إلى تونس ومراكش. وبالنسبة لرجل أقل طاقة وعزما والتزاما فإن مثل هذه الرحلة كانت ستكون مرهقة للغاية وسلسلة من مقابلات المطارات الرسمية والواجبات والمناقشات، غير أن همرشولد عاش كل لحظة فيها بحماس عاطفى وحب استطاع وحصل على انطباعات مباشرة وعن تنوع المشكلات والاتجاهات فى القارة الافريقية وقد قدمت، كما أبرق لأحد مساعديه من ليوبرلد فيل غذاء للفكر يحمل على التحدى بشكل متزايد «كما قدمت له الرحلة فرصة لشرح وجهات نظره لقادة أفريقيا الجديدة وأن يستمع لوجهة نظرهم وأن يقيم معرفة شخصية بهم. وقد انتهز كل فرصةممكنة لكى يؤكد الفرق بين خبراء الأمم المتحده والموظفين الاستعماريين وكما ذكر لمؤتمر صحفى فى دار السلام: «فى نطاق حدود صارمة لأهداف محددة وحيث ليس هناك إمكانية لملأ الفراغ للافتقار للمرشح الوطنى فقد تقدمنا وبعثنا برجل أو انتخبنا رجلا

للحكومة، وقد اقمت قاعدتين صارمتين جدا فى هذا الشأن: إنها يجب أن تكون بمبادرة وطلب الحكومة المعنية وبحيث لانريد أن نقحم ايدينا بدون دعوة، فإذا مارحب برجل فإن نصف واجبه يجب أن يكون هو أن يعمل بسرعة على تعليم عنصر وطنى لكى يحل محله بقدر السرعة. إن جزءا كبيرا من خدمته هو أن يجعل نفسه غير ضرورى»

وقد تأثر همرشولد تأثرا كبيرا بالجيل الجديد من القادة الأفارقة والذى وجد العديد منهم مرموقين فى أسلوبهم المباشر بما لايشبه أى شيء سبق أن قابلة، كما هالته ضخامة مشكلات أفريقيا والصعاب الواضحة المنتظرة لبلد مثل الكونغر البلجيكى والتى كانت مقبلة على الاستقلال دون استعداد تقريبا لحكم نفسها ولكنه رأى بشكل مباشر الميراث المعقد الذى فرضه الاستعمار على افريقيا ومافعلته القوى الاستعمارية الأوربية فى نهاية القرن ١٩ دون اعتبار للحقائق القبلية أو الاقتصادية والمشكلات التى سوف تخلقها للأمم الجديدة حين تستقل. وفى طريق عودته إلى نيويورك دعا فى خطاب امام اللجنة الاقتصادية لأفريقيا فى طنجة إلى التعاون الاقتصادى المباشر من خلال تنسيق السياسات وتوسيع التجارة الإقليمية والعمل المنسق فى النقل والاستثمارات الأساسية. وفى هذا تصور همرشولد أن التقدم سوف يكون أكثرصعوبة إذا كان على كل دولة أن تتقدم بنفسها فقط بما قد تحصل عليه من مساعدة من خارج القارة وأنه وفقا للظروف التاريخية يجب أن نعترف بحقيقة أن حدودا سياسية سوف تتقاطع مع مناطق اقتصادية طبيعية وبطريقة سوف تجعل المشروعات الاقتصادية المفيدة مستحيلة دون عمل منسق من المناطق المتجاورة. وبناء على الخبرة التى حصلها من رحلته الافريقية قال همرشرلد « باعتبارى عائد من جولة عبر القارة ربما يكون طبيعيا أن أذكر الأهمية القصوى لشبكة من النقل الداخلى والمواصلات ومن الأنهار الدولية والتى بدونها فإن الإمكانيات الاقتصادية لأفريقيا لن تتحقق» .

مثل هذه النظرة البعيدة التى بدت فى شهر العسل لعام استقلال أفريقيا قد تبدو أقل سذاجة من الآن ولكن الشهور الثمانية عشر التالية سوف تظهر مشكلات أكثر إلحاحا وسوف تظل رؤية همرشولد لقارة تنطلق على طريق التعاون الناجح بقادة قادرين جدد وبمساعدة ونصيحة الأمم المتحدة. وقد قيل بعد ذلك: إن جولته الأفريقية قد أعطته وجهة نظر غير واقعية ومبالغة فى الأمل وهى وجهة النظر التى سببت فى خيبة الأمل التى سبقت موته غيرأنه صحيح أيصا أن ضغوط أزمة الكونغو كانت ستكون بالتأكيد أكثر صعوبة بالنسبة له دون هذه الصلة الشخصية المبكرة.مع قادة افريقيا الجدد.

وقد كان من الواضح أن جولة همرشولد الأفريقية قد شجعت تصميمه على أن تطلب الأمم المتحدة دورا ملائما فى تنمية أفريقيا: «أن الرحلة قد جعلتنى بشكل فليل أكثر حكمة وبشكل أكثر تواضعا» وقال بعد عودته: «الحقيقة الأكثر تشجيعا أنه عبر نطاق واسع من البلدان تجد الجيل الجديد من قادة افريقيا على أكبر قدر من الحرية والتكرس والذكاء وانى واثق أن هذه البلدان هؤلاء القادة سوف تسير فى طريق المستقبل السعيد.».

وهنا يبدو جانب المبالغة فى التفاؤل الذى سيطر على همرشولد كما ذكر للجنة الاقتصادية لافريقية« أن الصورة التى عدت بها هى صورة منعشة من الشباب والقوة وبشكل عام من الجدارة من جانب القادة لاستيعاب الحقائق على الرغم من عدم الصبر المفهوم والتيارات الايديولوجية القوية والتى هى مكونات ضرورية للتغيرات السريعة التى تجرى الآن».

وبعد جولته أصبحت أفريقيا موضوعا مسيطرا فى مؤتمراته الصحفية وخطبه وبياناته: «أن هناك أناس قادرين بشكل كبير فى القارة ولكنهم قلة ذلك أن فترة النمو والتعليم والتكوين السياسى فى افريقيا كانت قصيرة

جدا.. وفى مثل هذه الفترة القصيرة كان من الطبيعى جدا أن تبرز هذه المجموعات والطبقات الاجتماعية التى يمكن أن تخرج منها إدارة وقيادة سياسية. أن هذه البلدان عليها أن تعتمد على عدد قليل من الناس وبشكل تعوض النوعية الأعداد والكم «وباعتبار ماسوف تحتاجه الأقطار الجديدة من خبراء أجانب وفنيين فقد لاحظ همرشولد «أنه بينما تحققت بعض الاستثمارات الملفتة للنظر، إنه من الواضح أيضا الافتقار إلى ما أستطيع أن أسميه البنية التحتية الاقتصاديةاللازمة لوحدة سياسية، كما سوف يكون مطلوبا جهدا تعليميا ضخما لكى يتحقق للناس ليس فقط الوعى القومى ولكن إلى الدرجة التى يشكلون فيها كأفراد أحرار حكمهم على المسائل السياسية» .

وأخيرا فقد كان همرشولد على وعى حاد بما أسماه: «أهمية التأييد المعنوى، لأن البشر والمال والتعليم قد لا تعنى شيئا مالم تقدم بالروح الصحيحة.. فلا الشعور بالتفوق الزائف ولا الشعور بالتشاؤم العقيم أو التفاؤل السهل، ماهو مطلوب هو الواقعية والفهم» ..

وقد كان هذا التناول بشكل خاص تحديا للأمم المتحدة لأنه كان من السهل على البلدان الجديدة أن تتلقى المساعدة المالية والفنية من جهاز دولى أكثر مما تتلقاه من دولة واحدة وقال «إنه حتى ومالم تشعر البلد المتلقى أن هذا عمل من أعمال التضامن داخل منظمة لهم فيها حقوق متساوية مع المانحين، فلن نصل حقا إلى النقطة المثلى ليس فقط سيكولوجيا ولكن سياسيا واقتصاديا» .

لعل هذه الأفكار والتصورات عن واقع الدول ومستقبل الدول الأفريقية الجديدة ومسئوليات المنظمة الدولية والمجتمع الدولى تجاهها وأكثر من هذا تصور مشاركتها على قدم المساواة فى القرار الدولى، لم يكن من المحتمل أن تلقى التقدير من بعض الدوائر الغربية.. بل إنه حتى شخصية دولية

اشتراكية مثل بول هنرى سباك سوف يكتب بعد هذا بعدة سنوات: «إنه لم يكن هناك شك فى تأثيره على بلدان أفريقيا وآسيا. لقد دعم هذه الثقة دون أن يكون منصفا لأوربا ولقد مربتجربة معاداة الاستعمار وهى منتصرة ومشتعلة وقد شارك فيها بإحساس بالواجب ولكن أيضا وأنا واثق عن اقتناع».

وقد أظهر همرشولد وعيه باتجاهات أوربا نحو تصفية الاستعمار فى خطبة له فى جامعة لوند Lund فى السويد ٤ مايو ١٩٥٩ «أن المرء يمكن أن يتطلع إلى الخلف وإلى الهدوء المستحيل للعالم المغلق وقد يجد تحرر وطنه الروحى فى عملية التفكك نفسها ومأساتها، أو قد يتطلع المرء إلى الأمام نحو ومضة يلهمها حلم حضارة جديدة وحيث تتحقق على مستوى يضم العالم كله، وقد استخدمت عبارة تضامن، إنها عبارة أساسية فى هذا الخصوص وبالنسبة لى إنها الإجابة على الأسئلة وردود الفعل المثيرة والتى مازالت فى بعض الأحيان منتظرة ومن هؤلاء الذين حصنوا انفسهم فى الماضى ونظروا غالبا إلى أى أوربى لايبكى على قوى أوربا المتراجعة كخائن».

وقد كان رد فعله قويا ضد وجهة النظر التى يعتنقها البعض فى الأمم المتحدة والتى ترى المنظمة كنادى مغلق على نفسه، ويعتبرون أن وصول الأمم الأفريقية الجديدة سوف تقلب الأوضاع فى المنظمة الدولية وتزعجها. فقد قال عام ١٩٦٠: «إنى أعتقد بقوة وقدرة هذه الدول على أن تقدم مساهمة قيمة بمجرد أن تجد طريقها فى متاهة الأمم المتحدة، واثق أنهم سوف يضيفون حياة للمناقشات وللنظر فى المسائل. إن مايصدم هو فكرة أن الدول الجديدة يمكن أن تأخذ مواقف غير مسئولة وأنا نفسى لاأعتقد فى ذلك لحظة.. وأن من الطبيعى تماما أنهم مثلنا جميعا عليهم أن يتلمسوا طريقهم عبر النظام السياسى وإطار الإجراءات والذى كان حتى الآن غير معلوم لنا».

ويبدو أن وجهات نظر همرشولد فى أفريقيا قد أثارت أسوأ مخاوف الرئيس الفرنسى ديجول ففى لقائهم الأول عام١٩٥٩ تحدث همرشولد مطولا حول الاتجاه السياسى للاستقلال الحتمى للمستعمرات الفرنسية فى أفريقيا، فى نفس الوقت الذى اعتبر فيه أن نصيحة ومساعدة فرنسا سوف تكون مطلوبة فى النطاق والبيئة الواسعة التى تقدمها الأمم المتحدة وحتى لاتبد و مساعدتها كعمل من أعمال التفضل ولكن مساعدة يقدمها الشقيق الأكبر إلى الأصغر وكلا منهما له حقوق متساوية والاحترام الذاتى وإمكانية المكانة المتساوية. وكان من وجهة نظر همرشولد أن ربط الماضى بالحاضر وما سيكون على القوى الاستعمارية أن تقدمه لأفريقيا سوف يقدم بشكل أفضل من خلال الأمم المتحدة والتحرر من الشكوك الأفريقية فى والنوايا الغربية كما كتب فى مارس عام ١٩٦٠ : «أن التنمية الأفريقية تضع المجتمع الدولى موضع الاختبار.. وفى الأمم المتحدة عليها أن تحارب ضد عقبات سياسية ثقيلة وبموارد ضعيفة جدا لكى تقوم بأدنى الضرورات التى يطلبها القادة الأفارقة بشكل متحمس. وتنظر القوى الاستعمارية السابقة إلى ذلك بعدم الموافقة وآخرين بالغيرة، والنتيجة واحدة فى كلا الحالتين ومع هذا علينا أن نسلك وفقا تقديرنا ولهذه الواجبات التى فرضها علينا المنتقدون أنفسهم كموقعين على الميثاق».

همرشولد ونزع السلاح

ألمحنا فى تقديم هذا الفصل أن اهتمام داج همرشولد بقضية نزع السلاح كان يصدر أساسا ويتفق مع تطور الأمم المتحدة وباعتبار الأبعاد التى بدأ يكتسبها سباق التسلح سواء فى تسارعه أو فى خطورته المهددة للبشرية بأسرها وذلك بعد بزوغ العصر النووى والقوة التدميرية الكاملة والتى يمكن أن تشمل البشرية بأسرها.

بهذه الأبعاد اعتبر همرشولد أن قضية نزع السلاح والحد منه لم تعد تهم فقط القوى الكبرى وإنما البشرية بأسرها ممثلة فى المجتمع الدولى بكل وحداته الكبيرة والصغيرة. لذلك سوف نجد إصرار همرشولد أولا على أن مناقشة قضايا نزع السلاح هى اختصاص أصيل للأمم المتحدة ويجب أن تجرى اساسا فى نطاقها وثانيا علي أهمية مشاركة الدول الصغيرة والمتوسطة فى اللجان والمنابر التى شكلت لبحث قضايا نزع السلاح وأن لايقتصر ذلك فقط على القوى الكبرى وتحالفاتها.

غير أنه فى نفس الوقت فإن همرشولد لم يكن لديه أوهام أكيدة حول امكانية تقدم مبكر وسريع حول نزع السلاح ولكنه ظل عميق الاقتناع بأن الجهود يجب أن تبذل وتستمر وإنه حتى لو حققت هذه الجهود مكاسب قليلة ومتقطعة إلا أنها تبرر الطاقة التى تبذل فى سبيلها.

وفى عام ١٩٥٥ أجاب على ماأعتبره سؤلا انهزاميا حول نزع السلاح: اننى أثق بقوة ضد التشاؤم المبطن فى هذه العبارات الساخرة بل أعتقد أنها من قبيل عدم المسئولية. إنه ليس هناك شواهد أو خبرات تجعلنا نحاول مرة أخرى، ومن الصحيح أن هناك تداخلابين الجو السياسى من ناحية ونزع السلاح من ناحية أخرى ولكن حين يقول الناس هذه العبارات البسيطة إنه اذا تحسن الموقف السياسى فسوف يتبعه نزع السلاح وإنه لهذا السبب فأنه ليس هناك معنى لمناقشات نزع السلاح فإنهم بهذا يتجاهلون عاملا جوهريا.. إن دراسة نزع السلاح ذاتها ربما تكون القوة الدافعة والمحركة للتقدم نحو تفاهما دولى أعظم. وهذا يعنى أن نزع السلاح ليس أبدا نتيجة الوضع السياسى فقط، إنه جزئيا أداةلخلق الوضع السياسى. وفيما أعتقد فإن علينا أن نظهر صبرا أعظم فى هذا الميدان أكثر من أى وقت مضى.

وعندما بدأ الجو الدولى ينبىء ببعض التحسن خاصة بعد مؤتمر قمة جنيف عام ١٩٥٥ بدأ همرشولد يعطى اهتماما أكبر لقضايا نزع السلاح. وفى عام ١٩٥٧ بدا يستكشف إمكانية وقف تجارب التفجيرات الذرية كما دفعه تطور سباق التكنولوجيا الفضائية بعد إطلاق السوفييت للقمر الصناعى عام ١٩٥٧ واقترح عقد جلسة لمجلس الأمن لمناقشة التوقف فى مباحثات نزع السلاح كما بادر إلى تقديم بيانات أمام المجلس عن وضع نزع السلاح مثلما فعل فى أبريل عام ١٩٥٨ مستخدما فرصة تقديم كل من الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة مقترحات حول نزع السلاح: (الاقتراح الذى قدمه الاتحاد السوفيتى لاتخاذ إجراءات عاجلة لوضع حد لطلعات الطائرات العسكرية الامريكية المزودة بقنابل ذرية وهيدروجينية فى اتجاه الاتحاد السوفيتى واقتراح الولايات المتحدة انشاء منطقة تفتيش فى المنطقة القطبية الجنوبية والبدء فى نظام تفتيش دولى يهدف إلى إزالة خطر الهجوم المفاجئ).

فى ظل هذا كان همرشولد يتحدث باسم الشعوب «التى تتوقع بشغف التخلص من هذا الكابوس الراهن وهى الشعوب التى ينعكس صوتها فى الميثاق الذى أعمل وفقا له «وكانت ملاحظات همرشولد تلك» تعبيرا عن مشاعر عميقة تجرى فى العالم كله ولها الحق أن تسمع هنا خارج نطاق سياسات الحكومات إنى آمل أن كلا من الحكومات الممثلة حول هذه المائدة سوف تحاول أن تتصرف على أساس من الثقة كمخرج من التفكك والانحدار الذى نعانى منه جميعا».

غير أن هذا التدخل من جانب همرشولد أُخذ بشكل خاطئ وقوبل بامتعاض من جانب القوتين، وإزاء رد الفعل الذى قوبلت به ملاحظاته حرص همرشولد على أن يوضح بشكل أكثر دوافعه وفهمه بل وأسلوب معالجته لهذه القضية: «ثمة نقطة فى تطور نزع السلاح حيث إنه فى كل

مرة تتخذ فيها مبادرة بنية طيبة فى نتائجها وفوائدها الممكنة فإنها لاتتكشف بشكل خاص ولدى إحساسا بأننا قد فاتنا القطار وعلينا أن نكون متأكدين أن الطريق لن يظل مفتوحا باستمرار أمام القطارات فى المستقبل. إن هذا الشعور بالعجلة والشعور بالمسئولية تجاه كل فرصة جديدة اينما جاءت وأيا كان مضمونها المحدود هو مادفعنى إلى أن أشعر أننا أمام واحدة من المناسبات التى تشكل فيها سياسات السكرتير العام وإلى حد كبير جزءا من واجبه وهى مكملة وتتفق جدا مع الدبلوماسية الخاصة.. وكما ترون فإن أى انبعاج صغير يمكن أن يؤدى إلى صدع، والصدع يمكن أن يؤدى إلى انفتاح وعندئذ يمكنك أن تخترق الحائط..»

غير أن أهم ماميز تناول واهتمام همرشولد لنزع السلاح باعتباره أنه من الاهتمامات المشروعة والمشتركة لكل الدول الأعضاء هو معارضته، وحينما كان ذلك ممكنا، الميل لمعاملة نزع السلاح باعتبار أنه اهتمام خالص يهم القوى العظمى وحدها وبشكل يجعل من الأفضل تناوله خارج نطاق الأمم المتحدة. ولذلك فإنه فى عامى ١٩٥٨، ١٩٥٩ حين كانت لجنة نزع السلاح فى حالة توقف أصر همرشولد على تضمين بند حول نزع السلاح على جدول أعمال الجمعية العامة كما قاوم دائما مفهوم الصفوة الذى أدى إلى مناقشة موضوعات هامة مثل نزع السلاح أو مستقبل الطاقة الذرية بواسطة عدد محدود من الدول فقط وخارج نطاق الأمم المتحدة. فحين كانت الوكالة الدولية للطاقة الذرية تحت الإنشاء قاوم همرشولد الاتجاهات الاستقطابية التى كانت تهدف إلى فصل الوكالة بقدر الإمكان عن المجريات السياسية للأمم المتحدة. وقد اعتبر همرشولد أنه مادامت الوكالة يمكن أن تلعب دورا رئيسيا ليس فقط فى الاستخدامات السلمية للطاقة الذرية، ولكن أيضا فى نظام التحكيم فى التسلح فى المستقبل والضمانات النووية والتفتيش فقد حاول فى الأصل أن يجعل من الوكالة

جهازا ضمن اطار الأمم المتحدة ذاتها، ولكنه فشل فى ذلك إلا أنه أصر أن تبقى الوكالة على صلة وثيقة بالأمم المتحدة، وفى وجه اعتراضات العلماء واعداء العالمية الذين اعتبروا أن الوكالة الدولية للطاقة يجب أن تظل بمنأى عن المشاحنات السياسية للأمم المتحدة وإحباطاتها، رد همرشرلد بأن هذه وجهة نظر غير واقعية طالما أنه - سواء أحب العلماء أم كرهوا - فإن الطاقة الذرية هى عامل رئيسى فى السياسة العالمية وقد تجسد إصراره على علاقة خاصة بين الوكالة والأمم المتحدة بشكل رسمي فى الاتفاقية بين الوكالة والأمم المتحدة. وقبل اقتراحه بأن تقدم لجنة الأمم المتحدة العلمية الاستشارية النصيحة للوكالة.

ومن الأمثلة البارزة على إصراره على الطابع والمضمون الدولى لنزع السلاح ومناقشاته ولجانه والأجهزة التى تعالجه شعوره بالابتئاس حين علم أن وزراء خارجية الدول الكبرى قرروا إنشاء لجنة جديدة لنزع السلاح هى لجنة العشرة:

TEN NATIONS DISAR MMENT COMMITTE

خارج الأمم المتحدة، وإن كانت مرتبطة بها بشكل غامض، وتتكون هذه اللجنة من الدول الأربع الكبرى وست دول أخرى مرتبطة بهم. وقد كان رد فعله فى الحال قويا تجاه هذه الخطوة. وفى مذكرة إلى الدول الغربية الكبرى فى نيويورك اعتبر أن هذا الجهاز الجديد الذى لايضم ممثلين عن آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية أو الدول المحايدة فى أوربا إنما هو «بناء ثنائى محض »ولايمكن الادعاء بانه يتصرف نيابة عن الأمم المتحدة. ورغم أنه كان من الحقائق أن لجنة نزع السلاح التى أنشأتها الجمعية العامة عام ١٩٥٨ لكى تضم كل أعضائها لم تكن قادرة على أداء المعمل المطلوب بشكل سليم، إلا أن همرشولد اعتبر أن القوى الكبرى لاتستطيع أن تتجاهل وجودها كلية، وقد كان من الواجب على الأقل إخطار

لجنة نزع السلاح بقرار إنشاء لجنة العشرة الجديدة وأن تقدم هذه المجموعة تقاريرها إلى لجنة نزع السلاح.

والواقع أن ردود فعل همرشولد واحتجاجه لم تذهب هباء فقد تضمن البيان المشترك للقوى الأربع الكبرى بانشاء هذه اللجنة إن قرار انشاء هذه المجموعة لاينتقص باى حال أويغور على مسئوليات الأمم المتحدة فى هذا الحقل «بل إنه أخذ بعين الاعتبار المسئولية الخاصة التى تقع عليهم للوصول إلى قاعدة للاتفاق» وقد كان المأمول أن هذه المجموعة سوف تقدم قاعدة مفيدة لمزيد من النظر فى نزع السلاح فى الأمم المتحدة «كما سوف تبقى لجنة نزع السلاح على علم كامل، وكخطوة أولى وفى هذا الاتجاه فقد طلبوا من السكرتير العام عقد لجنة نزع السلاح خلال سبتمبر ١٩٥٩ إذا كان هذا ممكنا من أجل أن يخطر الأعضاء بشكل كامل بطبيعة وأهداف المداولات»

وقد أثبتت التطورات مخاوف همرشولد من حدود وطبيعة مجموعة العشرة الجديدة ، فقد قدم الأعضاء الغربيين فى مجموعة العشرة اقتراحا عارضه الاتحاد السوفيتى ووفود الدول الاشتراكية لإنشاء منظمة دولية مستقلة لنزع السلاح، وقد صدم همرشولد من عدم المسئولية والافتقار للواقعية وهذا النوع من «اللهو» والذى اعتبره محاولة لخداع النفس ولخلق أمم متحدة جديدة من أجل الالتفاف حول بعض جوانب الميثاق التى لاترضى واضعى الخطة الجديدة . وكما كتب لوزير الخارجية الامريكى فى مارس١٩٥٩ : .. إن هناك فى الوقت الحاضر اتجاها غريبًا للتفكير أجده مقلقا .. فإذا مانوقش الحد من التسلح خارج نطاق الأمم المتحدة واذا مانجحت الجهود الحالية لبناء جهاز دولى ذى عضوية واسعة لمساعدة الدول النامية فإن النتيجة ستكون أضعاف التعاون الدولى الشامل، وسوف تُسلب الأمم المتحدة جزءا هاما من مضمونها الجوهرى دون أن نخلق

بدائل جديدة قابلة للحياة»، ويبدو أن حجج همرشولد قد نجحت فى إقناع الولايات المتحدة بعدم عملية الخطة الجديدة.

ماذا بقى من همرشولد

كيف نستطيع اليوم بعد مرور قرابة حقب أربع أن نُقيم خبرة وتجربة داج همرشولد فى الأمم المتحدة، وأن نرى شخصيته وفكره وممارسته لدوره وتصوره للمنظمة الدولية؟ صحيح أنه قد ظهر وعمل فى عصر مختلف وظروف مختلفة، إلا أنه يحق لنا أن نطرح عددا من الأسئلة مثل تلك التى طرحها مؤرخ حياته بريان ـ إيركهارت وان نتساءل إن كان قد مثل وترك آثارا دائمة أم أنه كان مجرد ظاهرة لامعة، نجم أضاء فى السماء ثم مر ولم يخلف أثرا بعد رحيله؟ أم أنه كان أسبق من عصره وبشكل سوف يجعل أفكاره وتصوراته بل وممارساته العملية وما استحدثه من آليات صالحة وذات معنى ويجعلها جديرة بالبقاء والبناء عليها؟ أم أن هذا التساؤل الأخير قد حسمه وأجاب عليه الدبلوماسى التونسى منجى سليم الذى انتهى إلى أن إسهامات همرشولد فى عصره لم تمت معه ومازالت باقية ولها صلة بالحاضر وستظل لها صلة بالمستقبل، ومثلما عبر الرئيس التانزانى السابق جولياس نيريرى من أن اسم همرشولد سيظل مرتبطا بالعديد من الأحداث وفى الكثير من تفاصيل التاريخ وتنتهى جميعا إلى أمر واحد: البحث عن السلام فى العالم.

وكما رأينا فى سياق فصول هذا الكتاب أن فكر همرشولد تجاه المنظمة الدولية قد تطور على أساس أن هذه المنظمة تمثل معنى وفائدة بشكل خاص للدول الصغيرة والمتوسطة والتى تجد فيها ملاذها ومنبرها والضمان الحقيقى لمصالحها، وهو الفكر الذى تطور بتطور النمو فى عدد الدول الصغيرة وحصولها على استقلالها وانضمامها إلى المنظمة الدولية. ونستطيع أن نتصور علاقة متبادلة بين فكر همرشولد وما دافع عنه فيما

يتعلق بالدول الجديدة ووضعها الدولى وما أدخلته على الخريطة السياسية للعالم ، وبين الثقة التى اكتسبتها هذه الدول فى إمكاناتها وذاتها وهو مادفعها بالتالى إلى التجمع والتعبير عن نفسها؛ وهى الثقة التى غذت وشجعت على تجمع دول آسيا وأفريقيا فى باندونج عام ١٩٥٥ ثم بعد ذلك فى بلورة فكره حركة عدم الانحياز.

غير أننا ونحن نناقش فكر همرشولد فيما يتعلق بدول العالم الثالث يحق أن نتساءل عما إذا كان همرشولد فى حماسه والثقة التى عبر عنها خاصة فى الدول الأفريقية الجديدة وإمكاناتها وقادتها الجدد وقدرتها على بناء «مستقبل سعيد» قد بالغ فى هذا التوقع وهذه الثقة أخذا فى الاعتبار الإحباطات التى مرت بها القارة الأفريقية وتراجع أداؤها الاقتصادى ومانغمست فيه من حروب أهلية وصراعات داخلية.

وفى تصورنا أن ما أبداه همرشولد من تفاؤل وحماس تجاه الدول الأفريقية لم يكن نتيجة سوء تقدير بقدر ما كان نتيجة إحساسه بالعدالة اولا ثم مثاليته التى قدرت أنه بعد المعاناة من الاستعمار فإن هذه الدول سوف تنهض وسوف يساعدها المجتمع الدولى على ذلك، كما من دوافعه لهذا الحماس نظرته الأوسع إلى الاستقرار الدولى بسد الفجوة الواسعة التى تفصل الدول المتقدمة عن الدول المتخلفة والتى إذا استمرت يمكن أن تكون مصدر للتوترات الدولية.

غير أنه إذا كان هذا الجانب فى تفكير همرشولد يمكن أن يخضع للتساؤل فإن مايمكن الحديث عنه بثقة حول إسهامات همرشولد فى المنظمة الدولية ودورها هو هذه المجموعة من الآليات والمفاهيم التى كانت نتاجاً مباشرا لفكره الخلاق ونعنى بها مفاهيم الدبلوماسية الشخصية والدبلوماسية الوقائية وأهم من هذا كله قوات حفظ السلام وهى المفاهيم والآليات التى

أصبحت مرتبطة باسم الأمم المتحدة وأكسبتها قيمة ووجودها فى مناطق التوتر والصراع فى العالم.

ونتصور أن خطة السلام Agenda for Peace. التى قدمها السكرتير العام السابق للأمم المتحدة الدكتور بطرس غالى ، وحاول فيها أن يقدم منظومة كاملة من الاجراءات والآليات لدعم دور المنظمة الدولية فى الأمن الجماعى، إنما هى بناء وتطوير لما فكر فيه وأرساه داج همرشولد.

كذلك فإن من جوانب شخصية وفكر وممارسات همرشولد التى لاتخضع للشك أو التساؤل هو ايمانه الاصيل بالأمم المتحدة باعتبارها الأداة التى تحافظ على أمن وسلام البشرية وهو الإيمان الذى استتبعه حرصه وتصميمه على بناء الجهاز التنفيذى للمنظمة ممثلا فى سكرتيرتها وكفاءتها وفاعليتها واهم من هذا استقلاليتها وعدم تعرضها لضغوط أو تأثير وخاصة من الدول الكبرى، واعتباره أن هذه الاستقلالية هى التى سوف تعطى فى النهاية لهذا الجهاز - وعلى قمته السكرتير العام - فعاليته ومصداقيته.

وقد كان هذا هو الاتجاه الثابت لهمرشولد منذ أن جاء إلى نيويورك عام ١٩٥٣ وقد فعل هذا فى عدة اتجاهات ومع كل القوى الكبرى، كما فعله وهو يعلم أنه ربما يضر بجدواه الشخصية، غير أن دافعه الرئيسى كان هو الاعتبارات الدائمة المتعلقة بكيان المنظمة ومستقبلها، كما كان يتصرف دائما وعينه على من سيخلفونه فى منصبه وأن لايترك سابقة يمكن أن تؤثر على أدائهم وتصورهم لهذا المنصب. والواقع أن مثل هذا الموقف الصارم لم يكن ممكنا بدون أن يمتلك صاحبه عناصر ومقومات تكامل الشخصية ونضج الفكر والشجاعة والحكمة والإحساس الفادح بالمسئولية.

التأملات

بعد موت داج همرشولد عثر على مخطوط فى منزله عليه عنوان Markings مع خطاب غير مؤرخ موجه إلى Leif Belvage الوكيل الدائم لوزارة الخارجية السويدية يقول فيه :

عزيزى ليف

ربما تتذكر ما سبق أن ذكرته لك مرة إننى رغم كل شىء قد احتفظت بمفكرة اريدك أن تكون مسئولا عنها يوما ما وهاهى ذى.

لقد بداتها بدون أن أفكر فى أن يقرأها شخص آخر، لكن مع تاريخى الأخير وكل ماقيل وكتب عنى، فقد تغير الموقف. إن هذه اليوميات تقدم الصورة الحقيقية الوحيدة عنى، وهذا هو السبب فى أنه خلال السنوات الأخيرة زادت أهمية نشرها رغم أننى قد واصلت الكتابة لنفسى وليس للجمهور.

فإذا وجدت أنها تستحق النشر فلك إذنى أن تفعل ذلك كنوع من الكتاب الأبيض حول مفاوضاتى مع نفسى ومع الله ...»

وفى تقديمه للترجمة الإنجليزية للكتاب يقول W. H. Auden الشاعر وصديق همرشولد إن قارئ الكتاب قد يندهش مما لم يتضمنه. فهمرشولد لم يشر إشارة واحدة لحياته كموظف دولى أو عن الأشخاص الذين قابلهم

أو الأحداث التاريخية لعصره والذى لعب فيها دورا هاما، ولكن إذا اعترته الدهشة مما تضمنه الكتاب فإن مثل هذا القارئ لم يقرأ القصيدة التى كتبها مباشرة بعد تعيينه سكرتيرا عاما لبرنامج إذاعى والذى عبر فيه عن مكوناته الروحية والفكرية إذ قال: «لقد ورثت عن أجيال من الجنود والرسميين الحكوميين من أسرة والدى الاعتقاد بأنه ليس هناك حياة أكثر إشباعا من الخدمة المنزهة لبلدك وللانسانية. ومثل هذه الخدمة تتطلب التضحية بكل المصالح الشخصية ولكن كذلك أن تقف بدون تردد دفاعا عن ماتعتقده. كما ورثت من الباحثين ورجال الدين من اسرة أمى الاعتقاد بأن كل البشر متساويين كأبناء الله وإننا يجب أن نلقاهم ونعاملهم كاسيأدنا. إن الإيمان هو حالة عقلية وروحية، ونصوص الدين هى مجموعة من الصيغ التى تسجل خبرة روحية أساسية، وإن الواقع الذى يصل إلى حواسنا ونستطيع أن نحلله بأدوات المنطق يجب ان لا ينظر إليه كوصف الفلسفة. وقد تأخرت فى فهم ماذا يعنى هذا وحين توصلت اخيرا فى فهم هذه النقطة فإن المعتقدات التى تربيت عليها والتى فى الواقع أعطت حياتى اتجاها حتى فى الوقت الذى كان عقلى يتحدى صلاحيتها، أصبحت أنظر لها وأدركها باعتبارها معتقداتى الخاصة ومن خلال اختيارى الحر.. إن توضيح كيف يستطيع الإنسان ان يعيش حياة نشطة من الخدمة الاجتماعية وفى اتساق كامل مع نفسه وكعضو فى عائلة الروح، قد عثرت عليه فى كتابات الصوفيين العظام للعصور الوسطى والذين كانت تضحيتهم بالنفس الطريق إلى تحقيق الذات والذين كانوا فى إخلاصهم للفكر وتركيزهم على جوهر الأشياء قد وجدوا القوة لأن يقولوا نعم لكل مطلب يطالبهم به جيرانهم، وأن يقولوا نعم ايضا للمصير الذى يخبأ لهم.. والحب هذه الكلمة التى اسيئ كثيرا استخدامها وأسيىء تفسيرها كانت تعنى لى ببساطة تدفق الحياة التى شعر هؤلاء الصوفيون العظام أنها تغمرهم حين يعيشون فى حالة انكار حقيقى ونسيان للنفس، ومثل هذا الحب يجد تعبيرا طبيعيا فى

الوفاء غير المتردد بالواجب والقبول غير المتحفظ للحياة أيا كان ما يحدث لهم من عناء شخصى أو معاناه أوسعادة».

وهكذا فإن «علامات» إنما تسجل اكتشاف همرشولد التدريجى ماذا يعنى أن يقول نعم لجاره ولقدره وللمحن والاغراءات المختلفة وللطبيعة البشرية والعالم والشيطان والذى جعلت من الصعب عليه - مثلما فعلت معنا جميعا أن يقول ذلك.

غير أن اودن يختلف كلية مع ما ذهب إليه همرشولد من أن هذه المذكرات هى الصورة الوحيدة الحقيقية عن نفسه وعن شخصيته، فعند أودن أنه حتى لو كانت هذه المذكرات اعتراف مفصل وواسع مثل اعترافات بوزويل أوروسو اوجيد فإن ما عبر عنه همرشولد يظل غير حقيقى. إن أى إنسان لا يستطيع أن يرسم صورته الشخصية بشكل صحيح لأنه وكما يقول ثورو: «إنه من الصعب أن يرى الإنسان نفسه مثلما ينظر إلى الخلق دون أن يدور حول نفسه» والحقيقة - يضيف أودن - إن أصدقائنا وأعدائنا يعلمون عنا دائما أفضل مما نعلم عن أنفسنا. أن هناك لمسات تصحيحية لصورتهم عنا التى تمكنا فقط أن نصنعها وهذه كقاعدة تتصل بنقاط ضعفنا. ومن البديهى أننا سوف نفكر جميعا فى أنفسنا باعتبارنا أكثر حساسية من أناس آخرين لأنه عندما نفتقد الحساسية فى تعاملنا مع الآخرين لا نستطيع أن نكون على وعى بها فى نفس الوقت ذلك أن الوعى بعدم الحساسية هو تناقض مع النفس، وثانيا فنحن لا نستطيع أن نتفادى التفكير إن اغلبية الأشخاص الذين قابلناهم لديهم شخصيات أقوى منا ونحن لا نستيطع أن نراقب الآخرين وهم يصنعون اختياراتهم، إننا فقط نعلم ماذا يفعلون وكيف يسلكون غير أن أحدا لا يستطيع بأمانة أن يفكر عن نفسه كشخصية قوية لأنه ايا كان نجاحه والتغلب على نفسة فإنه بالضرورة على وعى بالشكوك والإغراءات التى تصاحب كل اختيار هام.

فإذا ما قرانا «علامات» دون أن نتذكر كل الوقت إنها كتبت بواسطة رجل حقق نجاحا عالميا كبيرا فسوف نفشل فى أن نستوعب معنى الحزن والطابع الروحى لما كتبه. وسوف نستكمل فهمنا لما كتب همرشولد وتأملاته عن نفسه بقراءتنا لخطبة العامة وللأنطباعات التى تركها همرشولد على الاخرين - فقد لاحظ Wilder foote الذى كان قريبا منه وعمل خلال عهده مديرا للإعلام فى الأمم المتحدة أن ما ألهم همرشولد ودعمه كانت قوة معتقداته وعمقها ونقاؤها والمثل العليا التى كان يحملها عن الحياة والعلاقات البشرية وهى المثل التى أخلص لها فى العمل وفى الحياة.

أما الدبلوماسى الدانمركىEyvind Bartels والذى رغم عرضه المعادى للكتاب فقد شهد على قدرات همرشولد وبصيرته فقال: «إنه بعد الحرب بوقت قصير وفى لقاء بين الحكومتين الدانمركية والسويدية كانت المرة الأولى التى رأيت فيها همرشولد فقد قدمه إلينا اصدقاؤه فى الحكومة السويدية كمعجزة وقد اثر فينا فعلا على هذا النحو. وفى خطاب طويل ناقش المشكلات السياسية الاقتصادية فى العلاقة مع الولايات المتحدة والتى كانت تبدو لنا شيئا بعيدا جدا، ومع ذلك فإن المرأ حين يتذكر الآن يستطيع أن يرى كيف أن همرشولد قد صاغ المشكلات الاقتصادية والسياسية والتى سوف تسيطر بعد ذلك على النقاش الأطلنطى. والمرة الثانية التى رأيته فيها كان فى باريس عام ١٩٤٧ خلال مناقشة خطة ماريشال وقد نحى همرشولد دائما العون الذى يقدمه الدولار الأمريكى باختياره مسالة ثانوية وأثار السؤال الجوهرى حول نتيجة هذا التعاون الجديد بالنسبة للسيادة القومية للدول الأوربية. فى هذا الوقت كان مثل هذا السؤال يبدو نظريا بشكل كبير. والآن حين تنظر إليه نجد أن همرشولد قد لمس مشكلة أوربية تشتعل اليوم كما اشتعلت دائما ولم تجد بعد حلالها.

ومما له أهمية - في ضوء يوميات همرشولد - هو الانطباع الذى تركه على زميل له في جامعة أوبسالا والذى صاحبه في العديد من الرحلات في منطقة لابلاند: «لم يكن إحساسه بالواجب واجتهاده يثقلان عليه على العكس بدا أن له طبيعة سعيدة.. ووسط كل ثقافته وإحساسه بالمسئولية وتفاؤله المثالي كان في همرشولد الشاب شيء من الولد المازح.

أما أودن فهو يعتبر أن شهادته الشخصية غير هامة ولكنه في تقديمه لها يذكر أنه في لقاءاتهم المختصرة والغير متعددة فقد أحبه منذ اللحظة الأولى كما لمس أن معرفته وفهمه للشعر - وهو الميدان الوحيد الذى يستطيع اودن كشاعر أن يحكم بشكل كفؤ على نوعية فكره - كان استثنائيا ويثير أدون سؤالا حول تأملات همرشولد المبكرة التى كتبت قبل عام ١٩٥٣ حيث ليس هناك فصل واحد له تاريخ وفى النسخة السويدية هناك أربع صفحات مؤرخة ١٩٢٥ - ١٩٣٠ وخمس مؤرخة ٤٢-١٩٤٤، ١٣ مؤرخة ما بين ١٩٤٥-١٩٤٩ وفي ديسمبر ١٩٥٦ كتب همرشولد متسائلا: هذه المذكرات؟ إنها معالم تبدأ في رسمها بعد أن تكون قد وصلت إلى نقطة تحتاج إليها، نقطة ثابتة لا تستطيع بأى حال أن تفقد النظر إليها.. ويبدو أن هذه النقطة الثابتة هي تلك التى أشار إليها في مدخله Whit sun-day عام ١٩٦١:

«ولكن عند لحظة ما أجبت بنعم لشخص ما أو لشيء ما، ومن هذه الساعة تأكدت أن الوجود له معنى وأنه لذلك فإن حياتى في استسلامها لها هدف».

أما عن متى تم الوصول إلى هذه النقطة المحددة فإنها يجب أن تكون بعد ما دونه بتاريخ ١٩٥٢ حيث قال: «إن ما أبحث عنه هو شيء عبثى - أن يكون للحياة معنى، وأن ما أجاهد من أجله أمر مستحيل - أن تكتسب حياتى معنى»

وأن يكون الإنسان موهوبا ولكن لا يعرف كيف يستخدم هذه الموهبة بشكل أفضل وأن يكون ذا طموح كبير ولكنه يشعر في نفس الوقت بعدم القيمة، يمثل خليطا خطرا يمكن أن ينتهى بانهيار عقلى أو الانتحار. وتظهر تأملات همرشولد المبكرة بأن فكرة الانتحار لم تكن غريبة عنه. وقد وصف حالتين فعليتين من الانتحار- بافتراض أنه قد شاهدهما شخصيا- بانبهار وحين وقعت له حادثة تصادم سيارة كانت الفكرة الأخيرة التى راودته قبل أن يفقد الوعى فكرة سعيدة «حسنا لقد تمت مهمتى».. وفى نهاية عام ١٩٥٢ اعترف بأن الانتحار قد أغراه بشكل حقيقى: «إنه الطريق الذى يغويك لكى تتغلب على وحدتك بالهرب النهائى من الحياة. لا قد يكون الموت هو هديتك الأخيرة للحياة ولكن لا يجب أن يكون عملا من أعمال الخيانة ضدها».

وقبل أن يكتشف الحل بوقت طويل أدرك همرشولد تماما ما هى المشكلة. فإذا كان عليه أن لا ينحدر فعليه أن يتعلم كيف ينسى نفسه وأن يعلم أنه ليس فى مقدوره أن يفعل هذا. إن الانتقال من اليأس من نفسه إلى الإيمان بالله يبدو أنه كان عملية بطيئة تتخللها انتكاسات. وثمة قضيتان أصبحتا تشغلان تفكيره، الأولى أنه ليس هناك إنسان يستطيع أن يحقق بشكل سليم ما هو مدعو لتحقيقه فى هذه الحياة مالم يتعلم أن ينسى ذاته وأن يعمل كأداة لله، أما القضية الثانية، وهى ما تتصل به شخصيا، أن الطريق الذى دعى إليه سوف يقود إلى الصليب يعنى المعاناة والمهانة الدنيوية والتضحية الجسدية بحياته. هذا الانشغال بالتضحية بالمعنى الجدلى هل كان يعنى تصورا لنهايته؟ وهل توقع أن يغتال كما حدث للكونت برنادوت؟ أو يتعرض لهجوم غاضب فى الجمعية العامة؟ أم يسقط ميتا بسكتة قلبية نتيجة الاجهاد فى العمل؟ وكما نعلم جميعا فإن همرشولد قد قتل خلال أدائه للواجب غير أنه من الصعب أن نعتبر حادث ارتطام

طائرة على أنه عمل من أعمال التضحية بالمعنى الذى استخدم به همرشولد اللفظ، وهو ما يمكن أن يحدث لأى منا بغض النظر عن أى التزام.

وبالإضافة إلى المعاناة الروحية للوحدة وأن يترك وراءه العالم الذى صنع منه ما هو، فقد كان على همرشولد أن يتحمل وبشكل حاد بسبب ضميره المتطرف والمعاناة الجسدية للضغط العصبى المستمر والعمل الزائد. فإذا شعر قارئ تأملاته للفترة ما بين ١٩٥٣ - ١٩٥٧ بعدم الصبر نتيجة لجديتها الصارمة فليتذكر أن معظم هذه التأملات كتبها رجل لاينام لأكثر من أربع أو خمس ساعات يوميا ولمدة أسابيع وأن مثل هذا الرجل من الصعب أن تتوقع منه أن يفكر او يكتب بخفه أو بتأنق فى الأسلوب وليتذكر مثل هذا القارئ أن رجلا مثل همرشولد قد شرع بشكل متعمد لتصفية كل الدوافع الذاتية لعمله وأن يعمل فقط لخير الآخرين ومجد الله ويتجرد من كل إغراءات الجسد والشهرة والمال وهى الإغراءات التى كان يمكن أن تخفف من آلام كده وتعبه.

وفى ضوء ما تكشف عنه تأملات همرشولد هل كانت الحياة السياسية بكل ما تعنيه من ضغوط وممارسات واختيارات واختبارات صعبة هى الوسط أو البيئة الطبيعية التى تلتقى ويمكن أن يتجاوب ويتعايش معها؟ وهل كان تكوينه وخلفياته فى عمله الحكومى يتفق مع متطلبات الحياة السياسية؟ لقد كان همرشولد موظفا مدنيا أى منفذا للسياسة وليس صانعا لها. وعلى أساس من خبرته ومعتقداته فقد يجد نفسه مع أوضد سياسة ولكن فى نهاية الأمر ليس هو الذى يقرر وليس عليه إلا أن ينفذ وكان هذا يعنى أنه رغم وجوده فى الخدمة العامة إلا أنه لم يدخل ساحة الحياة العامة والنقاش والجدل العام. أما فى منصب السكرتير العام وهى وظيفته الدولية فإنه فى النهاية لابد أن يتضمن موقفا سياسيا يزداد تعقلا فى عالم يتكون

من عديد من الدول المستقلة غالبا ما تكون فى خلاف مع بعضها ولذلك فإنه فى العديد من المناسبات وجد همرشولد نفسه فى موقف عليه أن يأخذ فيه قرارا سياسيا سواء كان نتيجة لاتفاق الحكومات أو القرارات المنظمة الدولية أو لأن اختلاف القوى العظمى خاصة لم يترك له خيار آخر. فى مثل هذا الموقف كان يتغلب الموقف والتصور الفلسفى لمفهوم حياة السكرتير العام، وهو التصور الذى لا يلقى ميوله أو تعاطفاته الشخصية، ولكنه فى نفس الوقت عليه أن يراعى ردود الفعل البشرية التى تجعله يتحكم فى نفسه لكى لا يدع أفكاره ومثله الشخصية تؤثر فى تصرفاته وقراراته، وقد اعتبر أن مثل هذا الموقف ليس شيئا فريدا «أليس كل قاضٍ يقع - مهنيا - تحت مثل هذا الالتزام؟»

إن الوسط الذى يعمل فيه السياسى هو ساحة للنقاش العام ولكى يشعر المرء بإنتمائه إليه والارتياح فيه فإن هذا يتطلب تجنبا صعبا للمسئولية وأن لا يكون حساسا لكل سهام النقد مهما كانت حادة أو مؤذية ويخرج المرء من تأملات همرشولد بانطباع أنه فشل ليس فقط فى أن يتجنب مثل هذا الاختيار، ولكنه ظل أكثر حساسية من معظم الناس. وبدا أنه قد شعر بأى نقد أيا كانت دوافعه على أنه يمس تكامله الشخصى. وهذه الحساسية لابد أنها جعلت الحياة صعبة بشكل استثنائى بالنسبة له حين كان يزج به فى قضايا سياسية محل خلاف كبير.

غير أنه مايدفع على الارتياح أنه فى السنوات الثلاث الأخيرة من حياته شرع يكتب أشعارا وحيث يثبت ذلك أنه قد حصل أخيرا على صفاء الذهن الذى صلى من أجله طويلا.

إن تأملات همرشولد التى كتبها ما بين عام ١٩٢٥ - ١٩٦١ والتى أسماها مفاوضاته مع نفسه ومع الله، لا يجب أن تقرأ كعمل ادبى، إنها

كذلك وثيقة تاريخية ذات أهمية أولى باعتبار أنها تروى محاولة رجل محترف من رجال العمل لكى يوحد فى حياة واحدة: حياة العمل والنشاط مع حياة التأمل، وهنا تكمن معنى ملاحظته :

«فى عصرنا فإن الطريق إلى القداسة إنما يمر بالضرورة بعالم الفعل والعمل».

إلى جانب هذا الإطار العام الذى رئيت فيه تأملات همرشولد وخلفياتها ومؤشراتها على فكره، فقد خضعت هذه التأملات لتحليلات أكثر تفصيلا وخاصة فيما يتعلق بالقضايا الفلسفية والدينية والروحية الكبرى التى تثيرها ويكف انعكست فيها حياة همرشولد الروحية ومشكلاتها وأزمته الدينية والروحية ودلالتها على نضجه الفكرى والعاطفى والاخلاقى، وعلى القضايا التى شغلته مثل أنانية الإنسان ومعنى الحياة والوحدة واستجابته لنداء الله والمصير وقيمة التفانى وتكريس نفسه لخدمة البشرية. ويلفت النظر فيمن أجروا هذه التحليلات ومايعطيها قيمتها أنها صدرت عن شخصيات اسكندنافية وسويدية وحيث قرأت التأملات ونظرت فيها فى نصها السويدى كما أنها مثل: Gustaf Aulen لها خبراتها وخلفياتها العميقة فى الدين والفلسفة.

وأول ماتلفت هذه التحليلات النظر إليه فى التأملات هو ماتثيره من تشابهات مع أول عمل فى العصر المسيحى من أعمال الحياة الشخصية الروحية وهى اعترافات Confessions القديس أو غسطين فثمة تشابهات بين الكتابين سواء من حيث علاقة كل كاتب بأمه أو الشك والصراع الذى ميز رحلة كل من القديس أوغسطين وهمرشولد نحو الإيمان. غير أنه رغم هذا التشابه فإنه يجب أن لا يدفعنا بعيدا، فكتاب التأملات لهمرشولد هو كتاب لعصرنا وعصر يختلف بشكل جذرى عن عصر القديس اوغسطين.

كما نتوقف فى هذه التحليلات عندما تحمله تأملات همرشولد فى

مجموعها من طابع الحكم والأقوال المأثورة، وما يثيره ذلك من دهشة باعتبار أن جانبا كبيرا منها قد كتب خلال فترة تولى همرشولد منصب سكرتير عام الأمم المتحدة الأمر الذى يعنى أنها كتبت بشكل سريع وفى ساعات متأخرة من الليل وبعد ساعات طويلة من العمل. ورغم هذا فكلما تأمل المرء فى «علامات» وتعمق فى دراستها كلما تأثر بتماسك وترابط فكر همرشولد، وتدفع قارئها فى النهاية إلى أن لها شخصيتها الذاتية وأن كتابه يعالج من البداية حتى النهاية حياة همرشولد الروحية.

ومما له دلالة أنه عند نشر الكتاب أثار عددا من ردود الفعل المختلفة ولكن كان ثمة إجماعا ممن عرضوا للكتاب وناقشوه إنه كان مفاجأة عامة، فلم يتخيل أحد أن هذا الرجل المثقل بالعمل إلى حد مؤلم كان يستطيع أن يضع سرا على الورق هذه التجارب الروحية والشخصية وما كان أكثر مفاجأة لمعظم الناس هو الاتجاه الدينى الذى ظهر فى الكتاب. وإن كان الأمر لم يكن يستوجب هذه المفاجأة. ذلك أن همرشولد لم يخف يوما موقفه الدينى. ففى حديث بالراديو عام ١٩٥٣ اعترف بشكل علنى بعقيدته المسيحية والتزامه بها «بدون أى مساومة لما تتطلبه الأمانة الفكرية والتى هى المفتاح الرئيسى لنضج العقل» كما أثبت همرشولد فى مناسبات اخرى اتجاهه الإيجابى نحو العقدة المسيحية ورغم هذا فإنه يمكن تفهم دهشة هؤلاء فرغم أنه كان هناك اعترافات مماثلة فى التاريخ المسيحى إلا أنها قد كتبت من رجال ونساء عاشوا حياة تأمل هادئة أما «علامات» همرشولد فقد كتبها - على الأقل فى الجانب الكبير منها - رجل دولة يحمل متاعب العالم.

بخلاف هذا النظر العام حول اتجاه تأملات همرشولد فقد أثارت عددا من سوء الفهم الحاد من جانب بعض المحللين والمعلقين الإسكندنافيين فقد اتهم بعضهم همرشولد بتمجيد الذات الذى يقارب التجديف وتساءل أحدهم

«هل يرى همرشولد نفسه كالمسيح؟» وذهب إلى أن عددا من فقرات الكتاب تشير أن الإجابة على هذا السؤال هى نعم وقال آخر: إنه يعتبر أن «علامات» هى محاولة لخلق أسطورة همرشولد والتى يبدو فيها السكرتير العام «كمسيح جديد».

وإذا كانت هذه الاتهامات قد ظهرت عند ظهور الكتاب إلا أنها توقفت ولا يتوقع تكرارها من جديد. والواقع أنه ليس هناك ما يستدعى مناقشة هذه الاتهامات تفصيلا. ذلك أن تحليل الكتاب فى مجموعه سوف يظهر المسافة الشاسعة بين الاتهامات وبين عبارات وكلمات همرشولد نفسه فالسؤال الحقيقى ليس هو ما إذا كان همرشولد يعتقد نفسه مسيحاً جديد فمن الواضح أنه ليس كذلك، ولكن ما يجب أن يناقش هو كيف يمكن لمثل هذه التفسيرات السيئة أن تظهر كما أن ما يمكن تأكيده أن هؤلاء النقاد قد عزلوا بعض الفقرات والبيانات من سياقها وفشلوا فى أن يقرأوا ما أراد الكتاب أن يقوله فى مجموعه كما قد فشلوا فى فهم اللغة الدينية التى استخدمها همرشولد حين تحدث مثلما فعل متصوفة العصور الوسطى – عن علاقته بالمسيح وأتباعه له: imitatio بمعنى «أن يتبع المسيح على طريقه فى التضحية» وأن هذه العبارة وكما وردت فى الإنجيل لا تشير إلى التوافق وإنما إلى التلمذة Discipleship فمن الواضح إن همرشولد لم يعتبر نفسه أكثر من مريد Disciple ومما يدل على عدم تماسك ما قاله النقاد عن رغبة همرشولد فى بناء نوع من تقديس شخصيته، ومايثيره هذا من سخرية، هو ما أكد عليه همرشولد من احترام الكلمة والحرص على استخدامها بعناية فائقة والتحذير من إساء استخدامها ومحاولته فى كتابه أن يجد الكلمات الصحيحة وبالشكل الدقيق والمحكم الذى يلائم ويلبى ما يريد أن يقوله ولما يعتبر أنه الحقيقية، وفحصه الذاتى وبشكل قاسى وكشفه كل جوانب النقص فيه. غير أنه فى الحديث عن نص الكتاب وأسلوبه فإنه –

للمفارقة يمكن أن تقدم نوعا من العذر لمن وجهوا هذه الاتهامات لهمرشولد. فمع الدقة والتركيز الذي تتميز به لغة همرشولد إلا أنه من الصعب القول إن الكتاب سهل القراءة والفهم دائما، فأسلوب همرشولد يمكن ان يكون واضحا ولكن الكثير من فقراته من الصعب إدراكها وفهمها. ومن الصعاب التى تواجه من يقرأها أن بعض صفحاتها قد تشير إلى موقف غير معلوم لنا كما أن الأسلوب يتميز غالبا بالغموض والكثافة وتفضيل استخدام كلمات قليلة بقدر الإمكان.

وقد استعرضنا فى الفصول السابقة تأثير البيئة الأسرية لهمرشولد وخاصة أمه وأبيه وعلى مكونات الفكرية والشخصية غير أنه فى دراسته وتحليل كتاب التأملات فإن الذين تعرضوا لتحليله تفصيلا وخاصة فى جوانبه الدينية والفلسفية يذهبون إلى البحث فى المؤثرات الأعمق من شخصيات أو قوى وتيارات دينية وفكرية وفلسفية وكيف بدت وانعكست فى تأملاته.

فى هذا الشأن يتوقف من حللوا تأملات همرشولد بشكل خاص عند: ألبرت شفيتزر وصوفية ومتصوفى العصور الوسطى.

ففيما يتعلق بتأثير شفتيزر فإن همرشولد يعترف بأنه مدين له فى موضعين: ففى أخلاقيات شفيتزر فقد وجد همرشولد أن مثله التى خلفها «قد تناسقت وتكيفت مع مطالب عالمنا اليوم»، ومع أن شفيتزر كان يعنى الكثير بالنسبة لهمرشولد إلا أنه يجب ملاحظة أن تأثيره كان أساسا حول القضايا الأخلاقية، بالنموذج المثير بل والثورى الذى قدمه شفيتزر والذى جعله يهجر ليس فقط حياته الجامعية ولكن أيضا الحضارة الغربية ويتوجه لكى يعمل ويبحث فى غابات أفريقيا. وكان هدفه أساسا أن يرد بعضا من دين الرجل الأبيض الضخم للسود. هذا النموذج اجتذب همرشولد بوجه خاص وعبر عن ذلك بعبارات واضحة حيث اعتبر شفيتزر: «مثلاحيا

للأخلاقيات والمثل التى يعلن عنها، كما عبر همرشولد عن هذا الاتجاه نحو شفيتزر فى مقال نشره فى السويد عام ١٩٥١ وفى مراسله مع شفيتزر خلال عهده فى الأمم المتحدة..

ومما يجدر ذكره أن همرشولد حين تحدث عن شفيتزر أكد على أمرين هامين استمدهما من وجهة نظره الأخلاقية للحياة ومفتاح الرجل الحديث لعالم الأناجيل.

وعلى الرغم إننا نعثر فى كتاب تأملات همرشولد على عدد من الاقتباسات من متصوفة العصور الوسطى لا نعثر على اقتباس واحد من شفيتزر أو على شعار فلسفته وهى: «توقير الحياة» إلا أن هناك العديد من النقاط فى كتاب همرشولد تشير بوضوح إلى تأثير ونفوذ شفيتزر عليه وتوجد أساسا فى الجزء الأول من الكتاب قبل عام ١٩٥٣ كما أن ثمة فقرات بعد ذلك تكشف عن شخصية شيفتزر.

وفى عام ١٩٤٢ كتب همرشولد: «إن إرادتنا الخلاقة السرية تتكهن بنظرها فى الآخرين وتختبر شموليتها، ومثل هذا الحدس يبنى طريقا نحو معرفة القوة التى هى فى ذاتها ومضة sparke فى داخلنا فنقطة بدايته هى: إرادتنا الخلاقة «فكلمة» خلاقة تؤكد نشاط الإرادة وهذه الإرادة ليست إرادة، إنها تنعكس فى إرادة الآخرين وهى بهذا الانعكاس تختبر بالتالى تجسدها فى الإرادة الكلية وهذه الخبرة يصفها همرشولد باعتبارها حدسا intitution وهى كلمة تقود إلى معرفة القوة، القوة التى هى فى الحقيقة إرداة كلية ولكن أى نوع من الشعور؟ ليس هناك شك فى أنها قوة الحب: إن عبارة «الشعلة أو الومضة فى داخلنا» ترتبط بما سبق أن كتبه عن الإرادة الفردية والإرادة الكلية، إن الإرادة الكلية الشاملة هى التيار الذى يجمع كل الإرادات الفردية.

هذا التماثل والتوافق بين هذا المفهوم وبين فكر شفيتزر الرئيسى عن الحياة هو أمر واضح، فنقطة بداية شفيتزر هو تعبره «أنى حياة تريد أن تعيش فى وسط حياة تريد أن تعيش» ومن هذا يشتق شعاره: توقير الحياة. وكما أعاد أحد الكتاب صياغة هذه العبارة: إننى أتعرف على نفسى فى كل مظاهر الحياة تدريجيا نعيش فيها جميعا ولذلك أريد أن أراها وكأنها حياتى. إن لدى توقيرا لحياتي الخاصة ولذلك يجب أن يكون لدى توقير لحياة الآخرين» إن توقير الحياة يعني ويتطلب خدمة الناس. وفى هذه الخدمة فإن إرادة الحياة، الإرادة الخلاقة تكشف عن نفسها على أنها إرادة الحب، وإرادة الحب هذه كما تكشف عن نفسها الإنسان مظهرة القوة».

والإرادة الكلية للحياة وهذه الإرادة الخلقية العالمية هى «الله».

من هذا التماثل بين فكر همرشولد وفكر شفيتزر، إلا أننا نستطيع أن نتبين اختلافا بينهما حول وجهة النظر عن الإنسان فوجهة نظر شفيتزر عن الإنسان هى أكثر تفاؤلا من همرشولد وإن كان هذا لا يعنى أن وجهة نظر متشائمة. ففى رؤيته للإطار الشامل للحياة اكتشف هذه الومضة أو الشرارة فى داخلنا.. وعبر تأملاته. ورغم كل الشكوك والمحن، فقد ظل يحافظ على وجهة نظره الإيجابية تلك.

أما عن تأثير متصوفة العصور الوسطى على همرشولد فإنه من الواضح أنه إذا كان قد وجد عونا من شيفتزر فى موضوعات الأخلاق إلا أن العون الذى تلقاه من متصوفى العصور الوسطى وخبرتهم الصوفية كان فى مجال العقيدة والدين. ولم يكن همرشولد ينتسب إلى فكر شفيتزر عن المتصوفة حين كتب من كل صوفية الماضى يجب القول أن مضمونها الأخلاقى طفيف جدا إنها تضع البشر على طريق التأمل الباطنى ولكن ليس على طريق الأخلاق الحية». وكما نلمس من تعبيرات همرشولد عام ١٩٥٣ ساعده المتصوفة على أن يرى كيف يجب على الإنسان أن يعيش

حياة من الخدمة الاجتماعية النشطة وفى تناسق كامل مع نفسه كعضو فى مجتمع الروح «وهذا القول يجذب الانتباه إلى شيئين:

الأول أن همرشولد لم ينكر أن الصوفية كانت ضعيفة فى نقطة الأخلاق على العكس فإن الطريق من الصوفية إلى العمل الأخلاقى كان مباشرة وقد كان هذا هو التفسير الذى كرره وكان موضع تقرير فى كتابه وفى وصف همرشولد لما كانت نظرة الصوفية إلى الحياة تعنى بالنسبة له نجد بعض الكلمات التى تأكدت بشكل مؤثر فى كتابه إن العون الذى كان ينشده فى كتابات هؤلاء المتصوفة العظام للعصور الوسطى والذين كان «الاستسلام المطلق»، طريقا إلى تحقيق الإنسان لذاته» «والذين فى إخلاصهم لهدفهم وجدوا القوة لكى يقولوا نعم لكل مطلب واجههم به جيرانهم»، وأبعد من ذلك فإن الكلمة التى أسيىء استخدمها وتفسيرها كثيرا، الحب كانت تعنى بالنسبة للمتوصفة ببساطة تدفق القوة التى يشعرون أنها تملأهم حين يعيشون فى نسيان تام للنفس وهذا الحب نجد تعبيراً عنه فى الإنجاز غير المتردد للواجب والقبول غير المتحفظ للحياة، أيا كان ما يجلب عليهم هذا شخصيا من كد ومعاناة وسعادة ثم يختتم «إنى أعلم أن اكتشافاتهم حول قوانين الحياة الباطنية والسلوك لم تفقد قيمتها»

وثمة نقطة يجب التوقف عندها عند بحث علاقة همرشولد بتصوفة العصور الوسطى وهى المقتطفات التى استشهد بها ليس فقط بالمتصوفة المسيحيين ولكن أيضا بغيرهم من ذوى المذاهب والمعتقدات غير المسيحية.

فمع إشارته إلى العون الذى قدمه متصوفة العصور الوسطى المسيحيون فى إعادة اكتشاف العقيدة المسيحية للإيمان المسيحى، فقد أشار أيضا مؤلفين غير مسيحيين بعضهم متصوفة مثل إشارته للصوفى الاسلامى ابن الرومى وقوله «إن محبى الله ليس لهم دين إلا الله وحده» كما نعثر لديه على بعض المقتطفات من كتاب صينيين قدماء وبعض

التعبيرات من اليونانية القديمة. فماذا تعني هذه الإشارات بالنسبة لهمرشولد؟ أو في سياق أوسع وأكثر دقة ما الذي تكشف عنه فيما يتعلق باتجاهه نحو الديانات غير المسيحية؟ في الإجابة على هذا السؤال فإننا بالتأكيد لا نحصر أنفسنا في الفقرات التي ذكرت آنفا، فقد أثار همرشرلد هذا السؤال بشكل مباشر وغير مباشر في عديد من النقاط. في اتجاهه نحو الديانات والثقافات غير المسيحية نستطيع أن نعثر على توضيح لذلك في اعتباره أنه ليس من الممكن ولا من المسموح به أن نرسم حدودا على أفعال الله في العالم فالله لا يتصرف فقط في الفضاء المسيحي، إن أفعاله تتسع للعالم وعلاماته يمكن الاستدلال عليها في كل مكان تسوده ديانات غير مسيحية. ولذلك ليس مصادفة أن يتضمن كتابه مقتطفات من ديانات غير مسيحية بل إن همرشولد قد بحث وبشغف عن تعبيرات يمكن أن تعلو على حواجز الديانات. وقد قوى هذا الاتجاه عمله كسكرتير عام للأمم المتحدة حيث نجد أن كل الاقتباسات من المصادر غير المسيحية تنتمي إلى هذه الفترة وهكذا فليس من المدهش بأية حال أن يبحث بشكل دائم عن صلات على مستوى أعمق مما تتيحه السياسة. وخلال سنواته في الأمم المتحدة كان لديه فرصة كافية لتكوين انطباعات شخصية عن الثقافات والديانات الأجنبية وسوف نعثر في كتاباته وخطبه والعديد من خطاباته لأصدقائه على توقير هذه الثقافات والديانات غير المسيحية. نجد ذلك بوجه خاص في خطاب لصديقه بموسكو والذي استعاد فيه رحلته عام ١٩٥٩ إلى شرق آسيا، فالاتجاه نحو الحياة الذي التقى به هناك كان خبرة جديدة: «خبرة عظيمة فإلى أي حد يبدو فن الحياه الآسيوي أكثر نضجا وحساسية إذا قورن بفن الحياة لدينا فوفقا لهذه النظرة عليك أن تقبل أن كل شيء هو وهم قبل أن تستطيع أن تسيطر على الواقع بسهولة وأناقة وجدية وسعادة» مثل هذه النظرة إلى الحياة كوهم من الصعب أن تكون مقبولة من رجل كان يبحث بقوة عن معنى الحياة، ورغم هذا فإن كلمات همرشولد عن الخبرة الآسيوية

ونظرتها للحياه تكشف عن تفتح وتعاطف من جانبه. وثمة استشهاد آخر نلمس منه اهتمام همرشولد إلي الثقافات والحضارات غير الغربية والدعوة إلي احترامها ففى خطاب له عام ١٩٥٩ فى جامعة لوند نجد أفكارا مميزة لهمرشولد ووجهات نظره التى غالبا ما أكدها. فقد عبر عن امله فى أن يتوجه أبناء الحضارة الغربية إلى الدول الأقل حظا فى آسيا وأفريقيا بهدف واحد فقط هو خدمة هذه الشعوب وقال «إنهم يستطيعون أن يفعلوا ذلك بوعى بثروات ميراثهم الثقافي وكل ما تدافع عنه أوربا، ولكنهم يجب أن يفعلوا ذلك أيضا بوعى إن أفضل وأسلم طريق لا ستمرار هذا الميراث التاريخى هو أن يلتقوا بالشعوب الأخرى والثقافات الأخرى باحترام متواضع للمنح الفريدة والتى قدموها بدورهم ومازالوا يقدمونها. إن عليهم ان يتيقنوا ان من علامات ومستوى الحضارة أن تكون حقا قادرا على الاستماع والتعليم والاستجابة بطريقة، ومساعدة الشعوب الأقل حظا»، مع هذه التأثر الواضح بالصوفية وشخصياتها والتى انعكست بوضوح فى تأملات همرشولد هل يمكن أن نعتبر أن همرشولد نفسه كان صوفيا؟ يقول: «إنه بالنظر إلى غموض معانى الصوفية فلن يكون من السهل الإجابة على هذا السؤال إجابة قاطعة بنعم أولا، غير أن الشيء الهام بالنسبة لنا نتيجة لذلك هو أن لا ندعى ما إذا كان صوفيا أم لا ولكن أن نستكشف ما الذى كانت يعنيه المتصوفة بالنسبة له. لقد أبلغنا همرشولد بوضوح أن - المتصوفة المهمين بالنسبة له كانوا «المتصوفة العظام للعصور الوسطى» كما قال بوضح إن العون الذى قدموه له قد أدى إلى فهم افضل للإيمان المسيحى، ولن يكون مدهشا إذا ما اعتبرنا أن العلاقة بين الصوفية والعقيدة المسيحية كانت علاقة هزت هذا الجانب. فليس هناك، من ناحية أدنى شك أنه فى مجرى التاريخ فإن الحركات الصوفية قد اعادت وفى أكثر من مناسبة إحياء جوانب مركزية أساسية من الإيمان المسيحى والتى كانت قد كبتت بشكل كامل فالصوفية مثلا كانت قد اكدت دائما الحياه مع الله

باعتبارها مركز الإيمان كما أن كتب متصوفة العصور الوسطى وخاصة توماس كمبيز Thomas âkempis . قد اعتبرت عبر العصور مرشدا صوفيا أو قيمة وقد استخدمها واستعان بها همرشولد كثيرا. غير انه من ناحية أخرى لا يمكن إنكار أن الصوفيه قد ادت فى بعض الأوقات إلى تآكل فى القصيده المسيحية.. على أية حال فإنه بالنسبة لهمرشولد فإن الصوفية قد قدمت له طريقا متقدما نحو الإيمان المسيحى، وهنا تبدو كلماته فى عام ١٩٥٣ ذات اهمية «إننى أعلم أن اكتشافاتهم عن قوانين الحياة الباطنية والفعل لم تفقد اهميتها ومن الواضح أن هذا يعنى أن همرشولد لم يعتبرأن العون الذى تلقاه من المتصوفة يمكن ينتهى بمجرد تحقيقة لفرصة، على العكس فإن اكتشافات المتصوفة تتضمن عناصر عن رؤى جديدة وجوهرية كى يجب ان تتذكر إن كان بطريقة ما مستعدا لتلقى هذه الرسالة المحررة، فقد ذكر فى كتاباته المبكرة إننا نلتقى أكثر من مرة فكرة أن الإيمان بالله يجب أن لا يكون شيئا أكثر من مجرد الموافقة الفكرية على وجود الله كما يجب أن تكون أكثر من مجرد «مشاعر» بشرية، وهكذا ما اكتشفه همرشولد فى صلاته مع متصوفة العصور الوسطى كان مصححا لمفهوم فكرى عن الإيمان، وبهذا المعنى لا يمكن إنكار أن المتصوفة كانوا عنصرا هاما خلال الفترة التى كانت تنمو فيها سرا قول همرشولد نعم لله، كما أن تأثيرهم عليه لم يكن قاصرا على فترة زمنية. وحين يتحدث همرشولد عن اكتشافات المتصوفة فإن فى ذهنه ليس فقط «الحياة الباطنة»، «العقل» ولكن أيضا العلاقة بين الجانبين والقوانين التى تحكمها. وقد رأينا كيف فسر همرشولد المتصوفة بطريقته الخاصة واقترب منهم بمفاهيمه المسبقة الدقيقة وتوقعاته وربما ما هو مثير للانتباه بشكل أكثر هو تأكيده على دور العمل والسلوك متصوفة العصور الوسطى، وبما كان هذا نابعا من يقينه فإن الحياة يجب أن تستخدم فى خدمة الآخرين.

إن تأثيرهم عليه قد استمر عبر سنوات حياته؟ فى دراسة التأملات يجد القارئ أن معظم الاقتباسات من المتصوفة كانت ما بين ١٩٥٥ - ١٩٥٦ وقبل هذا الوقت كان هناك القليل منها: واحدة كل عام. مثل هذه الإحصاءات تشير إلى أن تأثير المتصوفة عليه وصل القمة فى منتصف الخمسينات.

غير أن هذه النتيجة قد تكون متسرعة ذلك أننا نعثر فيما بعد ١٩٥٨ على فقرات تدل بوضوح على استمرار تأثير الصوفية.

فإذا انتقلنا إلى جانب هام فى تطور همرشولد الروحى وبشكل خاص الأسئلة المحيرة التى ميزت أزمته الدينية الطويلة وصراعاته مع نفسه وكيف انعكست فى كتاب تأملاته فسوف نجد أن هذه الأزمة قد دارت حول ثلاث قضايا هامة :-

١ - التمركز حول الذات أو الأنانية **Self Centeredness**

٢ - الوحدة **Lonéliness**

٣ - فقدان الحياة للمعنى **Meaningless of life**

وبداءة فيجب الانتباه إلى أنه من وجهة النظر الخاصة فقد كانت هذه السنوات سنوات ازدهار شخصى حيث تقلد همرشولد بسرعة فى المناصب الهامة حيث أصبح فى النهاية وزيرا فى الحكومة السويدية وكانت قدراته على التعامل بشكل فعال مع القضايا الصعبة معروفة ومقدرة بشكل واسع، ولم يكن يتصور أنه فى نفس هذا الوقت تكون الحياة الباطنية لهذا الرجل المحظوظ والمصقول كالبحر الهائج. والحقيقة ان هذه القضايا الثلاث لم يكن من الممكن فصل إحداهما عن الأخرى فهى تنتمى إلى بعضها البعض بشكل حميم وتلقى ظلالها على بعضها البعض ومع هذا فإن كلا لديها ما تقوله حوله المشكلة الكلية التى عنت صاحب المذكرات.

فإذا ما حللنا باختصار كلا من هذه القضايا اتصالا بأزمة همرشرلد الروحية كما بدت في تأملاته فسوف نجد أن فيما يتعلق بالقضية الأولى فإن بين العناصر التأسيسية لحياة همرشولد مطلبه الحاد أو ما وصفه نفسه «جوعه» للاستقامة الخلقية Righteousness ونفاذ الفكر وفي إطار هذا الجوع امتهن نفسه وكانت النتيجة نقدا ذاتيا قاسيا لا يلين. وتظهر صفحات قليلة من تأملاته نوعية نقده وتشير إلى تركيزه على الأنانية وتمركز الإنسان حول ذاته، وهو يشعر بإصرار بالحكم على ذاته «يوما بيوم / أنت تعاني من الكرب / الكرب تحت حكم غير منطوق / يهدم حياتك / بينما سقطت أوراق النباتات في جنة الأحمق» وعنده أن الأنانية تقتل المشاعر نحو الآخرين «هل لديك حقا مشاعر نحو أي فرد او أي شيء فيما عدا نفسك؟ فبدون قوة الالتزام الشخصي فإن خبرتك عن الاخرين هي خبرة في أكثرها جمالية ومع هذا فإن هذه الخبرة المشوهة تصلك بجزء من الواقع الروحي الذي يكشف عن فقرك التام».

أما عن قضية الوحدة فإن فقرات كثيرة من التأملات تتحدث عن الجوع للرفقة والمشاركة. «الجوع للاستقامة الخلقية والمشاركة القائمة على هذه الاستقامة وتتحقق فيها» فاعتراف همرشولد بوحدته يجب أن يرى من جوانب مختلفة كانت إنسانية بشكل عميق نبذ الزواج، العلاقات الاجتماعية والأصدقاء وفيما يتعلق بمسألة الزواج ورفضه الارتباط به فقد بدا في عام ١٩٥٢ حاسما في هذا الشأن:

بعدم القدرة على عميق الرغبة

وشعورا بأنه ليس من حقي التطفل على الآخر

وخجلا من أن أكشف عريي الخاص

وتوقعي لتوافق كامل كشرط للحياة معا

فكيف يمكن للأمور أن تسير بطريقة أخرى؟

هنا يتحدث همرشولد عن خجله وبدون شك فإن نوعا ما من الخجل والتحفظ هو جزء من طبيعته، ومع هذا وفيما يتعلق بالعلاقات الإنسانية فإن معنى وحدته هى مسألة معقدة. فهو بالتأكيد يفتقد بقوة الأشكال العادية للعلاقات والصلات الاجتماعية، ولكن هذا لا يعنى كما سبق أن أشرنا أنه كان ضد الحياة الاجتماعية وبدون صداقات، فهناك العديد من الشواهد على عكس ذلك بل وشواهد على قدرة رائعة على التواصل الاجتماعى كما لم يكن لديه صعوبة فى التعامل مع زملائه فى العمل حيث وجد العديد منهم الذين اعتبرهم أصدقاء بالمعنى المألوف للكلمة ومن ثم تميزت حياته بصداقات حميمة. غير أنه من ناحية أخرى فإن توقعه من الصداقة التى كانت تستحق اسمها ومعاييرها عنده كانت بعيدة المدى وتتطلب مستويات من الصعب تلبيتها ومما له أهمية أنه تم التحدث أبدا بشكل مفتوح مع أى أحد فيما عدا Lief belage والذى ائتمنه على مذكراته وتحدث معه عنها ومحتوياتها بشكل موجز فيما كتبه منها كان سرا احتفظ به لنفسه. وهكذا فإن وحدته كانت وحدة مختارة.

ومع هذا وبلغة معنى الوحدة فى التأملات فإنه من المؤكد أنه ليس كافيا أن نأخذ فى الاعتبار العلاقات الإنسانية فقط، ففى الحقيقة فإن وحدته لها جذور أكثر عمقا. فهى يمكن أن توصف بأنها وحدة كونية أو بشكل أكثر تحديدا وحدة تتعلق بالوجود فى مجموعه:

أطول رحلة

هى الرحلة إلى الباطن

لمن اختار مصيره

الذى شرع فى البحث عن ضالته

وعن مصدر وجوده

(وهل هناك مصدر)

فما زال معك

ولكن دون علاقة

معزولا فى شعورك

مثل إنسان مقضى عليه بالموت

أو من وداعه الوشيك

الذى تكرس قبل الأوان

للوحدة والتى هى المصير النهائى لكل شىء

وواضح ما تحمل هذه الفقرة من يأس. ومع هذا هناك فقرة تنتمى لنفس الفترة الزمنية وتبدو أكثر إيجابية «إنه واحد من الذين يتخذون القفر كوسادة ويعتبر النجم شقيقه، وحيدا، ولكن الوحدة يمكن أن تكون مشاركة وصلة حميمة» وحديثة يمكن أن يكون عن نفسه أو عن شخصية تخيلها، ومع هذا فإن تأمل همرشولد الآخير عن الوحدة عام ١٩٥٢ يقول «إن الوحدة ليست المرض حتى الموت ولكن هل يمكن علاجها إلا بالموت»

أما عن مسألة الحياة والبحث عن معناها أوعدم جدواها فقد كانت أحد ملامح تأملات همر شولد خلال فترة أزمته الروحية هو صراعه الشاق للبحث عن معنى للحياة. فى هذه الفترة كان همرشولد حين يقرأ عن أشخاص منذ زمن طويل يترجم ويرى التاريخ فى ضوء حضوره الخاص.. «اننى اقرأ عن أنفسنا كيف سنكون حين نصبح ماضيا. وحيث سنبدو كأغبياء وحمقى ودمى متحركة أنانية تحركها خيوط مزدحمة تتعقد من

وقت لآخر.. انه ليس كاريكاتيرا الذى أراه فى المرآة المشوهة للبحث التاريخي وإنما ببساطة الدليل على أن كل شيء كان مجرد خيلاء»

ومن الطبيعى أن يؤدى شعورا قويا بعدم جدوى الحياة إلى اليأس ويثير دافعا نحو تدمير الذات والانتحار. ولكن همرشلد رفض هذا المخرج واعتبره «خيانة إن التعب يجعل الألم باهتا ومعتما ويثير أفكارا تغرى بالموت ويبدو أن هذا هو الطريق الذى يغريك للتغلب على وحدتك والهرب النهائى من الحياة لاقد يكون الموت هو منحتك النهائة للحياة، ولكنه لا يجب أن يكون عملا من أعمال الخيانة ضدها» وهكذا فإن حزن تأملاته عن فراغ الحياة لا توقفه عن نشدان المعنى رغم وعيه الشخصى بسخف ما يطلبه:

«ان ما أطلبه سخيف.. إن يكون للحياة معنى وما أجاهد من أجله مستحيل أن تكتسب حياتى معنى لا اجرؤ على الاعتقاد أنى لست وحيدا» مثل هذه الأسئلة جعلته يعتقد أنه يبعث على السخرية، إنه من الأمور المثيرة للسخرية أنه يبحث إنسان فى العشرين من عمره على معنى للحياة، إنه لا يعرف ماالذى يتحدث عنه. «والآن وفى السابعة والأربعين من عمرى فإنى أشعر أنى مثير للسخرية وأن إدراكى لذلك يمنعنى من ان اضع ذلك على الورق».

كانت هذه هى كلمات همرشولد الأخيرة حول انعدام المعنى منذ هذا الوقت حين لم يكن يرى أى معنى للحياة على الإطلاق .

وواضح أن هذه الفقرات من تأملاته تكسب معنى قائما بل وتبدو وفى بعض الأحياء سوداء كالليل ومع هذا ثمة ألوان أخرى تبدو وفى التأملات خلال هذه الأزمة. وبداءه فانه يجب ملاحظة أن همرشولد لم يفقد أبدا اليقين حول مثله الاخلاقية ومتطلباتها فالإحساس القديم بالواجب والالتزام الذى لا مهرب منه بخدمه البشر والوعى الدائم بالمسئولية كانت دائما

مطالب صارمة لا تهتز ولم تكن أية موضع شك أو تساؤل، وهنا هذا فإنه في نفس الوقت ومن وجهة دينية فإن هذه السنوات كانت سنوات نضال وشك تميزت مثلما ذكر بعد ذلك «بجهد دائم وبشكل صريح ومباشر لبناء اعتقاد شخصي في ضوء الخبرة والتفكير الأمين، وتقودنا التأملات الى استنتاجين فيما يتعلق بهذا الجهد: لقد كان همرشولد واعيا تماما بما يعنيه الإيمان بالله وما لا يعنيه وأكثر من ذلك لم يكن الأمر يخلو من ومضات من الضوء تخترق كآبة عذابه وان كانت هذ الومضات يلحق بها علامات استفهام وتمتلك بلاغة ملفتة للنظر.

ثمة علامتان رئيسيتان في تطور همرشولد الروحي ونضجه الفكري نراها قد انعكستا بوضوح في تأملاته وفي التعبير عنها والتي تستطيع من خلالها رصد هذا التطور وتتبعه. العلامة الأولى هي قوله «نعم» واستجابته لله وللضمير وللمصير، أما العلامة الثانية فهي تكريسه لحياته لخدمة الآخرين وتفانيه في هذه الخدمة والعثور على شيء يعيش من أجله وعظيم بما فيه الكفاية يموت في سبيله».

وفي تتبع العلامة الأولى فسوف نجد أن تعبير نعم ظهر للمرة الأولى في ليلة رأس السنة عام ١٩٥٣ وبدأ مادونه عن هذا اليوم باقتباس من ترنيمة سويدية معروفة جيدا سبق أن استخدمها في رأس السنة في أعوام سابقة وسوف يستخدمها مرة أخرى في بدايات عام ١٩٥٤ وحتى عام ١٩٥٧، وتقول هذه الترنيمة «الليل يسدل استاره تقريبا» ومن الصواب والاعتقاد أن هذه الترنيمة ليست ترنيمة عادية لمساء إنها أكثر من ذلك تأمل في سرعة زوال الحياة.

إلى أي مدى يبدو المظهر الخادع للانغماس في شئون الدنيا

إلى أي مدى قصر أفراحها ومسراتها

إن الليل يقترب الآن عجبا

إننا نترك كل كنوز الأرض

بعد استخدام هذه الترنيمة المعروفة يواصل همرشولد «لكل ما كان شكرا ولكل ما يكون نعم»، وهنا يبدأ لحن جديد فى الكتاب. فى السنوات الماضية فى النغمات السائدة كانت تلك التى تتعلق بالصراع واليأس ورغم وجود بعض التلميحات المضيئة فإن الموقف الآن مختلفا فشكره للماضى وقوله نعم لما سوف يأتى يعنى أنه قد عبر الحدود وان وقتا جديدا قد حل. وفى عام ١٩٥٤ علق همرشولد على الكلمات التى دخل بها عام ١٩٥٣ فبعد تأكيد لخبرته التى اكتسبها حديثا فقد كتب «شكرا لهؤلاء الذين علمونى شكرا للأيام التى علمتنى هذا» ويكرر همرشولد من الآن نعم كثيرا إنها نعم لله ولكن أيضا لنفسه وللحياة والمصير ويلخص ذلك «نعم لله نعم للمصير ونعم لنفسك» ونعم لله هى الحاسمة وهذه تتضمن العنصرين الآخرين فنعم لله تعنى الإيمان بالله ويقدم تعريفات للإيمان يستمد بعضها من القديس جون:

Saint John Of the Gross

«الإيمان هو اتحاد الله مع الروح «الإيمان ومالم يسمع عنه» «ان يكون فى ايدى الله»

أو «تحت ايادى الله» وتتكرر هذه التعريفات عدة مرات فى الكتاب ومن الكلمات التى تتكرر أيضا أتصالا بذلك السكون Stillness والصمت Si-lence ففى السكون يلتقى الله بالروح فروح الله حاضرة فى السكون.

وخلاصة القول فإنه لا يجب أن ننسى أن قول همرشولد نعم للمصير انما هى متضمنة فى قوله نعم لله غير أن هذا لا يعنى أن علينا أن نرى كل حدث كانعكاس لارادة الله فهناك ايضا قوى مدمرة فى دراما الوجود ففى

كل حدث فى الحياة هناك معنى يقدمه الله لكى يتحقق الإنسان بهذا المعنى، أن نقول نعم للمصير هو ان نقول نعم لله وإرادته. وهكذا تصبح الحياة ذات معنى والمصير ليس قدرا باردا بلا معنى وتكتسب الحياة معنى حين يرى المصير كانعكاس لإرادة الله ويجرى باختيار الإنسان.

أما التكرس والتفانى فى خدمة شىء يعيش من أجله الإنسان فتستطيع أن تتبعه فيما سجله همرشولد عام ١٩٥٢ «صلى لعل وحدتك قد تحفزك على أن تعثر على شىء تعيش من أجله عظيما بما فيه الكفاية لكى تموت فى سبيله».

وبالنسبة لهمرشولد لم يكن فى حاجة إلى حافز لأن رغباته قد تحققت بدون جهد خاص من جانبه. فبدون توقع تلقى مهمة خاصة واستثنائية والتى حركت بالفعل إحساسا عميقا بالتكرس والتفانى والإخلاص فى لمثل اعلى. وقد سبق أن أشرنا إلى ردود فعله المباشر على تعيينه سكرتيرا عاما، وعند سفره لتسلم المنصب لم يكن لديه خبرة أو تجربة لما يعنيه أن يكون سكرتيرا عاما للأمم المتحدة. فى هذا الشأن لننظر فيما دونه فى كتاب تاملاته منذ عام ١٩٥٠ وما يكشف بوضوح عن اتجاهه نحو ما دعى لأدائه: تضحية وتحرير حيث «أنا» ليست هدفا بأية حال: التفانى، الجزاء، أو الثمن. إن تلتزم بمهمة بما لا أستطيع أن أطلب شيئا ذا قيمة لنفسى». إن هذه العبارات تظهركيف اقترب همرشولد من مهمته: شعوره الباطن بأنه مدعو للقيام بعمل ونتيجة لذلك يشعر بالاستسلام الكامل والذى هو تحرر فى نفس الوقت. إن نفس الشعور القوى بالتفانى والذى يبدو فيما دونه عن الأمم المتحدة«إنك مكرس لهذه المهمة ولكن عليك أن تعطى نفسك لهذا الحلم الإنسانى ومن أجل أن يتحقق فى الواقع». وبعد ذلك بعامين ووسط فترة ولايته الأولى كسكرتير عام لم يتغير اتجاهه نحو مهمته ولكن الاذن الصاغية أن تسمع شيئا له نغمة جديدة تحث على عدم الشكوى للشخص

الذى يعكس قدرات الإنسان غير العادية ومسئولياته ليس هناك عذر إذا ما فقد شعوره بأنه دعى، ولكن اذا ما حافظ على هذا الشعور.. فأن كل شيء يستطيع ان يفعله يصبح له معنى ولا شيء له ثمن، ولذلك اذا اشتكى فانه إنما يدين نفسه». واتصالا برؤية همرشولد للمنظمة الدولية واعتبارها «خلق ضعيف من صنع يد الانسان»، فإنه يفصل ذلك فى تأملاته «خلق ضعيف نعم ولكن أعظم ما خلقته البشرية. حلم البشرية أعظم خلق للبشرية، والذى هو انبل حلم للفرد ـ ان يفقد نفسه وان يستقبل الموت والإذلال بسرور إذا كان ذلك هو ما يتطلبه الحلم». وعند نقطة أخرى يوضح همرشولد التناقض فى ضعف المنظمة وعظمة هدفها، فى ضوء هذا تتأكد مسئوليته: «إن ما تخدمه هو فكرة، فكرة يجب أن تنتصر اذا ما كانت البشرية تستحق أن تبقى، إنها هذه الفكرة التى يجب أن تساعد على انتصارها بكل قوتك». وحين يفكر همرشولد فى طبيعة مهمتة فإنه ركز أكثر على مسئوليته وبشكل يتفق مع ماورد فى الإنجيل إن من يأخذ الكثير يطلب منه الكثير. ورغم أن عظمة مهمته لا يمكن إنكارها إلا أنه لا يفاخر بها إنها فقط تتطلب مسئولية أعظم. انه لا يعتبر أن عمله أرفع من عمل الآخرين: إلى أى مدى تفضل الآلهة ذلك الذى اختبرت شخصيته فى موقف كان للشجاعة معنى بالنسبة له... وان القليل الذى يعمله حول ضعفه الكامن وبأى سهولة يمكن أن يقع فى الشرك ويعميه الزهو بالنفس»، ويعود همرشولد دائما إلى هذا الموضوع: «أن الشيء الحاسم هو كيف يتصرف الإنسان ليس فى الظروف الخارجية لحياته: سوف تجد فى خضوعك واستسلامك أن حياتك قد فقدت كل معناها بغض النظر عن ماتمنح لتحقيقها».

وحين نستعرض سنوات همرشولد كسكرتير عام للأمم المتحدة فهل نلاحظ أى تغيير فى اتجاهه نحو مهمته وعمله؟ بشكل رئيسى فقد ظل

اتجاهه هو نفسه خلال هذ السنوات حيث نجد دائما نفس الشعور بالمسئولية ونفس الشكر للمهمة التى أوكلت اليه. وسوف نجده يدون فى تأملاته فى راس سنة عام ١٩٥٩ ما يمكن اعتباره كلمة السر «الاعتراف بالفضل» إنك تحصل على كل شيء مقابل لا شيء لا تتردد إذا ما طلب أن تعطى كل نفسك والتى هى فى الحقيقة لا شيء.

كما نجد دائما ميله للنقد الذاتى ، ودائما يتقرب إلى الله بالعرفان بالفضل كلما اتخذت خطوة نحو سلام البشرية. وفى النهاية كان يعتبر أن كل عمل طيب عمل الله نفسه حيث الإنسان فقط ليس إلا أداة، وليلة عيد الميلاد عام ١٩٥٦ كتب «إن جهودك الذاتية ليست هى التى تنجز الأمور انه الله وحده ولكن ابتهج إذا ما استخدم الله جهودك فى من أجل غاياته. ابتهج إذا ما شعرت أن .. فعلته كان ضروريا ولكن تذكر عندئذ أنك كنت ببساطة الاداة التى اضاف بها حبه صغيرة نحو الكمال الذى خلقه لأغراضه الخاصة».

وثمة نقاط فى الكتاب تعكس وجهة نظر همرشولد فى الإنسان وكيف كان يشعر بالحزن من المؤامرات وصراع القوة والمكائد التى تميز عالم السياسة وقد كتب فى هذا بإخلاص واضح: أن يعيش غارقا فى هذا السيل الثقيل هو أدنى من مستوى البشر فى الرؤية والشعور والطاقة.. كن حذرا من خطر مزدوج، خطر الغرق والطفو ومن الحط بنفسك من أن يبدو هذا الوضع هو الوضع الطبيعى وأن ترفع رايتك فى فراغ من التفوق. والحقيقة أن مواقف مثل الحب والصبر والاستقامة والتواضع ضرورة من اجل سلامتك وعزائك». وقد حارب همرشولد على الأقل فى صلواته ضد كل ميل نحو احتقار الآخرين وكان هدف من يؤدى الصلاة هو ان يحب الحياة والبشر كما يحبهم الله ومع هذا ورغم معتقداته العميقة وثقته فإنه لا يمكن إنكار أن وجهة نظر همرشولد عن الانسان قد اكتست ظلالا أكثر قتامة

خلال سنواته الأخيرة. فى هذه السنوات نعثر على إشارات إلى هذه الظلال وبالشك فى القدرة على تحمل صحبة الآخرين والاجهاد والتعب والحديث عن المكائد

متعب للغاية لكى أكون فى رفقة الآخرين

أن تنشد الوحدة إنك متعب للغاية للتلائم

ورغم طاقته الضخمة على العمل وما كان مطالبابه من العمل ليلا ونهارا وقدر ضئيل من الراحة فإن أكثر السطور تعبير عن تعبه وضعها على الورق فى يونيه عام ١٩٦٢:

متعب

ووحيد

متعب للغاية

إن التعب يوجع

وقطرات الماء الذائبة تسيل برفق

تحت الصخور

والأصابع تتخدر

والمفاصل ترتعش

إنه الآن .

الآن لا يجب أن تستسلم

على طريق الآخرين

ثمة أماكن للراحة

أماكن فى الشمس

حيث يمكن أن يلتقوا

ولكن هذا

وهو طريقك

وإنه الآن

الآن يجب أن تسقط

ابك

اذا استطعت

ابكى

ولكن لا تشكُ

إن الطريق قد اختارك

ويجب أن تكون ممتنا شاكرا

ومنذ عـام ١٩٥٢ وكلمـات همرشـولد تدوى «شـيئـا تـعيش من أجله وعظيما بما فيه الكفاية لكى نموت فى سبيله». وتظهر تأملاته أن أفكاره دائما ما تحركت نحو موضوع الموت وخلال سنوات أزمته كان الموت يغريه ومع ذلك وبدون تردد رفضه واعتبره خيانة للحياة. وليس ثمة دلالات أنه كان بالضرورة يخشى الموت فقد كان يعلم دائما أن المهمة التى عهدت إليه تتضمن التضحية وفى سنواته الأخيرة كان دائما يركز على هاجس أن يكون الموت هو التضحية. وفى نهاية عام ١٩٥٧ نجد سلسلة من

المدونات فى تأملاته تعالج الموت: «لاتبحث عن الموت فسوف يعثر الموت عليك ولكن ابحث عن الطريق الذى يجعل الموت انجازا». ويؤكد فى ثانية «ان الجسد يحب إن يكون فى ألفة مع الموت كشئ بديهى وشيك وخطوة محايدة وعاطفية على الطريق الذى وجدت أنه جدير بحياتك». ويركز فى فقرة ثالثة على حقيقة «أن الموت يجب أن يزخرف كعنصر فى التضحية أن الموت هو إنجاز ولكنه دائما تفسخ وهو ابدا ليس سموا». وفى مدونة أخرى تركز على ضرورة أن تكون دائما مستعداً للموت «فى التحليل الأخير فإن مفهومنا عن التضحية (الموت فى الترجمة الإنجليزية) هو الذى يقرر إجابتنا على كل الأسئلة التى يضعها أمامنا وهذا هو السبب فى أنها تتطلب مكانها ووقتها الملائم»

ومن المستحيل أن لانقرأ إشارات همر شولد الأخيرة كما وردت فى تأملاته عن الموت باعتبارها نذيرا كئيبا لما سوف يقع قريبا ولكن همرشولد لم يكتب هذه الإشارات فى مثل هذا الإطار الفكرى، فهذه الصفحات لاتشى بالقلق والعصبية أو التردد. ففى نهاية عام ١٩٥٩ كتب «أن الفصل قد أغلق/ لاشىء يربطنى/ كل شىء جاهز وعلى استعداد». وفى بعض أبيات الشعر المؤرخة فى ٧ يوليو ١٩٦١ نقرأ:

إذا ما سئلت إن كان لدى الشجاعة

لكى اذهب إلى النهاية

فسوف أجيب بنعم

وبدون أن أفكر مرة ثانية

وفى يونيو عام ١٩٦١ قرر بهدوء تام» أن آخرين قد رحلوا من قبل وآخرين سوف يتبعونهم «وسبق هذا مباشرة قوله:

ماذا لدى لأخافه

إذا ما أصابت سهامهم

ماذا فى ذلك

لكى تبكى عليه

ويبدو فى هذه الخطوط ثبات تفكيره

بالنسبة لمن يمتلك الإيمان / فإن المعجزة الأخيرة

ستكون أعظم من الأولى

وترتبط الفقرات السابقة بما كتبه كذلك «حين أفكر فى هؤلاء الذين سبقونى أشعر أنى كنت فى حفل فى الساعة التى تفتقر إلى البهجة والحياة والتى يجب أن تستمر بعد أن ينصرف ضيوف الشرف» وقوله «حين أفكر فى هؤلاء الذين سيأتون بعدى أو يعيشون بعدى أشعر بأنى أشارك فى الاستعدادات لحفل لن أشارك فى أفراحه»

ويقول بعض المعلقين عن حق أنه ليس هناك فى هذه العبارات ما ينبئ عن بهجة عيد الفصح ولكن تبدو العبارة الأولى غريبة حقا كما أن من الصعب أن نعرف من هم ضيوف الشرف، ذلك أن من الواضح أن همر شولد لم يكن يقدر بشكل كبير المستوى الروحى للجيل الحاضر. ومع هذا فإن الجملة الثانية عن الحفل السعيد المتوقع تنبئ بنظرة متفائلة عن المستقبل والتى لم تكن لتصدر عن فكر مكتئب وحزين ورغم هذا فإننا حين نختبر نظرة همر شولد فى سنواته الأخيرة من خلال بعض الأبيات القصيرة عام ١٩٦٠ سنجدها تشهد على ثقل عبئه وقوة روحه فى آن واحد:

الطريق
الذى تستسلكه
المرح
الذى سوف تنساه
الكوب
الذى سوف تفرغه
الألم
الذى سوف تخفيه
الحقيقة
التى ستقولها
النهاية
التى سوف تتحملها

- لاتنظر إلى أسفل لكى تختبر الأرض قبل أن تخطو خطوتك الثانية .. إن من يحتفظ بعينه مثبتة على الأفق البعيد هو وحده الذى سيجد طريقه الصحيح .
- لاتقيس أبدا ارتفاع الجبل حتى تكون قد وصلت إلى القمة عندئذ سوف ترى كم كان منخفضا.
- إن ما يجب أن تفعله هو أن تكون نفسك وما يجب أن تصلى من أجله هو أن تكون مرآة سوف ينعكس عليها عظمة الحياة وفقا لدرجة نقاء القلب التى وصلت إليها.
- إن لم يكن هدفك قد حددته أكثر أشجانك تكتما فإنه حتى النصر سوف يجعلك فقط تشعر بشكل مؤلم بضعفك.

- إننا نحمى نقمتنا فى داخلنا: إن إعجاب الأمس بالنفس هو الأب الشرعى لشعور اليوم بالذنب

- إن الطريق الصعب هو أن تعجب من أجل الآخرين من أجل أن تنقذ روح الإنسان إن الطريق السهل فهو أن تعيش للآخرين من أجل أن تستعيد احترام الإنسان لنفسه.

- إنك لاتستطيع أن تتلاعب بالجانب الحيوانى فيك دون أن تصبح كلية حيوانا أو تتلاعب بالزيف دون أن تفقد حقك فى تحقيقه أو تتلاعب بالقسوة دون أن تفقد حساسية عقلك. إن من يريد أن يحتفظ بحديقته منظمة لايجعل فيها مكان للأعشاب الضارة.

- مثل النحل نحن نستقطر السم من العسل للدفاع عن نفسنا أما ما يحدث للنحلة عندما تستخدم لدغتها فهو أمر معروف تماما.

- هل مازال لديك حقا مشاعر تجاه أى شخص أو أى شىء فيما عدا نفسك؟ بدون قوة الالتزام الشخصى فإن خبرتك عن الآخرين هى الأكثر جمالية ومع هذا واليوم فإنه حتى ومثل هذه الخبرة المبتورة تجعلك على صلة بجزء من الواقع الروحى الذى يكشف عن قصدك الكامل

- إن ما يجب أن يحدث يجب أن يحدث وفى حدود «يجب» هذه فأنت لذلك غير معرض للخطر

- ليس مسموح لك أن تختار إطارا معينا، ولكن ما نصنعه داخلنا هو من اختيارنا ومتروك لنا ومن يشاء المغامرة سوف يختبرها وفقا لمقدار شجاعته ومن يبغى التضحية سوف ينالها وفقا لنقاء قلبه.

- إن من يستحق القسوة هو فقط الذى يبررها كل يوم.

- الافتقار إلى الشخصية بكل سهولة نحن نخلط الخوف من الدفاع عن معتقداتنا، والميل بأن نكون أكثر تأثرا بمعتقدات الآخرين بأكثر من معتقداتنا ، بالحاجة للشعور القوى الناجح بأن نعطى أهمية كاملة لحجج الجانب الآخر. إنها لعبة الاستغماية حين يريد الشيطان أن يلعب على افتقادنا للشخصية فإنه يسميها تسامحا وحين يريد أن يحبط محاولاتنا الأولى أن نتعلم التسامح فإنه يسميها الافتقار للشخصية.

- ثمة نقطة يصبح بعدها كل شيء بسيطا ولايعود هناك بعد أى اختيار لأن كل ما راهنت عليه سوف يفقد إذا ما نظرت إلى الخلف إن الحياة تسير إلى اللاعودة.

- هل يجرؤ من هيأت له الظروف أن يدرك مصيره الحقيقى إن يرفضه لأنه ببساطة ليس مستعدا لأن يسلم كل شيء آخر.

- إن ما أطلبه هو ضرب من العبث أن يكون للحياة معنى وما أجاهد من أجله هو أمر مستحيل أن تكتسب حياتى معنى.

- إن أصعب الأشياء هو أن تموت بشكل صحيح وهو امتحان لايعفى منه إنسان ولكن كم عدد من ينجحون فيه؟ وأنت إنك تصلى من أجل القوة لكى تواجه الامتحان ولكن أيضا من أجل الرأفة من جانب الممتحن.

- هل قتامة عالمى انعكاس لفقرى أم لأمانتى. عرض من أعراض القوة أم الضعف؟ دلالة أننى قد ضللت طريقى أم أتبعه؟ هل يقدم اليأس إجابة؟

- إن الطيبة هى شيء بسيط للغاية أن نعيش دائما من أجل الآخرين وأن لانبحث ابدا عن منفعة ذاتية.

- إذا ما تمكنت فقط أن أنمو أكثر حرصا أو أكثر بساطة وأكثر هدوء وأكثر دفئا.

- إن مـركـزك لايعطيك أبدا الحق فى أن تسـيطر إنه فـقط يفـرض عليك واجب أن تعيش بشكل يجـعل الآخـرين يتلقـون أوامرك دون أن يشـعروا بالإهانة .

- إن الكرامة الحقيقية تلك التى لاتنتقص بلا مبالاة من الآخرين.

- إن أخطاءك فى الماضى تجعل علاقتك بالآخـرين صعبة حين يظهر لك الحاضر إنك يمكن أن تكررها.

- إن الصلاة متجسدة فى كلمات تخصص موجة طول دائمة التى يجب أن يستمر عليها الحوار حتى حين يكون فكرنا مشغولاً بأمور أخرى.

- إن المهمة تصبح واجبا من اللحظة التى تشك فيها أن تكون جزءا جوهريا من هذا التكامل الذى وحده يؤهل الإنسان بأن يتولى المسئولية

- احـتـرام الكلمـة هـى الوصـيـة الأولى فـى فـرع المعرفـة الذى يتـعلم منه الإنسان النـضج العقلى والعـاطفى والأخـلاقى، واحـتـرام الكلمـة بمـا يعنى توظيفـها واسـتـخدامـها بـعناية دقيقة ويحب قلبى لايعرف الفساد هو أمـر جوهرى إذا ما شئنا تقدماً للمجتمع أو للجنس البشرى، وأن تسيئ استعمال الكلمـة هو أن تظهر الاحـتـقار للإنسان إنها تقوض الجسور وتسمم الآبار ويجعل الإنسان يرتد عن طريق تطوره الطويل

- شجـاعـة اخـتـلافنا بدون أن تصبح غير مسئول أن تقبل ما يفرقنا بتواضع وكبرياء إنه «بالجديد» تنقذ البشرية أو تتعرض للخيانة.

- دوام الأشياء تعليق ساخر على ادعاءاتك بما تملكه.

- إن ثمـة عـلاقـة سـببـيـة وعـمـيـقـة بين قـمـة طـمـوح الإنسان وعـمـق سـقـوطه الممكن.

- افـعل مـا تـقـدر عليـه وسـوف تسـتـشـعـر المهـمـة بسـهـولة بين يـديك وبشكل

تستطيع معه أن تنظر إلى الإمام ونحو الاختبارات الأكثر صعوبة التى قد تكون فى انتظارك.

- حين نستبدل نضارة الصباح بفجر منتصف الليل، وحين ترتعش عضلات القدم تحت الضغط يبدو التسلق لانهاية له، وفجأة لن تسير الأمور كما تود عندئذ عليك أن لاتتردد.

- إن العفو هو الإجابة على حلم الطفل بمعجزة تعيد ما كسر إلى وضعه الكامل مرة أخرى وما لوث نظيفا من جديد. ويوضح الحلم لماذا نحتاج لأن يغفر لنا.... لماذا يجب أن نغفر وفى حضرة الله لاشىء يقف بيننا وبينه فقد غفر لنا ولكننا لانستطيع أن نشعر بوجوده إذا ما سمح لأى شىء أن يقف بيننا وبين الآخرين.

- قلق، قلق، قلق

لماذا؟!

لأنه حين تمنحك الظروف الفرصة لكى تخلق فإنك تقنع بأن تواجه مطالب اللحظة من يوم لآخر.

ولأنه بالحرص على رأ ى الآخرين الطيب والغيرة من إمكان أن يصبحوا مشهورين فقد أنزلت بنفسك إلى التساؤل عما سيحدث فى النهاية لما فعلته ولما أصبحت عليه وكيف يمكن للإنسان أن يكون ميتا خلف واجهة من القدرة العظيمة والولاء والطموح بورك فى قلقك كعلامة على إنه مازال هناك حياة فيك.

- «رجال الساعة» الواثقون جدا من أنفسهم والمختالين بيننا فى جلجلة نجاحهم واهميتهم كيف تدعهم يثيرونك، دعهم يستمتعون بانتصارهم على المستوى الذى ينتمون إليه.

- إن السؤال يجيب على نفسه:

أعتقد أننا يجب أن نموت بشكل لائق حتى يمكن على الأقل للدماثة أن تدوم .

- أن يحدث فحسب لرجل واحد وليس للآخرين غير أنه لايستطيع أن يدعى الفضل للمنح والمسئوليات التى خصصت له. إن المصير هو شيء لايجب أن نرغب فيه ولايمكن تجنبه.. إنه لغز غير مناقض للعقل لأنه يغنى أن العالم ومجرى التاريخ البشرى له معنى.
- كن ممتنا كلما أصبحت أفعالك أقل فأقل ارتباطا باسمك وكلما وطأت قدمك الأرض برفق أكثر.
- إن أكثر المآزق الأخلاقية خطورة حين ترغم على إخفاء الحقيقة من أجل أن تساعد على انتصارها ماذا كان هذا سيصبح فى أى وقت واجبا فى الدور الذى خصصه لنا القدر. فأى طريق ضيق سيكون طريقا فى كل الأوقات إذا كان لنا أن لانفنى.
- النجاح ؟ من أجل مجد الله أم من أجل مجدك من أجل سلام البشرية أم سلامك؟ على إجابة هذا السؤال تعتمد نتيجة أفعالك.
- علينا أن نحصل على سلام وتوازن الفكر وبشكل يمكننا أن نعطى كل كلمة فقط وزنها الصحيح وأن نشعر بالتواضع أمام كل عبارة مديح
- لاتنظر إلى الخلف ولاتحلم بالمستقبل كذلك فلن يعيد كل ذلك الماضى ولن يلبى أحلامك اليومية إن واجبك وخبراتك ومصيرك هنا والآن.
- لا تبحث عن الموت فسوف يجدك ولكن أبحث عن الطريق الذى يجعل الموت إنجازا .
- كعنصر فى التضحية فإن الموت انجازا ولكنه غالبا تفسخ وهو أبدا ليس سموا.

● ليس هناك اختيار لايتأثر بالطريق التى تنظر بها الشخصية إلى مصيرها والجسد إلى موته وفى التحليل الأخير لانه مفهومنا هو الذى يقرر إجاباتنا على كل هذه الأسئلة.

● هل تختار كلماتك بعناية كافية وإلى أى انطباع تتركه وهل تعتقد أنك كنت تحاول أن تتملق؟ أن أسئلة مثل هذه هى التى تبقى عليك يقظا. هل لم تعد واثقا أن ردود أفعالك الغريزية سوف ترشدك إلى الطريق الصحيح؟

فإذا كان كذلك فأنت تعلم لماذا لقد سمحت لجوعك «للعدالة» أن يجعلك واعيا بنفسك وبشكل فى أدائك لمهمتك لم تعد تنسى نفسك وهكذا. وهكذا فقط هل تجرحك آراء الجمهور.

● امتدح هؤلاء من نقادك والذين بالنسبة لهم لاشىء يرقى إلى المستوى.

المراجع

- The Servent of Peace, A selection of Speecnes and statements edited and introduced by: Wilder foote. London, 1962.

- Brian Urquhart, "Hammarskjold", Alferd A. Knof, New york, 1972.

- Joseph P. Lash "Dag Hammarskjold", Custodian at Peace", Double day & Companey, 1961.

- RIchard Miller, "Dag Hammarskjold and the crsis of Diplomacy" Oceane Publications, 1961.

- The quest for peace, : Dag Hammarskjold, Memomerial Lectureres" edited By: Andrew W. Cordier and Wilder Foote, Columbia University Press, 1965.

- Bo Beskow, "Dag Hammerskjold: Strictly Personal - A Portrait " New York, 1969.

- D A G Hammarskjold: "Markings", Translated from the swedish By: Liefsjober & s w. H Auden. Ballantine Books.

- Gustf Aulen, "Dag Hammarskjold White Book,: The Meaning of Markings" Philadiphia, 1969.

- Hamphrely trevelyan, "Ten months with Dag Hammarskjold" in, "Public and Private", Hamish Hamilton, London, 1981.

السفير الدكتور السيد أمين شلبى

- من مواليد ١٩٣٦

أولا :

حصل على الدكتوراه فى العلوم السياسية من جامعة القاهرة ١٩٨٠ .

ثانيا :

- التحق بالسلك الدبلوماسى عام ١٩٦١ .

- أسهم فى تأسيس معهد الدراسات الدبلوماسية عند إنشائه عام ١٩٦٦ ، وعمل فى إدارته حتى عام ١٩٦٩ ، ثم نائبا لمديره (١٩٨٦ - ١٩٨٨) .

- وعمل فى سفارات مصر فى: براج بلجراد، موسكو. لاجوس، ووزيرا مفوضا فى سفارة مصر فى واشنطن (١٩٨٢ - ١٩٨٦) ، ثم سفيرا لمصر فى النرويج (١٩٩٠ - ١٩٩٤) . حصل على وسام الاستحقاق النرويجى.

- عمل مديراً لإدارة التخطيط السياسى بوزارة الخارجية (١٩٩٤ - ١٩٩٦) .

ثالثا :

صدر للمؤلف

١ - التنظيم الدولى فى مفترق الطرق.

٢ - هنرى كيسنجر. حياته وفكره .

٣ - الوفاق الأمريكى السوفيتى ١٩٦٣ - ١٩٧٦ (الهيئة العامة للكتاب) ١٩٨١ .

٤ - قراءة جديدة للحرب الباردة . دار المعارف ١٩٨٣ .

٥ - الدبلوماسية المعاصرة . عالم الكتب ١٩٨٩ - طبعة ثانية ١٩٩٧ .

٦ ـ من الحرب الباردة إلى البحث عن نظام دولى جديد (الهيئة العامة للكتاب) ١٩٨٦ .

٧ ـ العلاقات الأمريكية / المصرية ١٩٤٦ ـ ١٩٥٦ (مترجم) ـ مكتبة مدبولى ـ ١٩٩٦ .

٨ ـ ما بعد الحرب الباردة: قضايا وإشكاليات. مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية. الأهرام١٩٩٧ .

٩ ـ الصين وروسيا: من الخصومة إلى المشاركة الاسترا تيجية. مركز الدراسات الآسيوية .كلية الاقتصاد والعلوم السياسية. جامعة القاهرة ١٩٩٨ .

١٠ ـ جورج كينان: الدبلوماسى المؤرخ. الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٧ .

١١ ـ حوارت المستقبل: هيئة قصور الثقافة ١٩٩٨ .

نشر العديد من المقالات والدراسات فى الصحف والدوريات المصرية والعربية والأجنبية . كما حاضر فى معهد الدراسات الدبلوماسية ، وكلية الأقتصاد والعلوم السياسية، وأكاديمية ناصر للعلوم العسكرية . وأشترك فى العديد من الندوات فى مصر والخارج .

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٢٨٠١/١٩٩٩

I.S.B.N 977 - 01 - 6068 - 7